التسهيل لتأويل التنزيل

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

الجزء الثاني

من سورة العلق إلى سورة الناس

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة

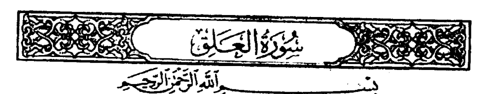
بسم الله الرحمن الرحيم

التَّسهِيلُ لِتأوِيلِ التَّنزِيلِ

الطبعة الثانية
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٨٣٦٤ / ١٩٩٧

الناشر
مكتبة مكة
طنطا : ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس
ت:٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

علق ـ يطغى ـ أن رآه استغنى ـ الرجعى ـ لنسفعًا ـ بالناصية ـ ناديه ـ الزبانية ؟

ج :

الكلمة	معناها
علـــــق	العلق جمع علقة وهي القطعة من الدم المتماسك سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه
يطغـــــى	يتجاوز الحد في ظلم العباد ويستكبر على ربه

الكلمة	معناها
أن رآه استغنى	أن رأى نفسه مستغنيًا عن الخلق بالمال والولد والعشيرة
الرجعى	المرجع والمآب
لنسفعًا	لنأخذن[1] ـ لنلطمن وجهه ـ والسفع هو الجذب الشديد ، والمعنى : لنأخذن ولنضمن ولنذلن ـ لنسودن وجهه
الناصية	شعر مقدم الرأس
ناديه	أهل مجلسه وأنصاره من عشيرته وقومه ، والنادي هو المجلس الذي يجتمع فيه الناس .
الزبانية	ملائكة العذاب

* * *

س ـ ما هي أول سورة نزلت من كتاب اللَّه ؟ وهل نزلت هذه السورة بتمامها مرة واحدة ؟

ج : هي سورة العلق ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري[2]

---

(١) دليله قوله تعالى : ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ، وقيل : يؤخذ بناصيته وتطوى مع قدميه ويطرح في النار ، وقيل : إن معنى ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] لنَسِمَنَّ (أي : لنعلمن) ناصيته بعلامة .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حدث ١٦٠) .

ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت : أول ما بدئ به رسول اللّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : «**اقرأ . قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال** : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ۝١ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ** ۝٢ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ [العلق: ١ - ٣] **فرجع بها رسول اللّه ﷺ يرجف فؤاده ...**» الحديث وهذا القدر من السورة إلى قوله : ﴿**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٥] هو المذكور في الحديث .

قال القرطبي في «تفسيره» : ويجوز أن يكون خمس آيات من أولها أول ما نزلت ثم نزلت البقية في شأن أبي جهل وأمر النبي ﷺ بضم ذلك إلى أول السورة لأن تأليف السور جرى بأمرٍ من اللّه ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل ثم هو مضموم إلى ما نزل قبله بزمنٍ طويل .

---

(١) في رواية البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ... إلى **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١ - ٥]

قلت : ويتأيد قول القرطبي رحمه اللَّه بأنه لم يكن هناك صلاة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ أمام أبي جهل عند نزول أول هذه السورة فكيف يُقال إن قوله : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ٩، ١٠] أول ما نزل ؟!! اللهم إلا أن يُقال إنه إخبار عن غيب سيقع ، ولكن ليس هناك ما يحوجنا إلى هذا الاتجاه واللَّه أعلم .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحًا باسم ربك .

***

س ـ ما المراد بالأكرم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الأكرم هو الذي يُعطي بدون مقابل ولا انتظار مقابل .

***

س ـ وضح وجه الامتنان في قوله تعالى : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « مفتاح دار السعادة »** [١] :

---

[١] «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

فنعمةُ اللَّه عزَّ وجلَّ بتعليمِ القَلَمِ بعدَ القرآنِ من أجلِّ النِّعَمِ ، والتَّعليمُ به - وإنْ كانَ ممَّا يَتَخَلَّصُ إليهِ الإنسانُ بالفطْنَة والحيلَة - فإنَّ الذي بَلَغَ به ذلكَ وأوصَلَهُ إليهِ عطيَّةٌ وهبها اللَّهُ منهُ ، وفَضلٌ أعطاهُ اللَّهُ إيَّاهُ ، وزيادَةٌ في خَلقه وفَضله ، فهو الذي علَّمهُ الكتابَةَ ، وإنْ كانَ هو المُتعلِّمَ فَفعلهُ فعلُ مُطَاوعٍ لتعليمِ الذي علَّمَ بالقَلمِ ، فإنَّه علَّمهُ فتعلَّمَ ، كما أنَّهُ علَّمهُ الكلامَ فتكلَّمَ .

هذا : ومَن أعطاهُ الذِّهْنَ الذي يعي به ؟ واللسانَ الذي يُتَرجِمُ به ؟ والبنانَ الذي يَخُطُّ به ؟

ومَن هيَّأ ذهْنَهُ لقَبُولِ هذا التَّعليمِ دونَ سائرِ الحيوانات ؟ ومنَ الذي أنطَقَ لسَانَهُ ، وحرَّكَ بنانَهُ ؟ ومنِ الذي دَعَمَ البنانَ بالكفِّ ، ودعَمَ الكفَّ بالسَّاعد ؟ فكم للَّهِ من آيَةٍ نحنُ غافلونَ عنها في التَّعليمِ بالقَلمِ !

فَقف وَقْفَةً في حال الكتابَةِ ، وتأمَّلْ حالَكَ وقَد أمسكتَ القَلَمَ وهو جمادٌ وَوَضَعْتَهُ على القرْطاسِ وهو جمادٌ فيتولَّدُ من بينهما أنواعُ الحكَمِ، وأصنافُ العلومِ ، وفنونُ المراسلاتِ والخُطَبِ ، والنَّظمِ والنَّثرِ ، وجواباتِ المسائلِ ؛ فمَن الذي أجرىٰ فَلَكَ المعاني على قَلبِكَ ؟ ورَسَمها في ذهنكَ ؟ ثمَّ أجرىٰ العباراتِ الدَّالَّةَ عليها على لسانكَ ، ثمَّ حرَّكَ بها بنانَكَ حتى صارَت نَقشًا عجيبًا ، معناهُ أعجبُ من صورته ، فَتَقضي به مآربَكَ ، وتبلُغ به حاجةً في صَدرِكَ ، وتُرسلُه إلى الأقطارِ النَّائيَةِ والجهاتِ المُتباعدَةِ ، فيقومُ مقامَكَ ، ويُترجمُ عنكَ ، ويتكلَّمُ على لسانكَ ، ويقومُ مقامَ رسولكَ ، ويُجدي عليكَ ما لا يُجدي مَن

تُرسلهُ سوى من علَّمَ بالقَلمِ ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم .

والتَّعليمُ بالقَلَمِ يستلزمُ المراتبَ الثَّلاثَةِ :

مرتبَةَ الوجودِ الذِّهْنيِّ .

والوجودِ اللفظيِّ .

والوجودِ الرَّسميِّ :

فَقَد دلَّ التَّعليمُ بالقَلَمِ على أنَّهُ سبحانهُ هو المُعْطي لهذه المراتبِ، ودلَّ قولهُ : ﴿خَلَقَ﴾ على أنَّهُ يعطي الوُجودَ العَينيَّ ، فدلَّت هذه الآياتُ ـ مع اختصارها ووَجازَتِها وفَصاحتها ـ على أنَّ مراتبَ الوجودِ بأَسْرِها مُسنَدَةٌ إليه تعالى خَلقًا وتَعليمًا .

وَذَكَرَ خَلْقين وتعليمين ، خَلْقًا عامًّا ، وخَلقًا خاصًّا ، وتَعليمًا عامًّا ، وتعليمًا خاصًّا ، وذكرَ من صفاته ها هُنا اسمَ ﴿الأكرَم﴾ الذي فيه كلُّ خيرٍ وكلُّ كمالٍ ؛ فله كُلُّ كمالٍ وَصْفًا ، ومنهُ كلُّ خَيرٍ فعلاً ، فهو الأكرمُ في ذاته وأوصافه وأفعاله ، وهذا الخَلْقُ والتَّعليمُ إنَّما نَشَأَ من كَرَمهِ وبرِّه وإحسانه ، لا من حاجَةٍ دَعَتْهُ إلى ذلكَ ، وهو الغنيُّ الحميدُ .

وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤] ، دلَّت هذه الكلماتُ على إعطائه سبحانهُ مراتبَ الوجودِ بأَسْرِها ، فقولهُ: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] إخبارٌ عن الإيجادِ الخارجيِّ العَينيِّ ، وخَصَّ الإنسانَ بالخَلْقِ لِمَا تَقدَّم .

س ـ امتن اللَّه على الخلق بتعليمهم بالقلم فلماذا لم يتعلم النبي ﷺ الكتابة ؟

ج : ذلك حتى تكون بعثته أكمل في الإعجاز فهو نبي أُمي ومع ذلك يتلو عليهم هذا الكتاب العزيز مما علمه اللَّه وجمعه له في صدره كما قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة : ٢] .

● وذلك أيضًا لدفع الشبه والشكوك التي قد تتسرب إليهم فقد يقولون ـ إذا لم يكن أميًّا ـ لعله نقل هذا عن غيره أو أرسله له غيره في رسالة ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٨ ، ٤٩] .

وأيضًا فرسول اللَّه ﷺ مع كونه أميًّا لم يغفل حث أمته على تعليم الكتابة فقد قال النبي ﷺ : « **ارقيها وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة** » وقال : « **اكتبوا لأبي شاه** » . . إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ذكر بعض العلماء أن الأقلام ثلاثة وزاد بعضهم رابعًا ما هي هذه الأقلام التي ذكروها ؟

ج : ذكر العلماء منها ما يلي :

الأول : القلم الذي خلقه اللَّه أول ما خلق فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن وما سيكون إلىٰ يوم القيامة .

الثاني : القلم الذي مع الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد كما قال تعالىٰ : ﴿ **بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ** ﴾ [الزخرف: ٨٠] ، إذا صح أنهم يكتبون بأقلام .

الثالث : القلم الذي بأيدي العباد يكتبون به .

ومن العلماء من ذكر أيضًا القلم الذي تكتب به مقادير العباد وهم في بطون أمهاتهم ، وهو القلم الذي في يد الملك الموكل بالرحم واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س - إذا رأىٰ الإنسان نفسه مستغنيًا [1] عن الخلق بدأ في الكبر والطغيان دلِّل علىٰ ذلك ؟

---

(١) هذا في الغالب ، وإلا فهناك من أهل الصلاح قوم أغناهم اللَّه وازدادوا تواضعًا له سبحانه كسليمان ﷺ ، فقد قال لما رأىٰ عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده : ﴿ **هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٤٠] ، وقال لما أفهمه اللَّه لغة النملة : ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [النمل: ١٩] .
وقال سبحانه في شأن بعض أهل الصلاح : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** =

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

• قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

• قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

• قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] .

• قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] .

• قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] .

• قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ...﴾ [القصص: ٧٦] .

• قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً

= وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [الأحقاف: ١٥] .

وكان من الثلاثة الذين ابتلاهم الله بالمال بعد الفقر رجل أعمى شاكرًا لأنعم الله عليه معترفًا بفضل الله له .

مَنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩] .

وفرعون لما أغناه اللَّه وملّكه مصر قال : ﴿ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١] .

وقارون لما أنعم اللَّه عليه قال : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [القصص: ٧٨] .

والأبرص والأقرع لما آتاهما اللَّه مالاً جحدا نعم اللَّه عليهما .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴾ [العلق: ٩، ١٠] ؟

ج : هذه الآية تحمل معنى التعجب من هذا الظالم المكذب المعرض الذي ينهى العبد عن صلاته مع العلم بأن هذا العبد الذي يُصلي رجل مهتدي آمر بالتقوى ، فالمعنى : اعجبوا من أمر هذا المفسد المكذب المتولي المعرض الذي ينهى المصلين عن صلاتهم .

* * *

س ـ من هو هذا الذي كان ينهى العبد إذا صلى ومن هو العبد ؟

ج : الناهي هو أبوجهل ، والآية تعم كل ناهي ، والمنهي هو محمد ﷺ والآية تعم كل منهي .

وقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يُصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال : «**لو فعل لأخذته الملائكة**» .

● وأخرج مسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل: نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال فقيل له : مالك ؟ فقال : «**إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة**» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «**لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**» . قال فأنزل الله عز وجل لا ندري[3] في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿**كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ**﴾ [العلق: ٦ - ١٣] - يعني أبا جهل - ﴿**أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ**﴾ [العلق: ١٤ - ١٩] .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٩٥٨) .

(٢) مسلم مع النووي (١٧/١٣٩) .

(٣) لهذا التردد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث ، وصححه فريق منهم لشواهده .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ [العلق: ١١، ١٢] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أرأيت عبدًا مستقيمًا على استقامة وسداد وهدى من ربه عز وجل يأمر الناس بتقوى الله ويأتيه آخر فينهاه عن الصلاة وينهاه عن الاستقامة والسداد ، وهذا العبد المهتدي هو محمد ﷺ ، أما الذي ينهاه فهو أبو جهل .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ألم يعلم هذا المجرم الأثيم الذي ينهى العبد المهتدي الآمر بالتقوى والخوف من الله المحافظ على الصلاة أن الله يراه فينزجر عن نهيه لهذا العبد عن الصلاة وينكف عن أذاه ؟ !!

* * *

س ـ هل الناصية تكذب وتخطئ ؟

ج : وصفت الناصية والمراد صاحبها .

* * *

س ـ هل صح لهذه الآية سبب نزول ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨] ؟

ج: نعم، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يُصلي عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال : يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال : يا محمد أي شيء تهددني أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا فأنزل الله ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨] ، قال ابن عباس : لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته .

* * *

س - هل هناك تعلق بين قوله : ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] ؟

ج : نعم فالظاهر لي أن هناك تعلقًا بينهما فالسجود يقرب من الله عز وجل كما قال النبي ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»[1] .

ويحتمل أيضًا أن يُقال : ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ [العلق: ١٩] أي : صلِّ وتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بسائر أنواع الطاعات ، والله أعلم .

* * *

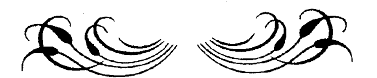
س - هل ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة (العلق) ؟

ج : نعم ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة فقد أخرج

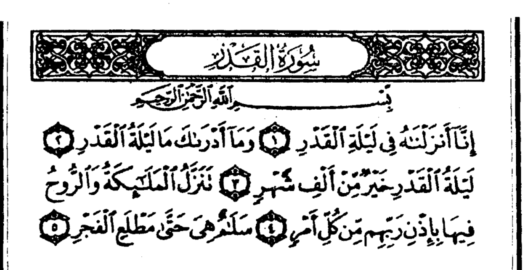
---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (مع النووي ٤/ ٢٠٠) وأحمد (٢/ ٤٢١) وأبو داود (١/ ٥٤٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

الإمام مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .



(١) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) وأبو داود (١٤٠٧) وغيرهما .


سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

القدر ـ تنزَّل ـ الروح ؟

ج :

الكلمة	معناها
القـدر	الحكم[1] والتقدير ـ العِظم والشرف[2]
تنـزَّل	تهبط من السماء
الروح	جبريل[3].

* * *

(١) قالوا لأن الله عز وجل يقدر فيها أمور السنة من الآجال والأرزاق وغير ذلك .

(٢) ومنه قولهم: فلان ذو قدر وشرف ، وقيل لأن للعبادات فيها قدرًا عظيمًا .

(٣) قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال سبحانه : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] ، هذا وعطف جبريل على الملائكة من باب عطف الخاص على العام لبيان أهمية الخاص وشرفه وفضله .

س ـ في قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ما يدل على أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ مفرقًا، وهذا الظاهر بلا شك فإن السور منها المكي ومنها المدني ، ومنها ما نزل أولاً ومنها ما نزل آخرًا فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فهذه الآية الأخيرة وكذلك قوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] تفيد أن القرآن نزل جملة واحدة فكيف الجمع بين هذا وذاك ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك وجهان :**

أحدهما : أن القرآن نزل جملة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل مفرقًا من السماء الدنيا علىٰ النبي ﷺ[1].

الثاني :أن أول القرآن هو الذي نزل في ليلة القدر أي أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر .

والجمع بين الوجهين ممكن بأن يقال : إن القرآن نزل جملة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ، ونزل أوله من السماء الدنيا علىٰ النبي ﷺ في ليلة القدر أيضًا ، والله أعلم .

* * *

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] قال : أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا فكان بموقع النجوم فكان الله ينزله علىٰ رسوله بعضه في إثر بعض ثم قرأ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ =

س ـ لماذا سميت ليلة القدر بليلة القدر ؟

ج : في تسميتها بليلة القدر وجوه :

أحدها : أن معنى القدر الشرف والرفعة كما تقول العرب : «فلان ذو قدر» أي: رفعة وشرف، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

الثاني : أنها سميت ليلة القدر لأن اللَّه عز وجل يقدر فيها وقائع السنة كما قال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] وتقدر فيها الآجال والأرزاق .

الثالث : أن المراد بالقدر الضيق ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ...﴾ [الفجر: ١٦] والمراد : أن الأرض تضيق بالملائكة لكثرة من ينزل من الملائكة في هذه الليلة .

والوجه الأول والثاني أقرب في سبب التسمية من الوجه الأخير ، واللَّه أعلم .

* * *

= تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] .

وفي لفظ آخر عند الطبري عن ابن عباس بإسناد صحيح قال : نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان اللَّه إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه .

س ـ أي ليلة هي ليلة القدر ؟

ج : ابتداءً فهي في رمضان لقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وجمهور العلماء على ذلك .

والجمهور أيضًا على أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لحديث أبي سعيد الخدري في « الصحيحين » [١] عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه : «... فابتغوها في العشر الأواخر» .

والجمهور أيضًا على أنها في الوتر من العشر الأواخر لقول النبي ﷺ : «وابتغوها في كل وتر»[٢] ، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[٣] .

والأكثرون[٤] أيضًا على أنها في ليلة السابع والعشرين من رمضان لحديث أبي بن كعب في «صحيح مسلم» بذلك .

لكنه لم يحصُل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط أي ليلة هي .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٥]: وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) .
(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا .
(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٧) .
(٤) نقله عنهم عدد من العلماء منهم القرطبي رحمه الله تعالى .
(٥) «الفتح» (٤/٣٠٩) .

أربعين قولاً كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة ، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما . . ثم ذكر الحافظ رحمه اللَّه تعالىٰ أقوال أهل العلم في ذلك وأدلتهم علىٰ ما ذهبوا إليه فليرجع إليه من شاء.

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بعض علامات ليلة القدر ؟

ج : لخص ذلك الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» فقال :

قوله: (باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر) في هذه الترجمة إشارة إلىٰ رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة منه بعينها ، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها . وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي ، منها في «صحيح مسلم» عن أبيّ بن كعب : **«أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها»** ، وفي رواية لأحمد من حديثه : «**مثل الطست**» ، ونحوه لأحمد من طريق أبي عون عن ابن مسعود وزاد : «**صافية**» ، ومن حديث ابن عباس نحوه ، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعًا : «**ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة**» ، ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا : **«إنها صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ، ولا يحل لكوكب يرمىٰ به فيها ، ومن أماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج**

مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ» ، ولابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود أيضًا : **«أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان ، إلا صبيحة ليلة القدر»** ، وله من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا : **«ليلة القدر ليلة مطر وريح»** ، ولابن خزيمة من حديث جابر مرفوعًا في ليلة القدر : **«وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة ، تتضح كواكبها ولا يخرج شيطانها حتىٰ يضيء فجرها»** ، ومن طريق قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة مرفوعًا : **«وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصىٰ»** ، وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق مجاهد : **«لا يرسل فيها شيطان ، ولا يحدث فيها داء»** ، ومن طريق الضحاك : **«يقبل اللَّه التوبة فيها من كل تائب ، وتفتح فيها أبواب السماء، وهي من غروب الشمس إلىٰ طلوعها»** ، وذكر الطبري عن قوم أن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلىٰ الأرض ثم تعود إلىٰ منابتها . وأن كل شيء يسجد فيها . وروىٰ البيهقي في «فضائل الأوقات» من طريق الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة أنه سمعه يقول : إن المياه المالحة تعذب تلك الليلة ، وروىٰ ابن عبد البر من طريق زهرة بن معبد نحوه .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا أخفيت ليلة القدر ؟

ج : الظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أنها أخفيت ليجتهد العباد في العبادة في عموم الليالي ، **وقد فصَّل الرازي في ذلك فقال رحمه اللَّه :**

المسألة الخامسة : أنـه تعالىٰ أخفىٰ هذه الليلة لوجوه : **أحدها** :

أنه تعالى أخفاها ، كما أخفى سائر الأشياء ، فإنه أخفى رضاه في الطاعات ، حتى يرغبوا في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل ، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء ، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل ، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة ، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان . **وثانيها** : كأنه تعالى يقول : لو عينت ليلة القدر ، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية ، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية ، فوقعت في الذنب ، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك ، فلهذا السبب أخفيتها عليك ، روي أنه عليه السلام دخل المسجد فرأى نائمًا ، فقال : يا علي نبهه ليتوضأ ، فأيقظه علي ، ثم قال علي : يا رسول اللَّه إنك سباق إلى الخيرات ، فلم لم تنبهه ؟ قال : لأن رده عليك ليس بكفر ، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو أبى ، فإذا كان هذا رحمة الرسول ، فقس عليه رحمة الرب تعالى ، فكأنه تعالى يقول : إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر ، وإن عصيت فيها اكتسبت عقاب ألف شهر ، ودفع العقاب أولى من جلب الثواب . **وثالثها** : أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها ، فيكتسب ثواب الاجتهاد . **ورابعها** : أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر ، فإنه يجتهد في

الطاعة في جميع ليالي رمضان ، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر ، فيباهي اللَّه تعالى بهم ملائكته، ويقول : كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء . فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له ! فحينئذ يظهر سر قوله : ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٣٠] .

- **وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :**

قال الإمام : ثم الأخبار الصحيحة متضافرة على أنها في شهر رمضان . ولا نعيّنها من بين لياليه . فقد اختلفت فيها الروايات اختلافًا عظيمًا . وكتاب اللَّه لم يعينها . وما ورد في الأحاديث من ذكرها ، إنما قصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة ، شكرًا للَّه تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ اللَّه إفاضته فيهم ، في أثنائها . ولهم أن يعبدوا اللَّه فيها أفرادًا وجماعات . فمن رجح عنده خير في ليلة أحياها ، ومن أراد أن يوافقها على التحقيق ، فعليه أن يشكر اللَّه بالفراغ إليه بالعبادات في الشهر كله . وهذا هو السر في عدم تعيينها . وتشير إليه آية البقرة فإنها تجعل الشهر كله ظرفًا لنزول القرآن ، ليذكر المؤمنون نعمة اللَّه عليهم فيه . فهي ليلة عبادة وخشوع ، وتذكر لنعمة الحق والدين . فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد اللَّه مضامير للرياء ، يتسابق إليها المنافقون ، ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون . كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام . فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن تكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها

بما لا ينظر اللَّه إليه . ويسمعون شيئًا من كتاب اللَّه لا ينظرون فيه ولا يعتبرون بمعانيه . بل إن أصْغَوْا إليه ، فإنما يصغون لنغمة تاليه . ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره ، ولم يحمد في الآخرين ولا الأولين أثره . ولهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال ، فضلاً عن الراشدين من الرجال . انتهى .

وقال الطبريّ : إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة . إذ لو كان ذلك حقًّا ، لم يخف على كل من قام ليالي السنة ، فضلاً عن ليالي رمضان .

* * *

س ـ هل تستتبع ليلة القدر ، بمعنى هل يلحقها في الفضل يومها ؟

ج : الظاهر لي أنها لا تستتبع ، وذلك للتنصيص على كونها ليلة ولقوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل ليلة القدر في كل عام من رمضان أم كانت على عهد النبي ﷺ فقط ؟

ج : نعم جمهور أهل العلم على أنها في رمضان من كل عام ،

وليست مختصة بعام واحد .

* * *

س ـ ما هو الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر ؟

ج : الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر هو : «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

وذلك لما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي[1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : يا رسول اللَّه أرأيت إذا وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟ قال : «**تقولين : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

* * *

س ـ اذكر طرفًا مما ورد في فضل ليلة القدر ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قوله تعالى في هذه السورة التي نزلت باسم هذه الليلة تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ...**﴾ [القدر: ١ - ٥] إلى آخر السورة فانتظمت السورة جملة فضائل لهذه الليلة :

أحدها : أن اللَّه عز وجل أنزل القرآن في هذه الليلة .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) والترمذي (٩/ ٤٩٥ مع «تحفة الأحوذي») وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣٨٥٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (حديث ٨٧٣) . وإسناده صحيح .

الثاني : أن اللَّه عز وجل عظم شأنها بذكرها وبقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢] .

الثالث :أن العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

الرابع :أن الملائكة ومعهم جبريل يتنزلون في هذه الليلة .

الخامس :أن الأمن والسلام يحل في هذه الليلة على أهل الإيمان وتسليم الملائكة يتوالى عليهم فيها (على ما قد بيناه من قبل) .

● هذا وقد وصف اللَّه سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة في سورة أخرى فقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣ - ٦] .

وفي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه» .

* * *

س ـ ما المراد بكون ليلة القدر خير من ألف شهر ؟

ج :أي أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة

(١)أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٤) .

القدر . وقال بعض العلماء : أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لأن العرب تذكر الألف في كثير من الأشياء على طريق المبالغة .

وقيل : وجه ذكر ألف شهر أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدًا حتى يعبد اللَّه ألف شهر فجعل اللَّه لأمة محمد ﷺ عبادة ليلة خير من عبادة ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

وثمَّ أقوال أُخر ، وأصح هذه الأقوال وأشهرها القول الأول الذي قدمنا ذكره ، واللَّه أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بتنزل الملائكة والروح ، في هذه الليلة ليلة القدر ؟

ج : **في ذلك أقوال** :

أحدها : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بالرحمات والبركات والسكينة كما تتنزل مثلاً عند تلاوة القرآن .

وقال بعض العلماء : إنها تتنزل للسلام على أهل المساجد .

الثاني : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بكل أمر قضاه اللَّه وقدره لهذه السنة فاللَّه سبحانه يقول : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٤، ٥] واللَّه تعالى أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] ؟

ج : **هنا للعلماء قولان :**

أحدهما : أن معنى الآية الكريمة مرتبط بما قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح في هذه الليلة بإذن ربهم بكل أمر قضاه اللَّه وقدره في هذه السنة كما قال تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤] ، فقوله: ﴿**مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾ [القدر: ٤] معناه: بكل أمر فـ (من) بمعنى (بـ) .

الثاني : أن معنى الآية مرتبط بما بعده ، والمعنى: من كل أمر وشر هي سالمة ، أي : أن ليلة القدر آمنة من كل شرٍّ وكل مكروه ففيها تتنزل الرحمات وتحل البركات وتغشى السكينات ، فهي خير كلها على المؤمنين تنزل الملائكة تسلم عليهم حتى مطلع الفجر . واللَّه أعلم .

* * *

س - وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن قوله : (سلام) **متعلق بما** قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم **من كل أمر** سلام ، فالمعنى : أن الملائكة تتنزل بالسلام ومنه التحية **والتسليم** ، ومنه الأمن والسلامة . ثم بُين وقت انتهائها بقوله تعالى : ﴿**هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر: ٥] .

وقال آخرون: إن قوله: ﴿**سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**﴾ [القدر: ٥] مرتبط ببعض ، فالمعنى : أنها سالمة آمنة من أولها حتى مطلع الفجر .

هذا وقد فصَّل الرازي في «تفسيره» في بيان ذلك فقال :

أنها من أولها إلىٰ مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الأوقات والأجزاء . **وثامنها** : سلام هي ، أي : جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام أي : الجنة المصوغة من السلامة .

المسألة الثانية : المطلع : الطلوع ، يقال : طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا، والمعنى : أنه يدوم ذلك السلام إلىٰ طلوع الفجر ، ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع ، وكذا مكان الطلوع مطلع ، قاله الزجاج، أما أبو عبيدة والفراء وغيرهما فإنهم اختاروا فتح اللام لأنه بمعنىٰ المصدر ، وقالوا : الكسر اسم نحو المشرق ، ولا معنىٰ لاسم موضع الطلوع ههنا ، بل إن حمل علىٰ ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح ، قال أبو علي : ويمكن حمله علىٰ المصدر أيضًا ، لأن من المصادر التي ينبغي أن تكون علىٰ المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز ، وقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فكذلك كسر المطلع جاء شاذًا عما عليه بابه . واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم، وصلىٰ اللَّه علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

الوجه الثالث : من فضائل هذه الليلة . قوله تعالىٰ : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] . وفيه مسائل :

المسألة الأولى : في قوله : ﴿سَلَامٌ﴾ وجوه . **أحدها** : أن ليلة القدر إلى طلوع الفجر سلام ، أي : تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجًا فوجًا من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة السلام . **وثانيها** : وصفت الليلة بأنها سلام ، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا ، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صارت نار نمروذ عليه بردًا وسلامًا ، أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا بردًا وسلامًا، لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلاً مشويًّا وهم يريدون منه قلبًا مشويًا، بل فيه دقيقة ، وهي إظهار فضل هذه الأمة ، فإن هناك الملائكة نزلوا على الخليل ، وههنا نزلوا على أمة محمد ﷺ . **وثالثها** : أنه سلام من الشرور والآفات ، أي : سلامة ، وهذا كما يقال : إنما فلان حج وغزو أي هو أبدًا مشغول بهما ، ومثله :

« فإنما هي إقبال وإدبار »

وقالوا : تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام، أي : سلامة ونفع وخير . **ورابعها** : قال أبو مسلم : سلام أي : الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك . **وخامسها** : سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءًا . **وسادسها** : أن الوقف عند

قوله: (من كل أمر سلام) فيتصل السلام بما قبله ومعناه : أن تقدير الخير والبركة والسلامة يدوم على طلوع الفجر ، وهذا الوجه ضعيف .



سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

منفكين ـ البينة ـ قيمة ـ مخلصين له الدين ـ حنفاء ـ القيمة ـ البرية ؟

ج :

الكلمة	معناها
منفكيـن	منتهين عما هم فيه ـ تاركين ـ متروكين

الكلمة	معناها
البينة	القرآن ـ محمد ﷺ وما يتلوه من القرآن
قيمة	عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ
مخلصين له الدين	مفردين له الطاعة يطيعونه دون من سواه ـ لا يخلطون طاعة ربهم بشرك
حنفاء	مائلين عن الشرك إلى التوحيد
القيمة	العادلة المستقيمة ، ودين القيمة ، أي : دين الملة القيمة
البرية	الخلق

* * *

س ـ اذكر فضيلة لأبي بن كعب ذكرها المفسرون عن تفسير هذه السورة وبين ما يستفاد من السياق الواردة فيه ؟

ج : الفضيلة تكمن في أمر اللَّه لنبيه ﷺ أن يقرأ سورة البينة على أبي بن كعب وذكر اللَّه عز وجل اسم أبي بن كعب لرسوله ﷺ ففي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بن كعب : «**إن اللَّه أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** » ، قال : وسماني ؟ قال : «**نعم**» فبكى[1] .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٣٤) =

وفي السياق من الفوائد والفقه : قراءة العالم على المتعلم ، قال بعض العلماء : إنما قرأ النبي ﷺ على أُبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه من المنزلة .

* * *

س ـ من هم الذين كفروا من أهل الكتاب ومن هم المشركون ، وما هو الكتاب المذكور ؟

ج : أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والكتاب المراد به هنا التوراة والإنجيل ، فالتوراة كتاب اليهود ، والإنجيل كتاب النصارى .

● أما المشركون فهم عبدة الأوثان .

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ . . .﴾ [البينة: ١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : لم يكن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى ، وهم أهل التوراة والإنجيل ، والمشركين بتاركي ما هم عليه من الكفر حتى يأتيهم كتاب من عند الله .

● وقول آخر : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم

= والترمذي (٣٨٩٢) ولمزيد انظر تخريجه في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٢٩٧) .

المشركون ـ منفكين أي : تاركين صفة محمد ﷺ التي في كتابهم حتى بعث فلما بعث تفرقوا .

فالمعنى ـ على هذا التأويل ـ : أنهم كانوا متمسكين بصفة محمد ﷺ الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل ، فلما بعث وفيه هذه الصفة تفرقوا .

وبصياغة ثانية : لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الشرك مفترقين ولا مختلفين في صفة محمد ﷺ حتى تأتيهم البينة ، وهي إرسال اللَّه سبحانه وتعالى محمدًا رسولاً .

ومعنى ثالث : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين هملاً وسُدًى بدون إرسال رسول إليهم بل لابد لهم من رسول، والآية على هذا التأويل كقوله تعالى : ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** ﴾ [القيامة: ٣٦] أي: هملاً لا يؤمر ولا ينهى ، وكقوله تعالى: ﴿ **أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ** ﴾ [الزخرف: ٥] ، أي : هل نترك إنزال الذكر لأجل إسرافكم ونعرض عن إرسال الرسل لذلك ؟!

* * *

س ـ ما هو وجه شرك اليهود والنصارى ؟

ج : من وجوه شركهم : أن اليهود جعلوا عزيرًا ابنًا للَّه والنصارى جعلت المسيح ابنًا للَّه .

قال اللَّه سبحانه : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

ومن وجوه كفرهم أيضًا : جحودهم نبوة محمد ﷺ ، وتكذيبهم بالقرآن .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الباطل واللغو ، وأيضًا فكما قال تعالى : ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن أهل الكتاب كانوا متفقين في صفة محمد ﷺ ونعته لم يختلفوا في ذلك حتى بعث رسول اللَّه ﷺ فلما بعث عليه الصلاة والسلام كذبوه وكفروا به وجحدوا نبوته عليه الصلاة والسلام .

* * *

س ـ لماذا تفرَّق الذين أوتوا الكتاب بعد مجيء البينة إليهم .. ؟ اذكر آية في معنى هذه الآية .

ج : تفرقوا بعد مجيء البينة إليهم حسدًا منهم لمحمد ﷺ وللعرب على ما آتاهم اللَّه من فضله كما قال تعالى : ﴿ **وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠] .

والآية كقوله تعالى : ﴿ **فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** ﴾ [الجاثية: ١٧] .

وكقوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

* * *

س ـ من هو خير البرية ؟

ج : أخرج مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا خير البرية! فقال رسول اللَّه ﷺ : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[١] .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة: ٧] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٣٦٩) ، وللمختار بن فلفل بعض الأوهام .

• وتقدم أن النبي ﷺ قال : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[١] ، فإما أن يعمل ما قاله النبي ﷺ في شأن إبراهيم على أن النبي ﷺ قال ذلك تواضعًا ، وإما أنه عمل على أن النبي قال ذلك قبل أن يُعلمه ربه أنه سيد ولد آدم ، ومن ناحية الترجيح للروايات : فرواية : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» أصح من رواية : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**» .

* * *

س ـ **وضح معنىٰ قوله تعالىٰ** : ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : رضوا بما أعطاهم الله من الثواب علىٰ طاعتهم ربهم في الدنيا .



(١) تقدم في تفسير سورة البقرة عند إيراد آيات الشفاعة ، وهو عند مسلم أيضًا (حديث ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :ـ

زلزلت ـ أثقالها ـ يصدر ـ أشتاتًا ـ ذرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
زلزلت	حركت حركة شديدة سريعة[١]

---

(١) والآية كقوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴾ [الواقعة: ٤] .
قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : ولذا فإن الزلزال أشد ما شهد العالم من حركة ، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية فدمَّر مدنًا وحطم قصورًا ، ولذا فقد جاء وصف هذا الزلزال بكونه شيئًا عظيمًا في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** ﴾ [الحج: ١] ويدل على هذه الشدة تكرار الكلمة في ﴿ **زُلْزِلَتِ** ﴾ [الزلزلة: ١] ، وفي =

الكلمة	معناها
أثقالها	الموتى الذين دفنوا فيها [1] - وقيل : كنوزها [2]
يصدر	يرجع [3]
أشتاتًا	متفرقين - فرقًا
ذرة	نملة حمراء لا وزن لها - وقيل : ما يُرىٰ في شعاع الشمس من الهباء وقيل: الذرة أن يضرب الرجل بيده فما علق من التراب فهو ذرة

* * *

س - متىٰ هذه الزلزلة المذكورة في السورة الكريمة ؟

ج : من العلماء من ذهب إلىٰ أن هذه الزلزلة في الدنيا وهي من أشراط الساعة، واستدل لهذا القول بما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «تقيء

= ﴿ زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١] كما تشعر به هذه الإضافة .

(١) ومنه قوله تعالىٰ في شأن الإنس والجن : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١] .

(٢) ومنه قول النبي ﷺ : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قُتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعتُ رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا» أخرجه مسلم (١٠١٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٣) ومنه قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٣] .

الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون شيئًا»[1] .

● ومن أهل العلم من قال : إن هذه الزلزلة زلزلة يوم القيامة وذلك لقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [الزلزلة: ٦] وعلى هذا القول الأخير يمكن توجيه قوله عليه الصلاة والسلام : « **تقيء الأرض أفلاذ كبدها** ... الحديث » بأن ذلك قريب الساعة فمن أشراط الساعة كثرة الزلازل ، ولا يستلزم أن يقع مع زلزلة الساعة ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤ ، ٥] ؟

ج : **في ذلك قولان لأهل العلم :**

أحدهما : أنها تتحدث بلسان الحال ، أي : لسان حالها وما حدث لها من زلازل وإخراج للأثقال ينبئ ويخبر أن الله أمرها بذلك .

الثاني : أنها تتحدث بلسان المقال ، أي : أنها تتكلم ، وفي هذا الكلام وجهان :

الوجه الأول : أنها تجيب الإنسان على سؤاله فإذا قال الإنسان :

---

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه قريبًا .

مالها ؟ وسأل عن سبب زلزلتها وإخراجها ما في بطنها ، فتجيبه قائلة : إن اللَّه أمرني بهذا وأوحى إلي به وأذن لي فيه ، وتخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وأمر الآخرة قد أتى .

الوجه الثاني :أنها تتكلم وتخبر بما حدث عليها من خير أو شر وقد ورد في هذا الباب من حديث أبي هريرة[1] رضي اللَّه عنه قال قرأ رسول اللَّه ﷺ : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال : « **أتدرون ما أخبارها ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال : فهذه أخبارها**» .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] ؟

ج : في ذلك وجهان أيضًا للعلماء :

أحدهما: أن الناس (يصدرون) أي: يرجعون من موضع الحساب إلى الجنة أو إلى النار يرجعون وبعضهم آمن وبعضهم خائف، بعضهم قد تلقى كتابه بيمينه يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت إني ملاق حسابيه، وبعضهم تلقى الكتاب بشماله يقول: يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، ياليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩) بإسناد ضعيف ففيه يحيى بن أبي سليمان وهو ضعيف .

يرجعون من موقف الحساب بعضهم أبيض الوجه وبعضهم أسود بعضهم ينصرف إلىٰ جهة اليمين وبعضهم سار في درب أصحاب الشمال إلىٰ غير ذلك من أنواع الفرقة بين أهل اليمين وأهل الشمال ، كما قال تعالىٰ : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٣، ٤٤] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] أي : ليروا جزاء أعمالهم من ثواب أو عقاب .

الثاني :أن الناس يصدرون من قبورهم إلىٰ موقف الحساب ليروا أعمالهم التي عملوها في دنياهم ويحاسبون عليها ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا عُبر بلفظ المضارع في قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] ولم يُعبر بلفظ الماضي ؟

ج : هذا نوع من أنواع الالتفات في الخطاب فسار الخطاب بلفظ الماضي في قوله تعالىٰ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ... ﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَأَخْرَجَتِ ... ﴾ [الزلزلة: ٢] ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ ... ﴾ [الزلزلة: ٣] ، ثم حوِّل إلىٰ المضارع بلفظ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] وذلك علىٰ سبيل

التنبيه والتحذير ، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شرًا يره في الآخرة . والله أعلم .

* * *

س ـ هل يرى الكفار مثاقيل ذرات الخير الذي عملوه في الدنيا ؟

وهل يرى المؤمنون مثاقيل ذرات الشر التي عملوها في الدنيا ؟

ج : من أهل العلم من قال بذلك ، فقال : إن الكافر يرى أعمال الخير التي عملها في الدنيا لكنها تحبط ويذهب ثوابها ويغطي عليها شركهم وكفرهم بالله عز وجل كما قال تعالى : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان: ٢٣] وكما قال سبحانه : ﴿**مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم: ١٨] وكما قال تعالى : ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

● والمؤمن كذلك يرى مثاقيل ذرات الشر التي عملها لكن يغفرها الله سبحانه وتعالى له ـ إذا أراد ـ كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] .

● **وثمَّ قول آخر** ألا وهو : أن الكافر ينال جزاء حسناته في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة لم يكن له حسنات ، والمؤمن يُكفر عنه من سيئاته بما يصيبه من بلاء في الدنيا ، وفي الآخرة يستره الله سبحانه وتعالى ،

وإذا أراد اللَّه سبحانه للمؤمن عذابًا في الآخرة لكبائر اقترفها عذبه ربه ثم أخرجه من النار إلى الجنة على ما ورد في ذلك من أحاديث .

* * *

س ـ وصف الرسول ﷺ هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] بأنها فاذة جامعة ففي أي المناسبات كان ذلك ؟

ج : كان ذلك لما سئل رسول اللَّه ﷺ عن الحُمُر [1] فقال : **«ما أنزل اللَّه فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨] **»** أخرجه البخاري ومسلم[2] .

* * *

س ـ قد يقول قائل : إن الذرة اعتبرت في القرآن الكريم أصغر شيء، ولكن العلم الحديث قد فُتِّتَتْ الذرة إلى (إليكترونات وبروتونات ونيوترونات ..) وهذه أجزاء الذرة فهي أصغر منها فكيف يجاب على ذلك ؟

ج : الجواب يتمثل في القول بأن اللَّه سبحانه وتعالى خاطب العرب بأصغر شيء كانوا يعرفونه وهو الذرة ، وأشار سبحانه في القرآن

(١) أي عن حكم الحمير إذا ربطت واقتنيت .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٢ و ٤٩٦٣) ومسلم (حديث ٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

الكريم إلى أن هناك ما هو أصغر منها بقوله سبحانه : ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [سبأ: ٣] .



سُورَةُ العَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

العاديات ـ ضبحًا ـ الموريات ـ قدحًا ـ المغيرات صبحًا ـ فأثرن ـ نقعًا ـ فوسطن به جمعًا ـ كنود ـ الخير ـ بُعثر ـ حصِّل ؟

ج :

الكلمة	معناها
العاديات	هي الخيول[1] التي تعْدو نحو العدو في الغزو ، والعدو هو المشي بسرعة ويطلق على الجري ـ وقيل : المراد بالعاديات الإبل والعاديات جمع عادية

(١) وأكثر أهل العلم على أن المراد بالعاديات الخيول .

الكلمة	معناها
ضبحًا	التي تضبح ضبحًا [١]، والضبح هو صوت أنفاس الخيول إذا جرت ، وقال البعض : تضبح ، أي : تحمحم ، وقال آخرون : تتنفس
الموريات	الخيل التي توري (أي : توقد النار) [٢] بحوافرها عند الجري إذا أصابت بحوافرها الحجارة فتوقد النار[٣]
قدحًا	القدح هو الاستخراج ، والمراد به هنا : استخراج النيران من الأحجار عند احتكاك حوافر الخيل بها ، على رأي جمهور العلماء
المغيرات	هي الخيل التي تغير على العدو صباحًا
فأثرن	رفعن
نقعًا	النقع التراب والغبار
فوسطن به جمعًا	من التوسط ، أي: توسطت الخيل براكبها جموع العدو

(١)قال بعض العلماء : إن الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، كانت تكمم لئلا تصهل فيعلم العدو ، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة .

أما ضبحًا (على رأي من قال : إن العاديات هي الإبل) فبمعنى ضبعًا ، وهو مد الإبل أعناقها أثناء السير .

(٢)ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١] .

(٣)ومن العلماء من قال : إن الموريات هي الإبل ، ومنهم من قال : إن المراد الأنفس الموريات بمعنى : أن من الرجال من له مكر ودهاء يوري به الحروب بين الناس ، وثم أقوال أخر ، واختار الطبري التعميم أي القول بعموم ما ذُكر .

الكلمة	معناها
كنـود	كفور ـ جحود لنعم الله عليه يذكر المصائب وينسى النعم
الخيـر	المال[١]
بُعْثـر	أثير واستخرج ما فيها من الموتى
حُصِّلَ	مُيِّز وبُيِّن[٢]

* * *

س ـ اذكر المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١ ـ ٥] .

ج : أشهر الأقوال في العاديات والموريات والمغيرات هذه

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ** ﴾ [العاديات: ٨] قال : الخير: الدنيا ، وقرأ ﴿ **إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ** ﴾ [البقرة: ١٨٠] قال : فقلت له (القائل ابن وهب) : إن ترك خيرًا : المال ؟ قال : نعم ، وأي شيء هو إلا المال ؟ قال : وعسى أن يكون حرامًا ولكن الناس يعدونه خيرًا فسماه الله خيرًا لأن الناس يسمونه خيرًا في الدنيا وعسى أن يكون خبيثًا ، وسمى القتال في سبيل الله سوءًا وقرأ ﴿ **فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ** ﴾ [آل عمران: ١٧٤] قال : لم يمسسهم قتال قال : وليس هو عند الله بسوء ولكنه يسمونه سوءًا .

(٢) أي : مُيِّز وبُيِّن ما فيها من الخير والشر ، وقيل : أبرز ، قال بعض أهل العلم : والمعنى : أخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خيرٍ وشرٍ مما يظن مضمرُه أنه لا يعلمه أحد أصلاً وظهر مكتوبًا في صحائف الأعمال . «فتح البيان» .

الأقوال الثلاثة :

الأول : أنها الخيل وعليه جمهور العلماء .

الثاني : أنها الإبل .

الثالث : العموم أي الخيل والإبل وغيرها .

فعلى القول الأول : أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالخيل العاديات التي تعدو مسرعة نحو العدو ، ومن شدة سيرها وجريها تضبح وتسمع لها حمحمات ويسمع صوت أنفاسها ، ومع جريها واحتكاك حوافرها تظهر النيران من الأحجار ، وسير هذه الخيول الذي أقسم اللَّه به إنما هو في الصباح حيث وقت الإغارة على العدو ، وهذه الخيول تثير الغبار عند سيرها وتحمل راكبها إلى منتصف جموع العدو كي يقاتل .

فأقسم اللَّه عز وجل بالخيل أثناء عدوها وسماع صوت أنفاسها ، وأقسم بها سبحانه وقت جريها واصطكاك حوافرها بالأحجار وقدح النار ، وذكر إغارتها على العدو صباحًا وإثارتها للتراب وتوسطها لصفوف العدو .

وعلى القول أنها الإبل : أقسم اللَّه عز وجل بالإبل التي تسرع في مشيها ، ومعنى ضبحًا ـ على هذا التأويل ـ : مادةً أعناقها أثناء المسير ، فأقسم اللَّه بالإبل وهي متجهة من عرفات تحمل الحجيج وتقدح النيران أثناء مشيها [1] وتثير الغبار كذلك حتى تتوسط بالحجيج جمعًا وهو

(١) ومما يضعف هذا القول أي القول بأن المراد الإبل أن الإسراع من عرفات إلى مزدلفة حتى يسمع للإبل ضبح ليس بمحمود ، فقد قال النبي ﷺ : «ليس البر بالإيضاع» .

مزدلفة ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا أقسم الله عز وجل : بـ ﴿الْعَادِيَاتِ .. ﴾ [العاديات: ١] وهي الخيول ؟

ج : **قال بعض أهل العلم : وإنما أقسم الله عز وجل بخيل الغزاة تنبيهًا على فضلها وفضل رباطها في سبيل الله ، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة .**

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧] ؟

ج : **من أهل العلم من قال** : إن الضمير في قوله : **﴿وَإِنَّهُ﴾** راجع إلى الله سبحانه وتعالى فالمعنى على هذا : وإن الله عز وجل على كفران العبد لنعم ربه بل وكفرانه ربه لشهيد .

والمعنى الثاني : أن الضمير يرجع إلى الإنسان ، فالمعنى : وإن الإنسان لشهيد يشهد على نفسه بأنه كنود ، ولسان حاله يؤيد ذلك ، واستدل لهذا القول بالضمير الذي يليه في قوله : **﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾** [العاديات: ٨] ومن شهادة الحال قوله تعالى : **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ... ﴾** [التوبة: ١٧] .

س ـ أليس اللَّه خبيرًا بالعباد في كل حال ؟ فلما خُصَّ ذلك اليوم بقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١] ؟

ج : الذي يبدو لي من أقوال المفسرين في ذلك : أن المعنىٰ : إن ربهم بهم لخبير وسيجازيهم يومئذ علىٰ أفعالهم وهذا حاصل كلام بعض المفسرين ، وقد طرح **ابن الجوزي في « زاد المسير »** نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله : المعنىٰ: أنه يجازيهم علىٰ أفعالهم يومئذ ، ومثله : ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] معناه : يجازيهم علىٰ ذلك ، ومثل : ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦] .

وقال الزجاج : اللَّه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ، ولكن المعنىٰ أن اللَّه يجازيهم علىٰ كفرهم في ذلك اليوم .

● **وقال الطبري في تأويلها** : إن ربهم بأعمالهم ، وما أسروا في صدورهم وأضمروه فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها عليم لا يخفىٰ عليه منها شيء وهو مجازيهم علىٰ جميع ذلك .

● **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** :

قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١] ذكر الظرف هنا يُشعر بقصر الوصف عليه مع أنه سبحانه خبير بهم في كل وقت في ذلك اليوم وقبل ذلك اليوم ، ولكنه في ذلك اليوم يُظهر ما كان خفيًا فهو سبحانه يعلم السر وأخفىٰ ، وهو سبحانه لا تخفىٰ عليه خافية .

ولكن ذكر الظرف هنا للتحذير مع الوصف بخبير أخص من عليم كما في قوله : ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] .



سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

القارعة ـ المبثوث ـ العهن ـ المنفوش ـ عيشة راضية ـ حامية ؟

ج :

الكلمة	معناها
القارعة	القيامة والساعة[1]

---

(١) **قال القرطبي** : كذا قال عامة المفسرين ، وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ، وأهل اللغة يقولون : تقول العرب : قَرَعَتْهُمُ القارعة ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة ؛ إذا وقع بهم أمر فظيع .
قال ابن أحمر :

وقارعةٍ مِنَ الأيام لَوْلاَ ⁝ سبيلهم لزاحت عنك حِينا

الكلمة	معناها
المبثـــوث	المتفرق ـ المنتشر
العهـــن	الصوف ، ومن العلماء من قال : إنه الصوف الملون
المنفـــوش	النفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض[1]
عيشة راضية	عيشة مرضية[2] قد رضيها صاحبها في الجنة
حاميـــة	بلغت أعلى درجات حرارتها ، وبلغت في الشدة إلى غايتها

= وقال آخر : مَتَىٰ تَقْرَعْ بمَرْوتكُمْ نَسُؤْكُمْ ولم تُوقَدْ لَنَا في القدْرِ نَارُ

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدة من شدائد الدهر .

• **وقال الطبري رحمه الله** : يقول تعالى ذكره : ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولُها وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لا ليل بعدها .

• **وقال أبو السعود** : القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ، وهي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حالٍ إلى حال : السماء بالانشقاق والانفطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار ، والأرض بالزلزال والتبديل ، والجبال بالدك والنسف .

(١) **قال الرازي رحمه الله** : واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ، ثم إنه سبحانه يفرِّق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشًا .

(٢) **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** :

وقوله : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] قالوا: مرضية، وراضية أصلها مرضية ، =

كما في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨، ٩] ، إسناد الرضى للعيشة ، على أنها هي فاعلة الرضى ، لأن كلمة العيشة جامعة لنعيم الجنة وأسباب النعيم ، راضية طائعة لينة لأصحاب الجنة ، فتفجر لها الأنهار طواعية ، وتدفق الثمار طواعية، كما في قوله : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] .

فالقول الأول : هو المعروف في البلاغة بإطلاق المحل وإرادة الحال ، كقوله تعالى : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] .

والنادي : مكان منتدى القوم ، أي : ينادي بعضهم بعضًا للاجتماع فيه .

والمراد : من يحل في هذا النادي ، ويكون هنا أطلق المحل وهو محل العيشة ، وأراد الحال فيها .

وعلى الثاني : فهو إسناد حقيقي من إسناد الرضى لمن وقع منه أو قام به ؛ ومما هو جدير بالذكر أن حمله على الأسلوب البياني ليس متجهًا كالآية الأخرى ، لأن العيشة ليست محلاً لغيرها بل هي حالة ، والمحل الحقيقي هو الجنة والعيشة حالة فيها ، وهي اسم لمعاني النعيم كما تقدم ، فيكون حمل الإسناد على الحقيقة أصح .

وقد جاءت الأحاديث : أن الجنة تحس بأهلها وتفرح بعمل الخير ، كما أنها تتزين وتبتهج في رمضان ، وأنها تناظرت مع النار وكل يدلي بأهله وفرحه بهم ، حتى وعد اللَّه كلاً بملئها .

ونصوص تلقي الحور والولدان والملائكة في الجنة لأهل الجنة بالرضى والتحية معلومة .

وقوله : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] أي : لا يتأخر عنهم شيء .

وقوله : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وقوله : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقاصرات الطرف عن رضى بأهلهن . ومنه : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي : على أزواجهن .

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] ونحو ذلك ، مما يشعر بأن نعيم الجنة بنفسه راض بأهل الجنة . واللَّه سبحانه وتعالى أعلم .

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٢] ؟ ولماذا سميت بالقارعة ؟

ج : المعنىٰ : وأي شيء هي القارعة ، استفهام لبيان عظيم شأنها وشدة هولها وفظاعتها فما أفظعها وما أعظمها وما أهولها وسميت بالقارعة ، لما تقدم من أنها تقرع الناس بأهوالها وشدتها والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣] : وما أعلمك وما أشعرك يا محمد أي شيء القارعة وما شأنها ؟

* * *

س ـ لماذا شبه الناس بالفراش المبثوث ؟

ج : شبهوا بالفراش المبثوث لانتشارهم وتفرقهم وحيرتهم وذهابهم ومجيئهم ولكثرتهم وتطايرهم إلىٰ الداعي كتطاير الفراش إلىٰ النار ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجلٍ استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها**»[1] .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] **وبين قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾** [القمر: ٧] **؟ ففي الآية الأولى وصف الناس بالفراش ، وفي الثانية وصفوا بالجراد المنتشر ؟**

ج : جمع بعض أهل العلم بين ذلك فقالوا : إن أول حال الناس أنهم يكونون كالفراش يتحيرون ذهابًا وإيابًا وفي كل إتجاه لا وجهة لهم ثم يكونون كالجراد لأن للجراد وجهة تقصدها ، فكل منهم يقصد وجهة معينة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالموازين في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦] **وفي قوله سبحانه : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾** [القارعة: ٨] **؟**

ج : المراد ـ والله أعلم ـ : موازين الحسنات ، فمن ثقلت كفة موازين حسناته فهو في عيشة راضية ، ومن خفت موازين حسناته فأمه هاوية .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] **؟**

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن المراد بأمه ، أم رأسه ، أي : رأسه ، وهاوية من قوله هوىٰ يهوي ، فالمعنىٰ : أنه يهوي برأسه في النار .

الثاني :أن معنى أمه ، أي : مسكنه[1]، وهاوية هي النار لأنه يهوي إليها وأطلق على النار أنها أمه لأنه يهوي إليها كما يهوي الشخص إلىٰ أمه فالنار مسكنه لا مسكن له غيرها ، ويؤيد هذا القول قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] .

الثالث : أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا : هوت أمه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٨، ٩] .

وقع الخلاف في المراد من قوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩] هل المراد بأمه مأواه وهي النار ، وأن هاوية من أسمائها ، أم المراد بأمه رأسه وأن هاوية من الهوي ، فيلقىٰ في النار منكسًا رأسه يهوي في النار .

وقد بحث الشيخ رحمة اللَّه تعالىٰ علينا وعليه ذلك في «دفع إيهام الاضطراب» ، ولا يبعد من يقول إنه لا تعارض بين القولين .

---

(١) وقد ورد في هذا الباب حديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين ، فتقول له : ما فعل فلان فإذا [قال مات] قالوا : ذُهب به إلىٰ أمه الهاوية» .

فتكون أمه هاوية ، وهي النار ، ويلقى فيها منكسًا تهوي رأسه والعياذ باللَّه .

وحكى القرطبي على أن الأم بمعنى قول لبيد :

فالأرض معقلنا وكانت أُمنًا فيها مقابرنا وفيها نولد

وعلى معنى الهاوية : البعيدة والداهية ، قول الشاعر :

يا عمرو لو نالتك رماحنا .:. كنت كمن تهوي به الهاويه

والهاوية : مكان الهوي .

كما قيل :

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة .:. بعيدة مهوى القرط مياسة القد

أو طيبة النشر .

وفي الحديث : **«إن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أربعين خريفًا»** .

نسأل اللَّه السلامة .

وقد فسر الهاوية بما بعدها : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١٠، ١١] .

وقد فسر الهاوية بأنها أسفل دركات النار . عياذًا باللَّه .

وقد جاء قوله تعالى : ﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٤ - ٦] .

والنبذ : الطرح ، مما يرجح ما قلناه من إمكان إرادة المعنيين كون أمه هي الهاوية ، أي : النار ، يهوي فيها على أم رأسه ، وذلك بالنبذ في الهاوية بعيدة المهوى ، وعادة الجسم إذا ألقى من شاهق بعيدًا يسبقه إلى أسفل أثقله ، وأثقل جسم الإنسان رأسه . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الدالة على عظمة نار جهنم ؟

ج : من ذلك ما يلي : ـ

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير**» .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم [٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**» ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : «**فُضِّلَت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثلُ حرِّها**» .

● وأخرج مسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا

---

[١] البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

[٢] أخرجه البخاري (٣٢٦٥) .

[٣] أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً [١] فقال النبي ﷺ : **«تدرون ما هذا ؟»** قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : **«هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»** .

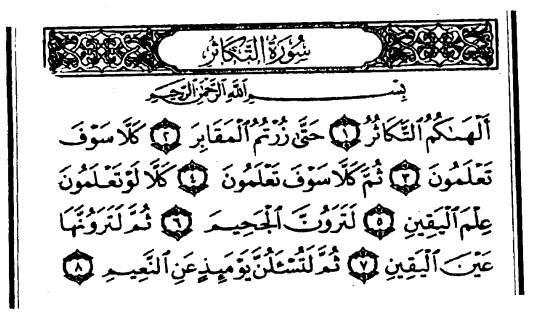
وقد تقدم حديث ابن مسعود عند مسلم [٢] قال : قال رسول الله ﷺ : **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** .

وقد تقدمت أحاديث أُخر في هذا الباب .



(١) وجبة أي سقطة .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .



س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي :ـ

ألهاكم ـ التكاثر ـ علم اليقين ـ عين اليقين ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألهاكم	شغلكم ـ والإلهاء التباهي بكثرة المال والولد والجاه، والإلهاء الانصراف إلى اللهو
التكاثر	المكاثرة من قولهم نحن أكثر من بني فلان وبني فلان مالاً وولدًا [1]

(١) أخرج مسلم من طريق مطرف (وهو ابن عبد الله بن الشخير) عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر : ١]، قال: «يقول ابن آدم مالي مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» (مسلم حديث ٢٩٥٨).

الكلمة	معناها
علم اليقين	علمًا يقينيًّا [(١)]
عين اليقين	يقينًا بأعينكم لا تغيبون عنها [(٢)]- رؤية مشاهدة ومعاينة

❊ ❊ ❊

س - في أي شيء كانت المكاثرة التي ألهتهم ؟

ج : الغالب أن التكاثر يكون بالمال والولد والجاه والأنصار كما ذكر اللَّه سبحانه صاحبَ الجنتين لما افتخر على صاحبه بقوله : ﴿ **وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً** ﴾ [الكهف: ٣٤]، ولكن التكاثر أُجْمِلَ في الآية الكريمة ليعم كل نوعٍ مما يتكاثر به الناس.

قال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم» ص ٥١٣ - ٥١٤) :

●ولم يعين سبحانه وتعالى المتكاثر به ، بل ترك ذكره إما لأن

---

(١) **قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره»** في تفسير قوله تعالى : ﴿ **كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴾ [التكاثر: ٥] : يقول تعالى ذكره ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر أيها الناس ، لو تعلمون أيها الناس علمًا يقينًا أن اللَّه باعثكم يوم القيامة - من بعد مماتكم - من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة ربكم ولسارعتم إلى عبادته والانتهاء إلى أمره ونهيه ورفض الدنيا إشفاقًا على أنفسكم من عقوبته .

ثم ساق الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن اللَّه باعثه بعد الموت .

(٢) وبنحو ذلك قال الطبري في «تفسيره» .

المذموم هو نفس التكاثر بالشيء ، لا المتكاثر به ، كما يقال : شغلك اللعب واللهو ، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به ، وإما إرادة الإطلاق[1] وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء أو غراس أو علم لا يبتغي به وجه اللّه أو عمل لا يقربه إلى اللّه فكل هذا من التكاثر الملهي عن اللّه والدار الآخرة ، وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد اللّه بن الشخير أنه قال : «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ؟** » .

وقال ابن القيم رحمه اللّه أيضًا (ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣) :

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك : توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة

(١) **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : ويعني رحمه اللّه بالاول ذم الهلع والنهم . وبالثاني : ليعم كل ما هو صالح للتكاثر به ، مال وولد وجاه وبناء وغراس .

حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها. وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يلزم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة . فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد .

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلْهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٍ إلىٰ غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنىٰ . وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرىٰ غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأىٰ غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرىٰ ، وهو قادر علىٰ المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره .

وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين

لعمر مدى سبق أبي بكر له قال : «والله لا أسابقك إلى شيء أبدًا» .

وقال السعدي في «تفسيره» : ولم يذكر المتكاثر به ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون من الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر ، وليس المقصود منه وجه الله .

* * *

س ـ عن أي شيء ألهاهم التكاثر ؟

ج : ألهاهم التكاثر عن عبادة ربهم وعن العمل للآخرة وعن علم ما ينفعهم في أُخراهم .

وقال الرازي في «تفسيره» : إنه تعالى لم يقل : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] عن كذا وإنما لم يذكره لأن المطلق أبلغ في الذم لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله الموضع، أي ألهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتدبر والتفكر أو نقول : إن نظرنا إلى ما قبل هذه الآية فالمعنى : ألهاكم التكاثر عن التدبر في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت ، وإن نظرنا إلى الأسفل فالمعنى : ألهاكم التكاثر فنسيتم القبر حتى زرتموه .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» : أخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدار الآخرة .

س ـ ما المراد بزيارة المقابر في الآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بزيارة المقابر : الذهاب إليها ، وذلك أنهم استمروا في التكاثر والتباهي بالأشخاص حتىٰ عددوا من مات منهم وذهبوا إلىٰ القبور يتباهون حتىٰ بالموتىٰ .

الثاني : أن المراد بزيارة المقابر : الموت ، فقوله : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] معناه : حتىٰ متم وصرتم إليها ودفنتم فيها .

* * *

س ـ لماذا عُبر بقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] ؟

ج : ذلك تمشيًا مع أصول اعتقادنا أهل الإسلام من أن هناك بعثًا ، فالمعنىٰ : حتىٰ أتاكم الموت فصرتم في المقابر زورًا ثم ترجعون منها كرجوع الزائر إلىٰ منزله من جنة أو نار .

● **قال ابن القيم رحمه الله** : وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت إيذانًا بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور وأنهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها ودار القرار هي الجنة أو النار[1].

* * *

(١) قال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم ص ٥٢٤) :

وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلىٰ غاية كل حي زائرين غير مستوطنين ، بل هم =

س ـ اذكر بصورة مجملة معنى قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : شغلكم التكاثر بحطام الدنيا الفاني من أموال وأولاد وجاه وأنصار وقبائل وعشائر وثراء وخدم وعبيد وسائر الشهوات عن الله عز وجل وعن طاعته وعبادته حتى وافاكم الموت وأدرككم وأنتم على هذه الحال .

* * *

الأدلة على إثبات عذاب القبر :

س ـ استدل بعض العلماء بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ٢] على إثبات عذاب القبر فما وجه استدلالهم ؟ وهل من أدلة أصرح من ذلك تبين أن عذاب القبر كائن لمن يستحقه ؟

ج : استدل بذلك الطبري رحمه الله تعالى فقال : وقوله : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ٢] يعني حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها، وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر لأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون إذا

مستودعون في المقابر مدة ، وبين أيديهم دار القرار . فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار ؟ فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة ، ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر .

فهنا ثلاثة أمور : عبور السبيل في هذه الدنيا ، وغايته زيارة القبور ، وبعدها النقلة إلى دار القرار .

هم زاروا القبور وعيدًا منه لهم وتهددًا ، ثم ساق بأسانيده من طريق حجاج عن المنهال عن زر عن علي رضي اللَّه عنه قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه الآية : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ إلى قوله : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١ - ٣] في عذاب القبر ، وفي لفظ : نزلت ألهاكم التكاثر في عذاب القبر .

أما الأدلة الأصرح من ذلك في إثبات عذاب القبر فمنها ما يلي :

● قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] .

●وقوله تعالى : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] .

● ومن السنة جملة أحاديث في ذلك ، منها ما يلي :

● حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما مرفوعًا عند الإمام أحمد ، وقد تقدم بتمامه في تفسير سورة النازعات من هذا الكتاب ، وفيه : «.. **فينادي منادٍ من السماء أن كذب[1] فأفرشوا له من النار وافتحوا**

---

(١) وذلك في شأن الكافر .

له بابًا إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ...» الحديث .

وقد استدل البخاري رحمه اللَّه لإثبات عذاب القبر بجملة أدلة من الكتاب والسُّنة .

• منها : قول اللَّه تعالى : ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الهُون : هو الهوان .

• ومنها : قول اللَّه تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] .

• وقول اللَّه تعالى : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] .

• واستدل غير البخاري أيضًا بقول اللَّه تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧] .

• واستدل البخاري أيضًا بحديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه» فذلك قوله : ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) .

● واستدل أيضًا بحديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : اطلع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على أهل القليب فقال : «**وجدتم ما وعد ربكم حقًّا**» فقيل له : تدعو أمواتًا ؟ فقال : «**ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون**» البخاري (١٣٧٠) ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث عمر وأنس (٢٨٧٣) ، (٢٨٧٤) وله طرق أخرى .

● وبحديث عائشة رضي اللَّه عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك اللَّه من عذاب القبر فسألت عائشة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن عذاب القبر فقال : «**نعم عذاب القبر**» قالت عائشة : فما رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر (١٣٧٢) .

● وبحديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها (١٣٧٣) قالت : قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة .

● وحديث أنس (١٣٧٤) وفيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وإنه يسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت**

ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» .

• وعند مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت قالت : إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : **«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»** .

وهناك جملة كبيرة في «الصحيحين» في هذا الباب غير ما ذكرنا .

ولهذا قال النووي رحمه الله («شرح مسلم» ٥/ ٧١٩) :

اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ [غافر: ٤٦] الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده ، وقد ذكر مسلم أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، وسماع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صوت من يعذب فيه، وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأهل القليب وقوله : **«ما أنتم بأسمع منهم»** ، وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما، والفسح له في قبره، وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، وسبق معظم شرح هذا في كتاب الصلاة وكتاب الجنائز (أي : عند مسلم) والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة

وبعض المرجئة نفوا ذلك ، ثم المعذَّب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلىٰ جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير وعبد اللَّه بن كرام وطائفة فقالوا : لا يشترط إعادة الروح قال أصحابنا : هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي قال أصحابنا : ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك ، فكما أن اللَّه تعالىٰ يعيده للحشر وهو سبحانه قادر علىٰ ذلك فكذا يعيد الحياة إلىٰ جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان ، فإن قيل : فنحن نشاهد الميت علىٰ حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟ فالجواب : أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها ، وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جالسوه منه ، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جلي ، قال أصحابنا : وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أن يكون مختصًا بالمقبور دون المنبوذ ، ومن أكلته السباع والحيتان ، وأما ضربه بالمطارق فلا يمنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويُضرب واللَّه أعلم .

قلت : ولمزيد في هذا الباب انظر «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣) فما بعدها .

* * *

حكم زيارة القبور :

س ـ ما حكم زيارة الرجال والنساء للقبور ؟

ج : زيارة القبور بالنسبة للرجال مستحبة ، فقد كان النبي ﷺ يزور القبور ، ويحث على زيارتها ، قال عليه الصلاة والسلام : «.. **فزوروا القبور فإنها تُذكر الموت**» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» إلى غير ذلك من الأحاديث ، وستأتي إن شاء اللَّه .

أما زيارة النساء للقبور فمحل خلاف بين أهل العلم ، والراجح فيه لدينا أن زيارتهن للقبور مستحبة أيضًا ما لم يُصاحب ذلك مخالفات شرعية ، وهذه بعض الأدلة في ذلك وأقوال أهل العلم :

أولاً : أدلة المانعين :

● أخرج الإمام أحمد[1] رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن لشواهده من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ لعن زورات القبور[2] .

الدليل الثاني للمانعين : أخرج أبو داود والنسائي [3] من حديث

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٧) والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٦) والبيهقي (٤/٧٨) ، وانظر تخريجه في كتابنا «جامع أحكام النساء» .

(٢) نقل الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٣/١٤٩) عن القرطبي قوله : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة .

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي (٤/٢٧ ـ ٢٨) وإسناده ضعيف . =

عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال : قَبَرنا مع رسول اللَّه ﷺ ـ يعني ميتًا ـ فلما فرغنا انصرف رسولُ اللَّه ﷺ وانصرفنا معه فلما حاذىٰ بابه وقف فإذا نحن بامرأة مُقْبِلة ـ قال : أظنه عرفها ـ فلما ذهبتُ إذا هي فاطمةُ عليها السلام فقال لها رسول اللَّه ﷺ : **«ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟»** فقالت : أتيت يا رسول اللَّه أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به ، فقال لها رسول اللَّه ﷺ : **«فلعلك بلغت معهم الكدىٰ»** قالت : معاذ اللَّه !! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر ، قال : **«لو بلغت معهم الكدىٰ ...»** فذكر تشديدًا في ذلك فسألت ربيعة عن الكدىٰ فقال : القبور فيما أحسب .

ثانيًا : أدلة المجيزين :

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قَبْرٍ فقال : **«اتقي اللَّه**

= ● وقد ضعف النووي في «المجموع» (٥/ ٢٧٨) هذا الحديث .

● أما معنىٰ الكدىٰ فقال الخطابي : جمع كدية وهي القطعة الصلبة من الأرض ، والقبور إنما تحفر في المواضع الصلبة لئلا تنهار ، والعرب تقول : ما هو إلا ضب كدية إذا وصفوا الرجل بالدهاء والأرب ، ويقال : أكدىٰ الرجل إذا حفر فأفضىٰ إلىٰ الصلابة ، ويضرب به المثل فيمن أخفق فلم ينجح في طلبته .

● هذا وقد استدل المانعون من زيارة النساء للقبور بحديث أم عطية المتقدم (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) وليس بصريح في بابه ، وأيضًا فالنهي واضح أنه في هذا الحديث للتنزيه وليس للتحريم واللَّه أعلم .

(١) البخاري (حديث ١٢٨٣) ومسلم (ص ٦٣٧) وأبو داود (٣١٢٤) والترمذي (حديث ٩٨٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

واصبري»، قالت : إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي ولم تَعْرفهُ فقيل لها : إنه النبيُّ ﷺ فأتت النبيَّ ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لَمْ أعْرِفْك فقال : «**إنما الصبرُ عند الصَّدْمَة الأولى**»[١].

الدليل الثاني للمجيزين :

أخرجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : زار النبيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّه فَبَكَى وأبكى من حَوْلَه فقال : «**استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تُذَكِّر الموتَ**»[٣].

الدليل الثالث للمجيزين :

أخرجه مسلم[٤] وأحمد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه

---

(١) موضع الدلالة من هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة . قاله الحافظ .

وقال أيضًا : وفيه جواز مخاطبة الرجال للنساء في مثل ذلك بما هو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو موعظة أو تعزية وأن ذلك لا يختص بعجوز دون شابة لما يترتب عليه من المصالح الدينية .

وقال النووي رحمه اللَّه : فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كل أحد .

قلت : ومحل ذلك كله إذا أمنت الفتنة واللَّه أعلم .

أما قوله : «**إنما الصبر عن الصدمة الأولى**» فقد نقل الحافظ («الفتح» ٣/ ١٥٠) عن الخطابي قوله : والمعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو .

(٢) مسلم (حديث ٦٧١) .

(٣) ووجه الاستشهاد منه قوله : «**فزوروا القبور**» وهذا عام يدخل فيه النساء والرجال .

(٤) أخرجه مسلم (٦٦٩) وأحمد (٦/ ٢٢١) وعبد الرزاق (٦٧١٢) .

عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه ﷺ ؟ قلنا : بلى ، قال: قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رِدَاءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبَسَطَ طَرَفَ إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قَدْ رقدتُ فأخذ رِدَاءه رُويدًا وانتَعل رُويدًا وفتح الباب فَخَرَجَ ثم أَجَافه[١] رُويدًا فجعلت دِرْعي[٢] في رَأْسي واختمرتُ وتَقَنَّعتُ إزاري ثم انطلقت على إِثْرِه حتى جاء البقيع فقام فَأَطَال القيام ثم رَفَعَ يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفتُ فأسرعَ فأسرعتُ فهرول فهرولتُ فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرتُ[٣] فسبقْتُهُ فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعتُ فَدَخَلَ فقال : « **مَالَكِ يا عائشُ حَشْيًا رابيةً** » قالت: قلتُ : لا شيء ، قال : «**لَتُخْبِرِيني أو لَيُخْبِرني اللطيفُ الخبيرُ**» قالت : قلت : يا رسول اللَّه ! بأبي أنت وأمي فَأَخْبَرْتُهُ قال : «**فأنت السَّوادُ الذي رأيتُ أمامي ؟**» قلتُ : نعم فلهدني في صَدْرِي لهدةً أوجعتني ثم قال : «**أَظَنَنْتِ أن يَحيف اللَّه عليك ورسوله ؟**» قالت : مهما يكتم الناسُ يعلمه اللَّه . نعم قال : «**فإن جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني فأخفاه منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَكِ وظننتُ أن قد رَقَدْتِ فكرهتُ أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال : ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**» قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول اللَّه[٤] قال :

(١) أجافه أي أغلقه .

(٢) درعي أي قميصي .

(٣) فأحضر فأحضرت أي عدا فعدوت فالإحضار هنا هو العَدْوُ .

(٤) فيه دليل على أن المرأة تأتي المقبرة وتسلم على الأموات بقولها : السلام على أهل الديار . . وقد استدل به عدد من أهل العلم على ذلك .

=

«قولي : السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون» .

رأي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

أخرج الحاكم في «المستدرك»[1] بإسناد صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها أقبلت ذات يومٍ من المقابر فقلتُ لها : يا أم المؤمنين : من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقلت لها : أَلَيس كان رسولُ الله ﷺ نهى عن زيارةِ القبور؟ قالت : نعم ، كان نهى ثم أَمَرَ بزيارتها .

وأخرج الترمذي[2] بإسناد صحيح عنْ عبد الله بن أبي مليكة قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحُبْشِي قال : فَحُمِلَ إلى مكةَ فَدُفِنَ فيها فلما قَدِمَتْ عائشةُ أَتَتْ قَبْرَ عبدَ الرحمن بن أبي بكر فقالت :

وكنا كَنَدْمَاني جَذِيمةَ حِقْبَةً .·. مِـن الدَّهر حتى قيل لـن يتصدعا

فلمـا تفرقنـا كأنـي ومالكًا .·. لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معًا [3]

تنبيه : ورد في «سنن البيهقي» (٧٨/٤) في معرض الجواز ـ أن فاطمة رضي الله عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده . وهذا الحديث ضعيف لا يثبت عنها رضي الله عنها ، وقد قال الحاكم رحمه الله : هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات فتعقبه الذهبي بقوله : هذا منكر جداً سليمان (أحد رواته) ضعيف وقال البيهقي : إنه منقطع .

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٦) والبيهقي (٧٨/٤) .

(٢) الترمذي (حديث ١٠٥٥) .

(٣) فيه بيت شعر أسقط ، وذكره الصنعاني في «السبل» (٥٧٩) .

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا .·. أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا =

ثم قالت : لو حضرتُك ما دُفِنْتَ إلا حيثُ مُتَّ ولو شهدتُكَ ما زُرتُكَ .

الدليل الرابع للمجيزين : أخرجه مسلم [1] من حديث بريدة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**نهيتكم عن زيارة القبور فَزُورُوها ونهيتُكم عن لحومِ الأضاحي فوق ثلاث فَأَمْسِكُوا ما بَدَا لكم ونهيتكُم عن النبيذ إلا في سِقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تَشْرَبوا مُسْكِرًا**» .

بعض أقوال أهل العلم في الباب

تقدم أن عائشة رضي الله عنها كانت ترىٰ جواز زيارة النساء للقبور بل وقد زارت هي نفسها أيضًا قبر أخيها .

قال الترمذي رحمه الله (عقب حديث ١٠٥٦) :

وقد رأىٰ بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء ، وقال بعضهم : إنما يكره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

= والأبيات لتميم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد ، وخزيمة كان ملكًا بالعراق والجزيرة وضم إليه العرب وهو صاحب الزباء ، وفي القاموس : الزباء : ملكة الجزيرة ، وتعد من ملوك الطوائف ، أي كنا كنديمي جذيمة وجليسيه ، ومالك هو ابن نويرة انتهى بتصرف من «تحفة الأحوذي» (٤/ ١٦٢) .

(١) مسلم (حديث ٩٧٧) .

● **وقال البيهقي رحمه اللَّه (٤/ ٧٨ «السنن الكبرىٰ») :**

وقد روينا في الحديث الثابت عن أنس بن مالك : أن رسول اللَّه ﷺ مر بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها: «**اتقي اللَّه واصبري**»، وليس في الخبر أنه نهاها عن الخروج إلىٰ المقبرة ، وفي ذلك تقوية لما روينا عن عائشة رضي اللَّه عنها ، إلا أنه أصح ما روىٰ في ذلك صريحًا حديث أم عطية[1] وما يوافقه من الأخبار ، فلو تنزهن عن اتباع الجنائز والخروج إلىٰ المقابر وزيارة القبور أبرأ لدينهن ، وباللَّه التوفيق .

● **وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٣١١) :**

ومما يدل علىٰ أن زيارتهن ليست حرامًا حديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي اللَّه واصبري**» رواه البخاري ومسلم ، وموضع الدلالة أنه ﷺ لم ينهها عن الزيارة ، وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كيف أقول يا رسول اللَّه ـ يعني إذا زرت القبور ـ قال : «**قولي : السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء بكم للاحقون**» .

وانظر مزيدًا هناك أيضًا .

● **وقال ابن حزم رحمه اللَّه («المحلىٰ» ٥/ ١٦٠) :**

ونستحب زيارة القبور ، وهو فرض[2] ولو مرة ولا بأس بأن يزور

---

(١) يعني بحديث أم عطية : (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) .

(٢) قول ابن حزم رحمه اللَّه بأن ذلك فرض مما ينازع فيه، فهو راجع إلىٰ مسألة الإباحة بعد الحظر، وقد قدمنا الكلام علىٰ هذه المسألة في أبواب الطهارة من كتابنا «جامع أحكام النساء» وكذلك =

المسلم قبر حميمه المشرك الرجال والنساء سواء .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله («فتح الباري» ٣/ ١٤٨) :**

واختلف في النساء فقيل: دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر، ومحله ما إذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث : (مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر . . .) .

● **قال الشوكاني رحمه الله («نيل الأوطار» ٤/ ١١١) في خاتمة بحثه :**

قال القرطبي : واللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة (يعني زوّارات) من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك ، وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . انتهى .

قال الشوكاني :

وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر والله أعلم .

● **وقال ابن القيم رحمه الله (مع «عون المعبود» ٩/ ٥٨) :**

وقد اختلف في زيارة النساء للمقابر على ثلاثة أقوال :

أحدها : التحريم لهذه[1] الأحاديث .

= عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

(١) يعني حديث «لعن الله زورات القبور» وحديث فاطمة ، المتقدمين . =

الثاني : يكره من غير تحريم ، وهذا منصوص أحمد في إحدى الروايات عنه وحجة هذا القول حديث أم عطية المتفق عليه : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا .

وهذا يدل على أن النهي للكراهة لا للتحريم .

الثالث : أنه مباح لهن غير مكروه وهو الرواية الأخرى عن أحمد . . ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ أدلة هذا القول ثم جنح إلى القول بالمنع في خاتمة بحثه واللَّه أعلم .

فائدة :

قال القرطبي رحمه اللَّه[1] : قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه ، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ومَوتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضِرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين . فهذه ثلاثة أمور ، ينبغي لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه ؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت ، وانجلت به قساوة قلبه فذاك ، وإن عظم عليه ران قلبه ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ؛ فإن مشاهدة المحتضرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير . وفي مشاهدة من احتُضِر ، وزيارة قبر من مات من المسلمين مُعايَنَةٌ ومشاهدة ؛ فلذلك كان أبلغ من الأوّل ؛ قال ﷺ : **«ليس الخبر كالمعاينة»** . رواه ابن عباس . فأما الاعتبار بحال المحتَضَرِين ، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات . وأما زيارة القبور فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر . فينبغي لمن عزم على الزيارة ، أن يتأدّب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط ؛ فإن حاله تشاركه فيها بهيمة . ونعوذ باللَّه من ذلك . بل يقصدر بزيارته وجه اللَّه تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع =

---

(١) القرطبي في «التفسير» (١١٧/٢٠) .

حاصل القول في هذا الباب والعلم عند الله تعالى

بالنظر في أدلة المجيزين والمانعين نرى الآتي :

أولاً : أحاديث الجواز أصح من أحاديث المنع فلا يثبت من أحاديث المنع إلا حديث : **«لعن اللّٰه زوارات القبور»** على ما فيه .

ثانيًا : **تقدم التنبيه على أن لفظ «زوارات» يقتضي كثرة الزيارة فلا يدخل فيه من زارت مرة بعد مرة كل حين .**

= الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء ، ويتجنب المشي على المقابر ، والجلوس عليها ويُسلم إذا دخل المقابر ، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضًا ، وأتاه من تلقاء وجهه ، لأنه في زيارته كمخاطبته حيًّا، ولو خاطبه حيًّا لكان الأدب استقباله بوجهه ؛ فكذلك ها هنا . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ؛ فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه . فليتأمّل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودَرَج من أقرانه الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ؛ كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمّل من بعدهم نساؤهم، وشَمِل ذل اليتم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم . وليتذكر تردّدهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع ، والهلاك السريع ، كغفلتهم ، وأنه لابدّ صائر إلى مصيرهم ، ولْيُحضر بقلبه ذِكر من كان متردّدًا في أغراضه ، وكيف تهدّمت رجلاه . وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خُوِّلَه وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله . وعند هذا التذكُّر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه .

ثالثًا : حديث : «**لعن اللَّه زوارات القبور**» ذكر بعض أهل العلم أنه منسوخ بحديث : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» . والنساء يحتجن إلى تذكر الآخرة كالرجال .

رابعًا : ما فهمته عائشة رضي اللَّه عنها فهي إحدى النساء ـ بل هي أمهن وأمنا ـ اللواتي يعنيهن الأمر وكون رسول اللَّه علمها ما تقول إذا أتت المقبرة وكونها زارت قبر أخيها بعد موته ، كل هذا يدل على جواز زيارة النساء للقبور ويقوي القول القائل بهذا ، واللَّه أعلم .

تنبيهات

١ ـ إذا علم من حال النساء وأنهن ـ بذهابهن إلى القبور ـ يصحن وينحن ويعددن على الأموات ويفعلن البدعة والمحرمات ، فتحرم حينئذ زيارتهن للقبور فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٢ ـ إذا علم من أحوالهن كذلك أنهن يذهبن إلى قبور بعض ما يطلقون عليهم الصالحين أو أولياء اللَّه يلتمسون عندهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات وكشف الغمات فهذا شرك وتحرم عندئذ الزيارة بلا شك .

٣ ـ إذا ذهبت النساء متبرجات متعطرات فكذلك يحرم خروجهن .

٤ ـ إذا خصصت النساء يومًا لزيارة القبور فيه ـ كما يحدث من تخصيص أيام الجمع والأعياد ونحو ذلك فهذا من البدع التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان .

وفقنا اللَّه لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣] ؟

ج : (كلا) كلمة تحمل معنى النفي والردع والزجر كما قدمناه مرارًا من قبل .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم») :

ومن تأمل حسن موقع ﴿ كَلاَّ ﴾ في هذا الموضع ، فإنها تضمنت ردعًا لهم ، وزجرًا عن التكاثر ، ونفيًا وإبطالاً لما يؤملونه ، من نفع التكاثر لهم ، وعزتهم وكمالهم به ، فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا ، وأخبرهم سبحانه أنهم لابد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علمًا بعد علم ، وأنهم لابد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا التي ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية ، وأنه سبحانه لابد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم : من أين استخرجوها ؟ وفيم صرفوها ؟

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣] تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون نتيجة انشغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة اللَّه عز وجل .

* * *

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٤] ؟

ج : كرر قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٤] لإرادة التغليظ في التخويف والتهديد والردع والزجر ، والعرب إذا أرادوا التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلام ، كما قال النبي ﷺ : «**ألا وقول الزور ..**» فما زال يكررها حتى قال الصحابة : ليته سكت .

- ومن العلماء من قال : قوله : ﴿**كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٣] أيها الكفار ، وقوله : ﴿**ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٤] أنتم أيضًا يا مؤمنون .

- ومن العلماء من قال : قوله تعالى : ﴿**كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٣] هذا عند الموت وفي القبر ، وقوله تعالى : ﴿**ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [التكاثر : ٤] عند قيام الساعة .

- ومن العلماء من قال : العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر[1].

---

(١) **قال ابن القيم رحمه الله («التفسير القيم» ص ٥١٦ ـ ٥١٨) :**

ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه :

أحدها : أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل . وقد أمكن اعتباره ، مع فخامة المعنى وجلالته ، وعدم الإخلال بالفصاحة .

الثاني : توسط «ثم» بين العلمين ، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبين زمانًا وخطرًا .

الثالث : أن هذا القول مطابق للواقع . فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علمًا يقينيًا ، هو فوق العلم الأول . =

. . . .

= الرابع : أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر. قال الترمذي : حدثنا أبو كريب حدثنا حكام بن سليم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج بن منهال بن عمرو عن زر عن علي رضي الله عنه قال : «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ » قال الواحدي : يعني أن معنى قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] في القبر .

الخامس : أن هذا مطابق لما بعده من قوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين : إطلاق الأولى ، وتقييد الثانية بعين اليقين ، وتقدم الأولى ، وتراخي الثانية عنها .

ثم ختم السورة بالإخبار المؤكد بواو القسم ولام التأكيد ، والنون الثقيلة عن سؤال النعيم . فكل أحد يسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا : هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال ، سئل سؤالاً آخر : هل شكر الله تعالى عليه ، فاستعان به على طاعته أم لا ؟

فالأول سؤال عن سبب استخراجه .

والثاني : عن محل صرفه . كما في «جامع الترمذي» من حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن شبابه : فيما أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ؟ وفيما ذا عمل فيما علم ؟» .

وفيه أيضًا : عن أبي برزة قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن علمه : فيما عمل فيه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه وفيما أبلاه ؟» وقال : هذا حديث صحيح .

وفيه أيضًا : من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أول ما يسأل عن العبد يوم القيامة - يعني من النعيم - أن يقال له : ألم نُصحَّ جسمك ؟ ونرويك من الماء البارد ؟» .

وفيه أيضًا : من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] قال الزبير : يا رسول الله ، فأي النعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان : التمر والماء ؟ قال : «أما إنه سيكون» وقال : هذا حديث حسن . =

. . . .

= وعن أبي هريرة نحوه . وقال : إنما هو الأسودان : العدو حاضر ، وسيوفنا على عواتقنا . فقال : **«إن ذلك سيكون»** .

وقوله ﷺ : **«إن ذلك سيكون»** إما أن يكون المراد به : أن النعيم سيكون ويحدث لكم ، وإما أن يرجع إلى السؤال ، أي : إن السؤال يقع عن ذلك ، وإن كان تمرًا وماء ، فإنه من النعيم .

ويدل عليه : قوله ﷺ في الحديث الصحيح ـ وقد أكلوا معه رُطبًا ولحمًا ، وشربوا من الماء البارد ـ **«هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»** فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه .

وفي الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : **«يجاء بالعبد يوم القيامة ، كأنه بذْج فيوقف بين يدي اللَّه تعالى ، فيقول اللَّه : أعطيتك وخَوَّلتك ، وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقول: يارب جمعته ، وثمرته ، فتركته أوفر ما كان ، فارجعني آتيك به . فإذا أعبد لم يقدم خيرًا ، فيمضى به إلى النار»** .

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : **«يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول اللَّه : ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً ، وولدًا ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ، أفكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني»** وقال : هذا حديث صحيح .

● وقبل هذا الكلام نقل ابن القيم رحمه اللَّه تعالى كلامًا فيما يجدر بنا ذكره فقال رحمه اللَّه ص ٥١٤ :

ثم توعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيدًا مؤكدًا ، إذا عاين تكاثره قد ذهب هباء منثورًا ، وعلم أن دنياه التي كاثر بها إنما كانت خدعًا وغرورًا ، فوجد عاقبة تكاثره عليه لا له ، وخسر هنالك تكاثره . كما خسره أمثاله . وبدا له من اللَّه ما لم يكن في حسابه ، وصار تكاثره الذي شغله عن اللَّه والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه ، فعذب بتكاثره في دنياه ، ثم عذب به في البرزخ ، ثم يعذب به يوم القيامة . فكان أشقى الناس بتكاثره . إذ أفاد منه العطب ، دون الغنيمة والسلامة . فلم يفز من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ، ولم يحظ من علوه به في الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين .

فياللَّه تكاثرًا ما أثقله وزرًا ، وما أجلبه من غنًى جالبًا لكل فقر ، وخيرًا توصل به إلى كل شر، يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه : يا ليتني قدمت لحياتي ، وعملت فيه بطاعة اللَّه =

= قبل وفاتي ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقيل له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ تلك كلمته يقولها . فلا يعول عليها . ورجعته يسألها، فلا يجاب إليها .

وتأمل قوله أولاً : ﴿رَبِّ﴾ استغاث بربه ، ثم التفت إلى الملائكة الذين أمروا بإحضاره بين يدي ربه تبارك وتعالى ، وقال : ﴿ارْجِعُونِ﴾ ثم ذكر سبب سؤال الرجعة . وهو أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته وأسبابه ، فيقال له : ﴿كَلَّا﴾ لا سبيل لك إلى الرجعة ، وقد عُمِّرت ما يتذكر فيه من تذكر .

ولما كان شأن الكريم الرحيم أن يجيب من استقاله ، وأن يفسح له في المهلة ليتذكر ما فاته ـ أخبر سبحانه أن سؤال هذا المفرط الرجعة كلمة : هو قائلها ، لا حقيقة تحتها ، وأن سجيته وطبيعته تأبى أن تعمل صالحًا . لو أجيب . وإنما ذلك شيء يقوله بلسانه ، وإنه لو رُدَّ لعاد لما نهي عنه ، وإنه من الكاذبين .

فحكمة أحكم الحاكمين ، وعزته وعلمه وحمده ، يأبى إجابته إلى ما سأل . فإنه لا فائدة من ذلك . ولو رد لكانت حاله الثانية مثل حاله الأولى ، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨] .

وقوله : ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] جوابه محذوف ، دل عليه ما تقدم ، أي: لما ألهاكم التكاثر ، وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لمَّا فُقد منكم علم اليقين ، وهو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حد الضروريات ، التي لا يشك ولا يماري في صحتها وثبوتها . ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه شيء عن موجبه، ولترتب أثره عليه . فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي في تركه . فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد . فإذا صار عين يقين ، كجملة المشاهدات ، كان تخلُّف موجبه عنه أندر شيء .

وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت رضي اللَّه عنه في أهل بدر :

سرنا ، وساروا إلى بدر ، لحتفهم .:. لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

س ـ اذكر بمزيد إيضاح المراد بـ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٥] ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٧] ؟

ج : أوجز القول في ذلك عطية سالم حفظه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» بقوله : وقد قدمنا مراتب العلم الثلاث : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

فالعلم : ما كان من دلائل .

وعين اليقين : ما كان من مشاهدة .

وحق اليقين : ما كان عن ملابسة ومخالطة ، كما يحصل العلم بالكعبة ، وجهتها فهو علم اليقين ، فإذا رآها فهو عين اليقين بوجودها . فإذا دخلها وكان في جوفها فهو حق اليقين بوجودها . واللَّه تعالىٰ أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر : ٦ ، ٧] ، ولماذا كرر ذكر الرؤية ؟

ج : كرر للتأكيد علىٰ أن الرؤية واقعة ، وكرر للتهديد ، وثم أوجه أخر .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] جواب قسم محذوف ، وفيه

زيادة وعيد وتهديد أي واللَّه لترون الجحيم في الآخرة ، قال الرازي : وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيًا وهذا مثبت ، ولأنه عطف عليه ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وهو مستقبل لابد من وقوعه ، قال وحذف جواب ﴿لو﴾ كثير ، والخطاب لكفار ، وقيل عام كقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] .

قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيًا للفاعل وقرئ بضمها مبنيًا للمفعول ، والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت إلىٰ مفعول واحد .

ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] أي : ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين ، وهي المشاهدة والمعاينة ، وقيل : المعنىٰ : لترون الجحيم بأبصاركم علىٰ البعد منكم ثم لترونها مشاهدة علىٰ القرب ، وقيل : المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها، وبالثاني رؤيتها حال دخولها ، وقيل: هو إخبار عن دوام بقائهم في النار أي : هي رؤية دائمة متصلة ، وقيل: المعنىٰ : لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها .

قال الرازي رحمه اللَّه تعالىٰ :

في تكرار الرؤية وجوه : أحدها : أنه لتأكيد الوعيد أيضًا لعل القوم كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ، ونون التأكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية ، يعني لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها لكنكم تحملون علىٰ رؤيتها شئتم أم أبيتم . وثانيها : أن أولهما الرؤية من

البعيد ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ، والرؤية الثانية إذا صاروا إلى شفير النار. **وثالثها** : أن الرؤية الأولى عند الورود ، والثانية عند الدخول فيها ، وقيل : هذا التفسير ليس بحسن لأنه قال : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [التكاثر: ٨] والسؤال يكون قبل الدخول . **ورابعها** : الرؤية الأولى الوعد ، والثانية المشاهدة . **وخامسها** : أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم ، على جهة الوعيد: لئن كنتم اليوم شاكِّين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك ، وهو كقولهِ : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ـ إلى قوله ـ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٣، ٤] بمعنى لو أعدت النظر فيها ما شئت لم تجد فطورًا ولم يرد مرتين فقط ، فكذا ههنا ، إن قيل : ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين ؟ قلنا : لأنهم في المرة الأولى رأوا لهبًا لا غير ، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى ، والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التقريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون على الظن ولا يطلبون الزيادة .

* * *

س ـ من هم الذين سيرون الجحيم ؟

ج : قيل : هم الكفار ، بدليل قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

[التكاثر: ١] وقيل : عموم الخلق (المؤمنون والكفار) لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] فهي للكفار مقر ، وللمؤمنين ممر ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من هم الذين سيُسألون عن النعيم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الذين يُسألون عن النعيم هم الكفار ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] .

وقال آخرون: إن عموم الخلق سيُسألون عن النعيم[١] بدليل ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه. . . وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة».

وانتصر ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ لهذا القول الأخير بشدة فقال رحمه اللَّه :

فكل أحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالاً آخر: هل شكر اللَّه تعالىٰ عليه فاستعان به علىٰ طاعته أم لا؟. . ثم قال رحمه اللَّه: وقد زعم طائفة من المفسرين : أن هذا الخطاب خاص بالكفار ، وأنهم هم المسئولون عن النعيم . وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل . واختار

---

(١) نقل القرطبي عن القشيري قوله : والجمع بين الأخبار أن الكل يُسألون ، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف .

الواحدي ذلك . واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية ، قال رسول اللَّه ﷺ: أرأيت أكلة أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم، وبسر قد ذَنَّب، وماء عذب أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ذلك للكفار**» ، ثم قرأ : ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور**﴾ [سبأ: ١٧] .

وقال الواحدي : والظاهر يشهد بهذا القول . لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم . والمعنى أيضًا يشهد بهذا القول ، وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم ، حيث أشركوا بربهم وعبدوا غيره، فاستحقوا أن يسألوا عما أنعم به عليهم ، توبيخًا لهم ، هل قاموا بالواجب فيه ، أم ضيعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم .

قال : وهذا معنى قول مقاتل ، وهو قول الحسن . قال : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار .

قلت : ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ، ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار ، بل ظاهر اللفظ ، وصريح السنة والاعتبار : يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر . فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك .

ويدل على ذلك : قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت**» ـ الحديث وهو في «صحيح مسلم» . وقائل ذلك قد يكون

مسلمًا. وقد يكون كافرًا .

ويدل عليه أيضًا : الأحاديث التي تقدمت ، وسؤال الصحابة النبي ﷺ ، وفهمهم العموم ، حتى قالوا له : وأي نعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان، فلو كان الخطاب مختصًا بالكفار لبين لهم ذلك. وقال: مالكم ولها ؟ إنما هي للكفار . فالصحابة فهموا العموم ، والأحاديث صريحة في التعميم . والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم .

وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول . فحديث لا يصح . والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه . ونحن نسوقه بلفظه .

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة . فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : «**ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة ؟** » قالا: الجوع، يا رسول الله. قال : «**وأنا والذي نفسي بيده ، لأخرجني الذي أخرجكما ، قوما**» ، فقاما معه . فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته . فلما رأته امرأته قالت : مرحبًا وأهلاً . فقال لها رسول الله ﷺ : «**أين فلان؟**» قالت : ذهب ليستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ، فقال : الحمد لله ما أجد اليوم أكرم أضيافًا مني . قال: فانطلق فجاءهم بعِذْق فيه بُسْر وتمر ورطب فقال : كلوا من هذا. فأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ : «**إياك والحلوبة**» . فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا . فلما أن شبعوا ورووا

قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر : **«والذي نفسي بيديه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتّى أصبتم هذا النعيم»** .

فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب ، وأنه غير مختص بالكفار .

وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه ، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع بين المسلمين كثيرًا ، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر . وخطاب القرآن عام لمن بلغه ، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول اللَّه ﷺ ، فهو متناول لمن بعدهم . وهذا معلوم بضرورة الدين ، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين .

فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ونظائره ، كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين .

فقوله : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف . وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا اللَّه .

فإن قيل : فالمؤمنون لم يلههم التكاثر . ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه .

قيل: هذا هو الذي أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار ،

لأنه لم يمكنهم حمله على العموم ، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد ، فخصوهم به .

وجواب هذا : أن الخطاب للإنسان كقوله : ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١] ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] ونظائره كثيرة .

فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع ، والعمل الصالح ، وإنما اللّه سبحانه هو الذي يكمله بذلك ، ويعطيه إياه . وليس له ذلك من نفسه . بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل ، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه ، لا من نفسه . فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته ، التي هي له من نفسه . ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية اللّه له ، وجعله مريدًا للآخرة ، مؤثرًا لها على التكاثر بالدنيا . فإن أعطاه ذلك وإلا فهو ملته بالتكاثر في الدنيا ولابد .

أما احتجاجهم بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار . فيقال :

الوعيد المذكور مشترك ، وهو العلم عند معاينة الآخرة . فهذا أمر يحصل لكل أحد ، لم يكن حاصلاً له في الدنيا . وليس في قوله : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ما يقتضي دخول النار ، فضلاً عن التخليد فيها . وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها . فإن أهل

الموقف يرونها ، ويشاهدونها عيانًا. وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أن لابد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] .

فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها .

وأما ما ذكروه عن الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار . فباطل قطعًا . إما عليه وإما منه . والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده. وبالله التوفيق .

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها ، وما تضمنته من تحذير الإنسان عن التكاثر الملهي ، وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار ، ولا يليق ذلك بها . ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها . والله أعلم .

وتأمل ما في هذا العتاب الراجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها ، إلى أن زار القبور ، ولم يستيقظ من نوم الإلهاء ، بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات .

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتعين لك أن العموم مقصود.

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد

بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك: توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها . وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة : فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد .

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٍّ إلى غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . وصاحب هذا التكاثر لا

يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرى ، وهو قادر على المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين لعمر مدى سبق أبي بكر له قال : «واللَّه لا أسابقك إلى شيء أبدًا» .

* * *

س ـ ما هو النعيم المذكور في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] ؟

ج : يُسأل العبد يوم القيامة عن عموم النعم التي أنعم اللَّه بها عليه.

- فيُسأل عن نعمة الطعام والشراب كما ورد في حديث رسول اللَّه ﷺ مع أبي بكر وعمر .
- ويسأل عن الصحة كما قال تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] وكما قال عليه الصلاة

والسلام : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» .

● ويسأل عن نعمة الأمن كما قال تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ ، ٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ .. ﴾ [المائدة: ١١] .

● ويُسأل عن نعمة المال والجاه والسلطان والزوجات والولدان والعمران .

● ويُسأل عن سائر النعم كنعمة العلم ونعمة العقل وعموم النعم ، وقد ذكر القرطبي عشرة أقوال في هذا الباب، واختار القول بأن المسئول عنه عموم النعم ، قال : لأن اللفظ يعم ، والله أعلم .

* * *

س ـ أين يكون السؤال عن النعيم ؟

ج : **أجاب على ذلك الرازي رحمه الله تعالى بقوله :**

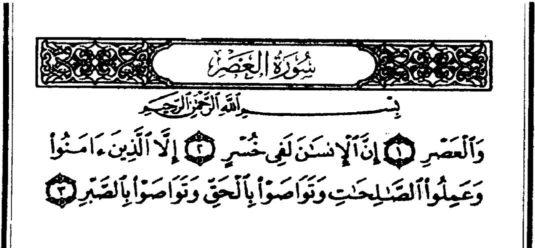
المسألة الثالثة : اختلفوا في أن هذا السؤال أن يكون ؟

فالقول الأول : أن هذا السؤال إنما يكون في موقف الحساب ، فإن قيل : هذا لا يستقيم ، لأنه تعالى أخبر أن هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم بقوله : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [التكاثر: ٨] وموقف السؤال متقدم على مشاهدة جهنم ؟ قلنا : المراد من قوله : ﴿ثُمَّ﴾ أي : ثم أخبركم أنكم تسألون يوم القيامة ، وهو كقوله : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَامٌ فِي

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٣ - ١٧].

القـول الثاني : أنهـم إذا دخلوا النـار سئلوا عـن النعيـم توبيخًا لهم ، كما قال : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الملك: ٨] وقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ولا شك أن مجيء الرسول نعمة من اللَّه ، فقد سئلوا عنه بعد دخولهم النار ، أو يقال : إنهم إذا صاروا في الجحيم وشاهدوها ، يقال لهم : إنما حل بكم هذا العذاب لأنكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ، ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة الفائزين بالدرجات ، فيكون ذلك من الملائكة سؤالاً عن نعيمهم في الدنيا ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





س ـ وضح معنى ما يلي :

العصر ـ خسر ـ تواصوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
العصر	الدهر (الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم) ـ عمر ابن آدم ـ وقت العصر ـ صلاة العصر ـ وقت العشي[1]
خسر	هلكة ونقصان[2]
تواصوا	أوصى بعضهم بعضًا

* * *

(١) واختار الطبري القول بالتعميم ، أي : أن كل ما ذكر يدخل فيما أقسم اللّٰه به .

(٢) نقل القرطبي عن إبراهيم قوله : إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف =

س ـ اذكر بشيء من التوسع بعض أقوال العلماء في تفسير العصر ؟ وما هو وجه القسم بالعصر ؟

ج : لأهل العلم أقوال في المراد بالعصر تتلخص في الآتي:

الأول : أن المراد بالعصر : اسم للزمن كله .

الثاني : أن المراد بالعصر : الليل والنهار .

الثالث : أن المراد بالعصر : عمر الإنسان .

الرابع : أن المراد بالعصر : الغداة والعشي

الخامس : أن المراد بالعصر : وقت العصر (أي : وقت صلاة العصر) .

السادس : أن المراد بالعصر : صلاة العصر ، لكونها الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء .

السابع : أن المراد بالعصر : عصر النبي ﷺ .

= وتراجع إلا المؤمنين ، فإنهم تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ، نظيره قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ [التين: ٤، ٥] .

كذا قال إبراهيم رحمه الله .

والصواب : أن الأمر أعم مما ذُكر ، فمن معاني الخسران دخول النار يوم القيامة والعياذ بالله .

الثامن : أن العصر : ما بعد زوال الشمس إلى غروبها .

التاسع : أن المراد : العموم ، فكل ما ذكر يدخل في العصر الذي أقسم اللَّه به .

● **قال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن ربنا أقسم بالعصر ، والعصر اسم للدهر ، وهو العشي والليل والنهار ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه .

● **أما وجه القسم بالعصر** ، فعلى قول من قال إنه الزمن كله أو جزءٍ منه فلما في الدهر من الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر .

● وأن اللَّه عز وجل أقسم بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة .

● **قال الرازي في بيان سبب القسم بالعصر** :

والسبب فيه وجوه : **أحدها** : أنه أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة فإن كل بكرة كأنها القيامة يخرجون من القبور وتصير الأموات أحياء وتقام الموازين وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت ، وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ، ثم إذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرًا ،

فكذا الإنسان الغافل عنهما في خسر . **وثانيها** : قال الحسن رحمه اللَّه . إنما أقسم بهذا الوقت تنبيهًا على أن الأسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها ، فإذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك يسألك كل أحد ما هو حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين ، فكذا نقول : والعصر ، أي : عصر الدنيا قد دنت القيامة و[أنت] بعد لم تستعد وتعلم أنك تسأل غدًا عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك، وتسأل في معاملتك مع الخلق وكل أحد من المظلومين يدعي ما عليك فإذا أنت خاسر ، ونظيره : ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء: ١] . **وثالثها** : أن هذا الوقت معظم ، والدليل عليه قوله عليه السلام : «**من حلف بعد العصر كاذبًا لا يكلمه اللَّه ولا ينظر إليه يوم القيامة**» ، فكما أقسم في حق الرابح بالضحى ، فكذا أقسم في حق الخاسر بالعصر ، وذلك لأنه أقسم بالضحى في حق الرابح وبشر الرسول أن أمره إلى الإقبال ، وههنا في حق الخاسر توعده أن أمره إلى الإدبار ، ثم كأنه يقول بعض النهار باقٍ فيحثه على التدارك في البقية بالتوبة ، وعن بعض السلف : تعلمت معنى السورة في بائع الثلج كان يصيح ويقول : ارحموا من يذوب رأس ماله ، ارحموا من يذوب رأس ماله ، فقلت : هذا معنى ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ٢] يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر .

أما وجه القسم عند من قال : إن المراد صلاة العصر فلكونها أفضل الصلوات إذ هي الصلاة الوسطى ، وقد قال فيها النبي ﷺ :

«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهله وماله» [1] وقال عليه الصلاة والسلام : **«من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»** [2] إلىٰ غير ذلك مما ورد فيها من فضائل واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ النجاة معلقة بأربعة أمور مذكورة في سورة العصر وضحها باختصار ؟

ج : هذه الأمور الأربعة هي : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال الرازي رحمه اللَّه : هذه الآية فيها وعيد شديد وذلك لأنه تعالىٰ حكم بالخسار علىٰ جميع الناس إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فدل ذلك علىٰ أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور ، وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور ، منها : الدعاء إلىٰ الدين ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلىٰ اللَّه ، والثاني الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف ، والثاني النهي عن المنكر ، ومنه قوله : ﴿ **وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان: ١٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢) ومسلم (حديث ٦٢٦) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى (في «مفتاح دار السعادة») [1] **: ـ**

قولُه تعالى : **﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾** [العصر: ١ ـ ٣]، قال الشافعي رضي اللَّه عنه : لو فكَّرَ النَّاسُ كلُّهم في هذه السُّورةَ لكفَتْهُم .

وبيانُ ذلك أنَّ المراتب أربعٌ ، وباستكمالِها يحصُلُ للشخصِ غايةُ كمالِهِ :

إحداها : معرفةُ الحقِّ .

الثَّانية : عملُهُ به .

الثَّالثة : تعليمُهُ مَن لا يُحسِنُهُ .

الرَّابعَة : صَبْرُهُ على تعلُّمِه ، والعَمَلِ به ، وتَعليمِهِ .

فَذَكَرَ تعالى المراتبَ الأربعَ في هذه السُّورَة ، وأقسَمَ سُبحانهُ في هذه السُّورَةِ بالعَصرِ أنَّ كُلَّ أحدٍ في خُسرٍ ، إلاَّ الَّذينَ آمَنوا وعَملوا الصَّالحاتِ ، وهم الذينَ عَرفوا الحقَّ ، وصدَّقوا به .

فهذه مرتبةٌ .

وعملوا الصَّالحات ، وهم الذين عَمِلوا بما عَلِمُوه من الحقِّ .

فهذه مرتبةٌ أُخرىٰ .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

وتَواصَوْا بالحقِّ ؛ وصَّى به بعضُهُم بعضًا ؛ تعليمًا وإرشادًا .

فهذه مرتبةٌ ثالثةٌ .

- **وتَواصَوْا بالصَّبرِ** ؛ صَبَروا على الحقِّ ، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصَّبرِ عليه ، والثَّباتِ .

فهذه مرتبةٌ رابعةٌ .

وهذا نهايَةُ الكمالِ ؛ فإنَّ الكمالَ أنْ يكونَ الشخصُ كاملاً في نفسه، مُكمِّلاً لغيره ، وكمالُه بإصلاحِ قُوَّتيه العلميَّةِ والعَمليَّةِ ، فصلاحُ القُوَّةِ العلميَّةِ بالإيمانِ ، وصلاحُ القوَّةِ العَمليَّةِ بعملِ الصَّالحاتِ ، وتكميلهِ غَيرَهُ ، وتعليمهِ إيَّاهُ ، وصبرِهِ عليهِ ، وتوصيتهِ بالصَّبرِ على العلمِ والعملِ .

فهذه السورَةُ على اختصارها هي من أجمع سُوَرِ القرآن للخيرِ بحذافيرِه ، والحمدُ للَّهِ الذي جَعلَ كتابَهُ كافيًا عن كلِّ ما سواهُ ، شافيًا من كلِّ داءٍ ، هاديًا إلى كلِّ خيرٍ .

* * *

س ـ لماذا عقب الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالتواصي بالصبر ؟

ج : لأن العمل بالحق والتمسك به يتبعه ابتلاء ، والابتلاء يلزمه صبر ، ومن هذا قول لقمان لابنه : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان: ١٧] .

س ـ ما هو وجه تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بعد قوله تعالى : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر : ٣] ؟

ج : تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بالذكر مع أنهما داخلان في العمل الصالح للدلالة على أهميتهما ،وعظيم شأنهما .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

الرابع : تخصيص التواصي بالحق والصبر ، مع اندارجهما في الأعمال الصالحة ، لإبراز كمال الاعتناء بهما .

قال الإمام : من تلك الأعمال الدعوة إلى الحق والوصية بالصبر. لكنه أراد تخصيص هذين الأمرين بالذكر ، لأنهما حفاظ كل خير ورأس كل أمر . والحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة. وهو ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة . فشرط النجاة من الخسران ، أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكّنوه من قلوبهم، ثم يحمل الناس بعضهم بعضًا عليه ، بأن يدعو كلٌّ صاحبَه إلى الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، التي لا ينازع فيها العقل ولا يختلف فيها النقل . وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات ، التي لا قَرَارَ للنفوس عليها ، ولا دليل يهدي إليها . ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان ، حتى تستطيع النفس دفع ما يرد عليها من باطل الأوهام . وهذا إطلاق العقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق في النظر . لا الذهاب مع الطيش والانخداع للعادة والوهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه فهو

من الخاسرين . كما ترىٰ في الآية بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل. والصبر قوة للنفس على احتمال المشقة في العمل الطيب ، واحتمال المكروه من الحرمان من اللذة ، إن كان في نيلها ما يخالف حقًّا أو ما لا تأذن به الشريعة الصحيحة التي لا اختلاف فيها . واحتمال الآلام إذا عرضت المصائب بدون جزع ولا خروج في دفعها عن حدود الحق والشرع . فشرط النجاة من الخسران أن تصبر ، وأن توصي غيرك بالصبر ، وتحمله على تكميل قواه بهذه الفضيلة الشريفة ، التي هي أم الفضائل بأسرها ، ولا يمكنك حمله على ذلك ، حتىٰ تكون بنفسك متحليًا بها . وإلا دخلت فيمن يقول ولا يفعل كما يقول . فلم تكن ممن يعمل الصالحات . انتهى .

* * *

س ـ علىٰ ماذا الصبر المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] ؟

ج : الصبر على العمل بطاعة اللَّه ، والصبر علىٰ نوائب الدهر ، وعلىٰ أقدار اللَّه سبحانه وتعالىٰ ، ومن ذلك أيضًا : الصبر علىٰ أذىٰ من يؤذي من يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ [العصر: ٣] أي : أوصي بعضهم بعضًا بما أنزل اللَّه في كتابه من أمره واجتناب ما نهىٰ عنه من معاصيه **﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾** [العصر: ٣] أي : علىٰ ما يبلو اللَّه به عباده ، أو على الحق فإن

الوصول إلى الحق سهل ، وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة والجهاد لأجله فذاك الذي يظهر به مصداق الإيمان وحقيقته .

❊ ❊ ❊

س ـ هل ثبت أن الصحابة كانوا إذا التقوا وتفرقوا لم يتفرقوا إلا بعد قراءتهم سورة العصر ؟

ج : أخرج الطبراني في «الأوسط»[1] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي مدينة ، وكانت له صحبة ـ قال : كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢] ثم يُسلم أحدهما على الآخر .



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٢٠) و (٥٠٩٧) والبيهقي في «الشعب» (٩٠٥٧) وقال رواه غيره عن حماد عن ثابت عن عتبة بن عبد الغافر ، فأبدل أبو مدينة بعتبة بن عبد الغافر وأبو مدينة مختلف في صحبته ، وإن أثبت الطبراني أن له صحبة ، وعلى كل حال فإنه يحكي عن الصحابة الذين رآهم فقط ، مع أن في نفسي شيء من هذا الإسناد ، والله أعلم .

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى هذه الكلمات :

ويلٌ ـ همزة ـ لمزة ـ عدَّده ـ أخلده ـ ينبذن ـ الحطمة ـ تطلع ـ الأفئدة ـ مؤصدة ـ عمد ممددة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ويـــلٌ	الويل كلمة عذاب وهلاك أو توعد بالعذاب والهلاك ، وقيل : إن الويل واد في جهنم[1]

(١) وقد ورد في أن الويل واد في جهنم أحاديث لا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ ، هذا ونورد هنا ما ذكر عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» ، فقد قال رحمه الله :
قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] .
اختلف في معنى كلمة ويل .

الكلمة	معناها
همـــزة	الذي يهمز الناس ويعيبهم بالقول
لمـــزة	الذي يلمز الناس ويعيبهم بالفعل

= فقيل : هو واد في جهنم :

وقيل : هي كلمة عذاب وهلاك .

وتقدم للشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه ، ذكر هذين المعنيين في سورة الجاثية عند قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] ، وبين أنها مصدر لا لفظ له من فعله، وأن المسوغ للابتداء بها مع أنها نكرة كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك .

وقد استظهر رحمه اللَّه تعالى هذا المعنى .

ومما يشهد لما استظهره رحمه اللَّه ، ما جاء في حق أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم ، أنهم قالوا عند رؤيتهم إياها : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] فهي كلمة تقال عند نزول المصائب ، وعند التقبيح .

وقال الفخر الرازي : أصل الويل نقيض السخط والذم ، وأصلها وي لفلان ، ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام ، ويقال : ويح بالحاء للترحم . اهـ .

ومما يدل لقول الرازي أيضًا قول قارون : ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] .

ومثله للتعجب في قوله : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] .

وقوله : ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] .

فالظاهر : أنها كلمة تقال عند الشدة والهلكة ، أو شدة التعجب مما يعد المستبعد .

والذي يشهد له القرآن : هو هذا المعنى ، وسبب الخلاف قد يرجع لمجيئها تارة مطلقة كقوله : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] ، هنا ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] . =

الكلمة	معناها
عـــدَّده	أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل اللَّه[1]
أخلـــده	جعله يُخلد في الدنيا ، أي : يعيش بلا موت
ينبـــذن	يقذفن ـ يطرحن ، وكلمة النبذ تفيد التحقير والإهمال والتصغير
الحطـــمة	اسم من أسماء النار[2]
تطلـــع	يطلع ألمها ووهجها إلى القلوب ـ تصعد
مؤصـــدة	مغلقة ـ مقفلة ـ مطبقة
عمد ممددة	أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وممددة أي : مطوَّلة

* * *

= ويجيء مع ذكر ما يتوعد به كقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] ، وقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥] ، فذكر النار والعذاب الأليم .

وكذلك قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] ، فهي في هذا كله للوعيد الشديد ، مما ذكر معها من النار والعذاب الأليم ومشهد يوم عظيم ، وليست مقصودة بذاتها دون ما ذكر معها ، والعلم عند اللَّه تعالى .

(١) وقيل : عدَّه كل وقتٍ وآخر تحفظًا عليه ، وقيل : عدده أي : كنزه ، وقيل : أعده للحاجة في دنياه متغافلاً عن الآخرة .

(٢) قال بعض العلماء : سميت الحطمة بالحطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها .

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الهمزة اللمزة الطعان المعياب (أي : الذي يطعن في الناس ويعيبهم) .

وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» جملة أقوال فقال رحمه الله :

قوله [عز وجل] : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] اختلفوا في الهُمَزة واللُّمَزَة هل هما بمعنى واحد ، أم مختلفان ؟ على قولين .

أحدهما : أنهما مختلفان . ثم فيهما سبعة أقوال :

أحدها : أن الهُمَزَة : المُغْتَاب ، واللُّمَزَة : العيَّاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الإنسان في وجهه . واللُّمَزَة : يَلْمِزُه إذا أدبر عنه ، قاله الحسن ، وعطاء ، وأبو العالية .

والثالث : أن الهُمَزَة : الطعَّان في الناس ، واللُّمَزَة : الطعَّان في أنساب الناس ، قاله مجاهد .

والرابع : أن الهُمَزَة : بالعين ، واللُّمَزَة : باللسان ، قاله قتادة .

والخامس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللُّمَزَة : الذي يَلْمِزهم بلسانه ، قال ابن زيد .

والسادس : أن الهُمَزة : الذي يهمز بلسانه ، واللُّمَزَة : الذي يلمز

بعينه ، قاله سفيان الثوري .

والسابع : أن الهُمَزة : المغتاب ، واللُّمَزة : الطاعن على الإنسان في وجهه ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الهُمَزة : العَيَّاب الطعان ، واللُّمَزَة مثله . وأصل الهمز واللمز : الدفع قاله ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : الهُمَزَة اللُّمَزَة : الذي يغتاب الناس ويعضههم قال ابن فارس : والعضيهةَ الكذب والبهتان قال الشاعر :

إذا لَقيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني ∴ وإن تَغَيَّبتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَة

وقال الطبري رحمه اللَّه : (لكل همزة) يقول : لكل مغتاب للناس يغتابهم ويغضبهم كما قال زياد الأعجم :

تُدلي بودِّي إذا لاقَيْتني كـَذبا ∴ وإن أُغَيَّبْ فأنتَ الهامز اللمزة

ويعني باللمزة الذي يعيب الناس ويطعن فيهم .

● **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بعد أن ذكر كلام الطبري رحمه اللَّه :**

وقد جاء في القرآن كل من الكلمتين مفردة عن الأخرى ، بما يدل على المغايرة .

ففي الهمزة قوله : ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم: ١٠، ١١] مما يدل على الكذب والنميمة .

ففي الهمزة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] .

وقوله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] مما يدل على أنها أقرب للتنقص والعيب في الحضور لا في الغيبة ، فتغاير الهمز في المعنى ، وفي الصفة ، والجمع بينهما جمع بين القبيحين ، فكان مستحقًّا لهذا الوعيد الشديد بكلمة ويل .

وقد قيل : الهمز باليد ، وقيل : باللسان في الحضرة ، والهمز في الغيبة .

وقيل : الهمز باليد ، واللمز باللسان ، والغمز بالعين ، وكلها معانٍ متقاربة تشترك في تنقص الآخرين .

وذكر الرازي جملة وجوه في تفسير الآية نحو ما ذُكر ثم قال :

واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ثم هذا على قسمين فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد ، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك ، وكل واحد من القسمين ، إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين ، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي ، أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة ، ثم إظهار العيب في هذه الأقسام الأربعة قد يكون لحاضر ، وقد يكون لغائب ، وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ ، وقد يكون بإشارة الرأس والعين وغيرهما ، وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر ، إنما البحث في أن اللفظ بحسب اللغة موضوع لماذا ،

فما كان اللفظ موضوعًا له كان منهيًا بحسب اللفظ، وما لم يكن اللفظ موضوعًا له كان داخلاً تحت النهي بحسب القياس الجلي ، ولما كان الرسول أعظم الناس منصبًا في الدين كان الطعن فيه عظيمًا عند اللَّه ، فلا جرم قال : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه ، والأول أولى .

* * *

س ـ لماذا ذُكر من خصال الهمزة اللمزة (أنه جمع مالاً وعدده) مع أن هناك من الخصال ما هو أسوأ من ذلك ؟

ج : **قال القاسمي في محاسن التأويل :**

﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ [الهمزة: ٢] أي : أحصى عدده ولم ينفقه في وجوه البر .

قال الإمام : أي : أن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعديده ، أي : عده مرة بعد أخرى ، شغفًا به وتلذذًا بإحصائه . لأنه لا يرى عزًا ولا شرفًا ولا مجدًا في سواه . فكلما نظر إلى كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذي فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلمزه . ثم لا يخشى

أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتمزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت ، وصرف عنه ذكر المآل فهو ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي : يظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، مخلده في الدنيا ، فمزيل عنه الموت .

قلت : ويؤيد هذا التأويل : قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

● **وقال القاسمي أيضًا :**

تنبيه : قال القاشانيّ في بيان آفات رذيلتي الهمز واللمز اللتين نزلت في وعيدهما السورة ، ما مثاله: الهمز ، أي: الكسر من أعراض الناس واللمز، أي: الطعن فيهم، رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر. لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والرذيلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية .

ثم قال: وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة:٢] إشارة أيضًا إلى الجهل . لأن الذي جعل المال عدة للنوائب ، لا يعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب ، لاقتضاء حكمة اللَّه تفريقه في النائبات ، فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي:

لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل : أن الجهل الذي هو رذيلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه ، المغمور فيها ، العذاب الأبديّ المستولي على القلب المبطل لجوهره .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [الهمزة: ٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : أيظن صاحب المال أن ماله سيخلده في الدنيا .

* * *

س ـ لماذا خصت الأفئدة بالذكر في قوله تعالىٰ : ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ [الهمزة: ٧] ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وخص الأفئدة بالذكر مع كونها تغشىٰ جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة .

● أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها لأن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشد تألمًا بأدنىٰ أذىً يمسه ، أي : أنهم في حال من يموت

وهم لا يموتون كما قال تعالى : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وقيل : المعنى : أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب ، وذلك بأمارات عرفها اللَّه بها [1] .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] ؟

ج : قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] : من العلماء من قال : إن (في) هنا بمعنى الباء فالمعنى : بعمد ممدة ، والعمد جمع عمود ، والممد هو الطويل ، فالمعنى : أنها (أي : النار) على أهلها مؤصدة (أي : مغلقة مطبقة) بأعمدة طويلة .

● أو أن النار أغلقت عليهم وأطبقت ثم أُحكم قفلها بأعمدة طويلة ونحو هذه يفعله أصحاب بعض المحلات في دنياهم ، فبعد أن يغلقوا الأبواب بالمفاتيح يحكمون الغلق بأعمدة حديدية مستعرضة لحماية الأبواب من اللصوص .

● **وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» :**

قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، و (في) بمعنى الباء ، والمعنى : مطبقة بعمد .

● وقول آخر : إن أهل الكفر موضوعون في عمدة ممددة ، أي :

---

(١) وعامة هذا الكلام منقول من «تفسير الرازي» .

داخل أعمدة طويلة داخل النار .

● ومن العلماء من قال : إنهم موضوعون في أعمدة طويلة وقد مُدَّت هذه الأعمدة حتى سُدت بها أبواب النار ، والعياذ باللَّه .

● ومنهم من قال : إن النار عليهم مغلقة ، ومع كونها مغلقة عليهم فهم مربوطون (موثقون) في أعمدة داخل النار ، ولتقريب الفهم فقد يكون الرجل سجينًا في الدنيا داخل غرفة ، فالغرفة مغلقة عليه من الخارج ، وهو بداخلها أيضًا مقيد في أوتاد وفي أعمدة ، فهي قيود من بعد قيود ، وسجون داخل سجون أجارنا اللَّه منها .

ولخص عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» نحو ما ذُكر بقوله :

قيل : مؤصدة في عمد ، بأن العمد صارت وصدًا للباب كالقفل والغلق له ، وقيل : في عمد : أنهم يدخلون في عمد كالقصبة مجوفة الداخل ، وقيل : في عمد : أي: توضع أرجلهم في العمد على صورة القيد في الخشبة الممتدة يشد فيها عدد من الأشخاص في أرجلهم .

وكنت سمعت[1] من الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في ذلك أن العمد بمعنى القصبة المجوفة تضيق عليهم ، كما في قوله : ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٣] ، وقد نص عليه في إملائه رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه .

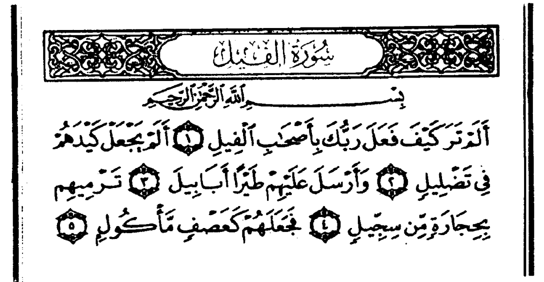
وقال الطبري رحمه اللَّه تعالى : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك

---

(١) يعني شيخه محمد الأمين الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى وهو مؤلف «أضواء البيان» .

قول من قال : معناه أنهم يعذبون بعمد في النار ، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وضع لنا عليها دليل تدرك به صفة ذلك ، فلا قول فيه غير الذي قلنا يصح عندنا ، والله أعلم .




سُورَةُ الفِيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ألم تر ـ كيدهم ـ تضليل ـ أبابيل ـ سجيل ـ عصف ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تـر	ألم تنظر بعين قلبك ـ ألم تعلم ـ ألم تُخبر
كيدهـم	مكرهم ـ تدبيرهم
تضليـل	إبطال وتضييع وخسارة وهلاك
أبابيـل	جماعات جماعات ، فرق يتبع بعضها بعضًا ـ كثيرة ـ شتى متتابعة (جماعة من ههنا وجماعة من ههنا)
سجيـل	طين (والمراد به الطين المتحجر شديد القوة)
عصـف	التبن[1] ـ الروث

(١) من العلماء من قال : العصف هو التبن الذي أكل منه ، ومنهم من قال : إنه التبن (أو =

الكلمة	معناها
مأكـــول	أُكل منه ـ أُكل وأصبح روثًا

❊ ❊ ❊

= ورق الزرع) إذا أكلته البهائم فصار روثًا يبس الروث فتفرقت أجزاؤه .

قال الطبري رحمه اللَّه :

وقوله: ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [الفيل: ٥] يعني تعالى ذكره: فجعل اللَّه أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبَّه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرُّق آراب أبدانهم بها بتفرُّق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع، وكان بعضهم يقول: العصف هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة من خارج كهيئة الغلاف لها .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

أما قوله تعالى : ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ [الفيل: ٥] ففيه مسائل :

المسألة الأولى : ذكروا في تفسير العصف وجوهًا ذكرناها في قوله : ﴿ **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ** ﴾ [الرحمن : ١٢] وذكروا ههنا وجوهًا :

أحدها : أنـه ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعـد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكلـه المواشي .

وثانيها : قال أبو مسلم : العصف : التين ، لقوله : ﴿ **ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ** ﴾ [الرحمن: ١٢] لأنه تعصف به الريح عند الذر فتفرقه عن الحب ، وهو إذا كان مأكولاً فقد بطل ولا رجعة له ولا منفعة فيه .

وثالثها : قال الفراء : هو أطراف الزرع قبل أن يدرك السنبل .

ورابعها : هو الحب الذي أكل لبه وبقي قشره .

المسألة الثانية : ذكروا في تفسير المأكول وجوهًا :

أحدها : أنه الذي أكل ، وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان :

أحدهما : أن يكون المعنى كزرع وتبن قد أكلته الدواب ، ثم ألقته روثًا ، ثم يجف وتتفرق أجزاؤه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، إلا أن العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن ، كقوله : ﴿ **كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المائدة: ٧٥] وهو قول مقاتل ، وقتادة وعطاء عن ابن عباس . =

س ـ ما المراد بالاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] **؟ وفي قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾** [الفيل: ٢] **؟**

ج : المراد بالاستفهام : التقرير ، أي : تقرير علمه ﷺ بما حدث لأصحاب الفيل ، فالمعنى : قد علمت يا محمد وقد علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغهم من الأخبار المتواترة ، قد علمتم الذي حدث لأصحاب الفيل والعقوبة التي أنزلها اللَّه سبحانه وتعالى بهم .

* * *

س ـ ما هو السبب الذي من أجله حلَّت عقوبة اللَّه تعالى بأصحاب الفيل ؟

ج : السبب هو مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل إلى بيت اللَّه الحرام لتخريبه وهدم الكعبة التي فيه حتى تنصرف وجوه الناس إلى بلاده ، والأسانيد بذلك وإن كانت منقطعة إلا أن أهل السير تلقفوها

= **والاحتمال الثاني :** على هذا الوجه أن يكون التشبيه واقعًا بورق الزرع إذا وقع فيه الأكال، وهو أن يأكله الدود .

الوجه الثاني : في تفسير قوله : ﴿مَأْكُولٍ﴾ هو أنه جعلهم كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، وعلى هذا التقدير يكون المعنى : كعصف مأكول الحب ، كما يقال : فلان حسن ، أي : حسن الوجه ، فأجرى مأكول على العصف من أجل أنه أكل حبه ، لأن هذا المعنى معلوم ، وهذا قول الحسن .

الوجه الثالث : في التفسير : أن يكون معنى ﴿مَأْكُولٍ﴾ : أنه مما يؤكل ، يعني : تأكله الدواب يقال لكل شيء يصلح للأكل : هو مأكول ، والمعنى : جعلهم كتبن تأكله الدواب ، وهو قول عكرمة والضحاك .

ونقلوها في كتبهم وكذلك كثير من المفسرين .

قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره» :

وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما حدثنا ابن حميد[1] قال ثنا سلمة بن الفضل قال : ثنا ابن إسحاق[2]: أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء وكان نصرانيًا ، فسماها القُلَّيْس ، لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لمُ يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمُنته حتى أصرف إليها حاجّ العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي ، غضب رجل من النَّساَة أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال: من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة ، لما سمع من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أي : إنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزَاعِي بن حزَابة الذَّكواني ، ثم السُّلَمى ، في نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعي ؛ فبينما هم عنده ، غَشيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغذائه ، وكان يأكل الخُصَى ؛ فلما أتى القوم بغذائه ، قالوا : واللَّه لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد

---

(١) ابن حميد فيه كلام لكن الأثر عند ابن إسحاق والآفة من إعضال الأثر .

(٢) وانظر «سيرة ابن إسحاق» أيضًا (١/ ٤٠) طبعة دار الفكر .

ابن خزاعِي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك إن هذا يوم عيد لنا لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدي ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتكم بغذائي لمنزلتكم عندي .

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعِى ، وأمَّره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَّيس كنيسته التي بناها ، فسار محمد ابن خزاعِي حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهلها تهامة أمره . وما جاء له ، بعثوا إليه رجلاً من هُذَيل يقال له : عُرْوة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله ؛ وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحنقًا ، وحلف ليغزون بني كنانة ، وليهدمنّ البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهَّزت ، وخرج معه بالفيل ، وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفُظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت اللّه الحرام ، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت اللّه ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعَرَض له وقاتله ، فهُزِم وتفرَّق أصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرًا ، فلما أراد قتله ، قال ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خير لك من قتلي ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليمًا .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعميّ في قبيلَتي خثعم : شَهران ، وناهس ، ومن معه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخذ له أسيرًا ؛ فأُتِي به ، فلما همّ بقتله ، قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني ، فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم : شهران ، وناهس ، بالسمع والطاعة ؛ فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه يدله على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرَجَمت العرب قبره ، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمِّس .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها ، وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك

يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرِد حربي فأتني به .

فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، قال له عبد المطلب : واللَّه ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت اللَّه الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه فهو بيته وحرَمه ، وإن يُخْلِ بينه وبينه ، فواللَّه ما عندنا له من دافع عنه ، أو كما قال ؛ فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فيسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقًا ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه فقال : يا ذا نفر هل عندك غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر ، وكان له صديقًا : وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًا أو عشيًّا ، ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسًا سائق الفيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، قال حسبي ، فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس إن عبد المطلب سيِّدُ قريش ، وصاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مئتي بعير ، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلَّم أنيس أبرهة ، فقال : أيها الملك ، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك ، فليكلمك بحاجته ، وأحسن إليه . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب رجلاً عظيمًا وسيمًا جسيمًا ؛ فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكرِه أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، فأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال له عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي ؛ فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلَّمتَني ، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه ، قال : ما كان ليُمنَع مني ، قال : فأنت وذاك ، اردد إليّ إبلي .

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيِّد بني كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذَليّ وهو يومئذ سيد هُذَيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموالِ تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، واللَّه أعلم .

وكان أبرهة ، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ،

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شعف الجبال والشعاب تخوّفًا عليهم من مَعَرة الجيش ؛ ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلْقة الباب ، باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون اللَّه ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب : وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا ربِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكـا
يـا ربِّ فامْنَـعْ مِنهُمْ حِماكـا
إنَّ عَـدُوَّ البَيْـتِ مَـنْ عادَاكا
امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُراكـا [1]

وقال أيضًا :

لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَـــــعُ رَحْلَهُ فامْنَع حِلالكْ

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُـمْ ومحَالُهُـمْ غَـدْوا مِحَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا أوْلـى فأمْـرٌ مـا بَـدَا لَـكْ
ولَئِنَ فَعَلْتَ فَإنَّـهُ أمْـرٌ تُتِـمُّ بِـهِ فعَالَـكْ [2]

---

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ زعموا أنه قالهما في حرب الفيل . وقد ذكرها الثعلبي المفسر في «العرائس» المعروف بقصص الأنبياء (طبعة الحلبي (٤٤٢) .

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة ، وهدم الكعبة . وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات وهي : =

وقال أيضًا :

وكُنْتُ إذَا أتَى بَاغٍ بِسَلْمٍ ∴ نُرَجِّي أن تَكُونَ لَنا كَذلِكْ

فَوَلَّوْا لَمْ يَنالُوا غَيْرَ خِزْيٍ ∴ وكَانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكْ

وَلَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رجالٍ ∴ أرَادُوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ

جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ ∴ والفِيلَ كَيْ يَسبُوا عِيالَكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبأ جيشه ؛ وكان اسم الفيل محمودًا ، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجَّهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعميّ ، حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود ، وارجع راشدًا من حيث جئت فإنك في بلد اللَّه الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فَبرَكَ الفيل، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل ، وضربوا

= لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَـعُ رَحْلَهُ فامْنَع حلالَكْ

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومحَالُهُمْ غَدْوًا محَالَكْ

إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وقال السهيلي في «الروض الأنف» تعليقًا على قول عبد المطلب هذا : وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل ، وهو قوله :

وانصُرْ على آلِ الصَّلِيبِ وعابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ

وقوله : حلالك : هم القوم الحالون في المكان . اهـ . وقيل : إن البيت الثالث مما رواه الواقدي ، ولم يروه ابن إسحاق . اهـ . من حاشية المعلق .

الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم ، فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه ، فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجَّهوه راجعًا إلى اليمن ، فقام يهرول ووجَّهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى المشرق ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل اللَّه عليهم طيرًا في البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل اللَّه بهم من نقمته .

أيْنَ المَفَرُّ والإلَهُ الطَّالِبْ ∴ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الغالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ منهل ، فأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها مِدّة تمُثُّ فيحًا ودمًا ، حتى قدِموا به صنعاء . وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث ، أن أوّل ما رُؤيت الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أوّل ما رؤي بها مُرار الشجر الحرملُ والحنظلُ والعُشرُ ذلك العام .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بيت اللَّه ليهدمه من أجلّ بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن ، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصِّفَّاح برك ، فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت اللَّه ألقى بجرانه على الأرض وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْولة ، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث اللَّه عليهم طيرًا بيضًا أبابيل . والأبابيل : الكثيرة ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم اللَّه عزّ وجلّ كعصف مأكول، قال : فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة ، فجعل كلما قدم أرضًا تساقط بعض لحمه ، حتى أتى قومه . فأخبرهم الخبر ثم هلك .

* * *

س ـ من المعلوم أن النصارى أهل كتاب ، وأن أهل مكة كانوا أهل شرك ، وأهل الكتاب خير من أهل الشرك ، وكانت الكعبة مملوءة بالأصنام ، فكيف أهلك اللَّه سبحانه وتعالى النصارى الذين هم أهل كتاب ولم يسلطهم على الوثنيين ؟

ج : ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن هؤلاء النصارى إنما أرادوا تدمير بيت اللَّه الحرام وتوجيه الناس إلى بلادهم ، فهمتهم ووجهتهم كانت للنيل من الكعبة البيت الحرام وتدميرها وصرف الناس عن تلك الكعبة التي حرمها اللَّه سبحانه وتعالى وجعلها قيامًا للناس .

• وسبب آخر لذلك أن إهلاك أصحاب الفيل كانت تقدمة لمبعث رسول اللَّه ﷺ ، فقد ولد النبي ﷺ في هذا العام .

• **وذكر الرازي وجهًا آخر فقال :**

السؤال السابع : أليس أن كفار قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان من قديم الدهر ، ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب جدران الكعبة ، فلم سلط اللَّه العذاب على من قصد التخريب ، ولم يسلط العذاب على من ملأها من الأوثان ؟ .

والجواب : لأن وضع الأوثان فيها تعد على حق اللَّه تعالى ، وتخريبها تعد على حق الخلق، ونظيره قاطع الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع أنهم مسلمون ، ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة ، وإن كانوا كفار، لأنه لا يتعدى ضررهم إلى الخلق.

* * *

س - في أي مناسبة ذكر رسول اللَّه ﷺ حابس الفيل ؟

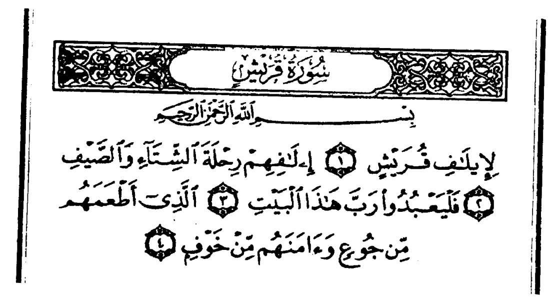
ج : ذكر النبي ﷺ حابس الفيل عندما امتنعت ناقته من دخول مكة فقال الصحابة : خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**» .

وذلك واضح فيما أخرجة البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول اللَّه

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) .

ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : «**إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين**» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يُهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس : حل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي ﷺ : «**ما خلأت القصواء ...** » الحديث .





س ـ اذكر معنى ما يلي :

لإيلاف ـ إيلافهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
لإيلاف	قال بعض العلماء: إن الإيلاف من التأليف أي الاجتماع فالمعنى: لاجتماع قريش ، وقال آخرن : إنه من الإلف والتعود
إيلافهم	تعودهم

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [قريش: ١، ٢] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي : ـ

الأول : أن الله عز وجل أنعم على قريش بنعم لإلفتهم وعدم تفريق جماعتهم ، من هذه النعم إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، أي : كونهم يألفون رحلة الشتاء والصيف ، فالمعنى : لتأليف قريش وجمعها وعدم فرقتها أنعمنا عليهم بأنهم يألفوا رحلة الشتاء والصيف ويتعودونها ولا تشق عليهم ولا يعترضهم أحد بسوء لكونهم أهل الحرم ، كما قال تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾** [العنكبوت: ٦٧] .

الثاني : أن السورة مرتبطة بما قبلها ، والمعنى: أننا أهلكنا أصحاب الفيل لإيلاف قريش حتى تجتمع كلمتها، وذلك لأن قريشًا كانت تخرج في تجارتها فلا يُغار عليها في الجاهلية ويقولون هم أهل بيت الله عز وجل ، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فأهلكه الله سبحانه وتعالى لإيلاف قريش ، أي : لجمع كلمتهم وليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم أحد .

والمعنى : فجعل الله أصحاب الفيل كعصف مأكول لتبقى قريش ويبقى لها ما قد ألفته من رحلة الشتاء والصيف .

الثالث : أن المراد : التعجب ، فالمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش

وتعودهم لرحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت .

* * *

س - ما المراد برحلة الشتاء والصيف ؟

ج : جمهور العلماء على أن الرحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام .

* * *

س - يشرع تذكير العبد بنعم الله عليه بين يدي حثّه على العبادة دلّل على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي : -

- قوله تعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤] .

- وقوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٤] ثم قال

تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٧، ٨] .

• وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٦ - ١١] .

ومن ذلك حديث الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم اللَّه عز وجل[1] .

* * *

س ـ ما هو الخوف الذي حفظ اللَّه سبحانه وتعالى قريشًا منه وجعلهم في مأمن ؟

ج : من ذلك أن بلادهم كانت آمنة مطمئنة لها حرمتها ولا يعتدىٰ عليها كما قال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] وكما قال عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي فعله اللَّه عز وجل لتأليف قريش ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

---

(١) الحديث في «الصحيحين» ، وقد تقدم .

أحدهما : أنه سبحانه أهلك أبرهة وأصحاب الفيل الذين معه حتى يزداد العرب والناس توقيرًا لقريش وهيبة لها .

الثاني : أنه سبحانه جعل القرشيين يألفون رحلة الشتاء الصيف ويتعودونها . والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في فضل قريش ؟

ج : **من ذلك ما يلي :**

١ ـ ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**لا يزال هذا الأمر[٢] في قريش ما بقي منهم اثنان**» .

٢ ـ وأخرج مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**» .

٣ ـ وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «**إن الله اصطفى كِنَانةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كِنَانة ، واصطفى من**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠١) ومسلم (١٨٢٠) .

(٢) يعني : أمر الخلافة .

(٣) مسلم (حديث ١٨١٩) .

(٤) مسلم (حديث ٢٢٧٦) وأحمد (٤/١٠٧) والترمذي (٣٦٠٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» .

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فسمعته يقول : **«إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»**[٢] قال : ثم تكلم بكلام خفيَ عليَّ . قال فقلت لأبي ما قال ؟ قال : **«كلهم من قريش»** .

وفي «صحيح البخاري»[٣] من طريق الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديثَ ليست في كتَابِ اللَّه ، ولا تُؤْثَرُ عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فأولئك جهالُكم ، فإياكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَهَا ، فإني سمعتُ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول: **«إن هذا الأمرَ في قريشٍ ، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه اللَّهَ على وجْهِهِ ما أقاموا الدِّين»** .

وأخرج الطيالسي[٤] بإسناد صحيح لغيره من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ ، قال : **«الأئمة من قريش إذا حكموا عدلوا ، وإذا**

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٢١) .

(٢) في بعض روايات مسلم : **«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعًا إلى اثنى عشر خليفة»** .

(٣) حديث (٣٥٠٠) .

(٤) مسند الطيالسي (حديث ١٣٣) .

عاهدوا وفوا ، وإن استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل» .

وأخرج الطيالسي[1] أيضًا من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم» فقيل** للزهري : بم ذاك ؟ قال : بنبل الرأي .

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم : **«قريش والأنصار وجهينة ومُزينة وأسلم وغِفار وأشجع مواليَّ ليس لهم مولى دون اللَّه ورسوله»** .

ولنساء قريش أيضًا فضيلة .

فقد أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولدٍ في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده»** .

* * *

س ـ اللَّه سبحانه وتعالى يدافع عن أوليائه عمومًا ويدافع عن نبيه محمد ﷺ خصوصًا وضح ذلك ؟

ج : نعم فرب العزة سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا ، قال

---

(١) الطيالسي (٩٥١) وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٥٠٨) وأحمد (٤/ ٨١ و ٨٣) وغيرهم ، وإسناد صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٢) ومسلم (٢٥٢٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٨٢) ومسلم (٢٥٢٧) وأحمد (٢/ ٢٦٩ و ٢٧٥) .

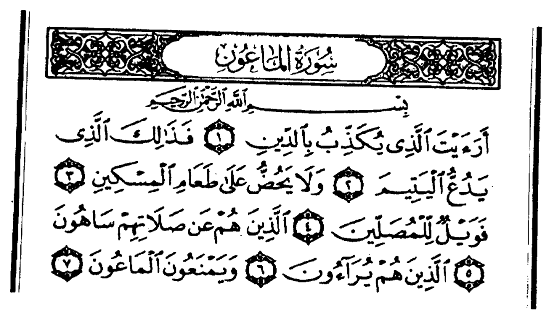
سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: ١١] وقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] إلىٰ غير ذلك من الآيات .

ويدافع سبحانه عن نبيه ﷺ علىٰ وجه الخصوص ، قال تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات ، ونسوق هنا ما ذكره **الرازي رحمه الله** ، قال رحمه الله :

المسألة الثالثة : الكفار لما شتموه ، فهو تعالىٰ أجاب عنه من غير واسطة، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وهكذا سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولىٰ بنفسه جوابه ، فههنا تولىٰ الحق سبحانه جوابهم ، وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧ ، ٨] فقال سبحانه : ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] ، وحين قالوا هو مجنون أقسم ثلاثًا ، ثم قال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] ، ولما قالوا : ﴿لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ [الرعد: ٤٣] أجاب فقال : ﴿يس ۞ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣] فصدقه ، ثم ذكر وعيد خصمائه ، وقال : ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨] ، وحين قال حاكيًا : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ [الطور: ٣٠] قال : ﴿وَمَا

عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩] ، ولما حكي عنهم قولهم : **﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾** [الفرقان: ٤] سمَّاهم كاذبين بقوله : **﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُوراً﴾** [الفرقان: ٤] ، ولما قالوا : **﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾** [الفرقان: ٧] أجابهم فقال : **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾** [الفرقان: ٢٠] فما أجل هذه الكرامة .





س ـ وضح معنى ما يلي :

الدين ـ يدع ـ يحض ـ يراءون ـ الماعون ؟

ج :

الكلمة	معناها
الديـــن	المعاد ـ الجزاء والثواب والحساب
يـــدع	يدفع[2] ـ يقهر ـ يظلم ـ يطرد ـ يُبعد
يحــض	يأمر ـ يحث غيره
يـراءون	يعمل الأعمال كي يراه الناس ، فيحسن سمته ويظهر عمله طلبًا للرياء والسمعة والشهرة

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿يوم يدعون إلى نار جهنم دعًا﴾ [الطور: ١٣] .

(٢) أي : يدفع اليتيم عن حقه ويدفعه عن بابه .

الكلمة	معناها
الماعون	هو ما يستعين به الناس ويستعيرونه من بعضهم ، فيدخل فيه الدلو والقدر والفأس ومتاع البيت ، وعموم ما ينتفع به الناس وقيل : المراد به الزكاة

* * *

س ـ هل هناك علاقة بين التكذيب بيوم الدين وبين دع اليتيم وترك الحض على إطعام المسكين ؟

ج ـ نعم هناك علاقة بينهما تتلخص في أن المكذب بيوم الدين يحمله تكذيبه على عدم إكرام اليتيم ويحمله تكذيبه على طرد الأيتام عن بابه ويحمله تكذيبه على عدم إطعام المساكين .

أما المؤمن بيوم الدين فيحمله إيمانه على إكرام اليتيم وإطعام المسكين كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴿٩﴾ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٩، ١٠] .

● **وقد أورد عطية سالم رحمه الله** نحو هذا الكلام في «تتمته لأضواء البيان» ثم طرح سؤالاً آخر فقال :

وهنا سؤال : **لما خصَّ المكذبين بيوم الدين عمن يرتكب هذين**

الأمرين دع اليتيم ، وهو دفعه وزجره وعدم الحض على إطعام المساكين وبالتالي عدم إطعامه هو من عنده ؟

وأجاب على ذلك بقوله :

والجواب أنهما نموذجان فقط ، ومثالان فقط .

والأول منهما : مثال للفعل القبيح .

والثاني : مثال للترك المذموم .

ولأنهما عملان إن لم يكونا إسلاميين فهما إنسانيان قبل كل شيء .

وفي الآية الأخرى توجيه للجواب ، وهو أن المؤمن يخاف من الله يومًا عبوسًا ، وعبر بالعبوس في حق يوم القيامة ، لئلا يعبس هو في وجه اليتيم والمسكين لضعفهما .

ومن جانب آخر فإن كان التكذيب بيوم الدين ، يحمل على كل الموبقات ، إلا أنها قد تجد ما يمنع منها ، كالقتل والزنى والخمر لتعلق حق الآخرين ، وكذلك السرقة والنهب .

أما إيذاء اليتيم وضياع المسكين ، فليس هناك من يدفع عنه ، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما ، وليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم .

وجبلت النفوس على ألا تبذل إلا بعوض ، ولا تكف إلا عن خوف ، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين ، والجزاء غير

مأمول منهما ، فلم يبق دافع للإحسان إليهما ، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء ، فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير .

وقيل : إن دع اليتيم : هو طرده عن حقه ، وعدم الحض على طعام المسكين : عدم إخراج الزكاة .

ولكن في الآية ما يمنع ذلك ، لأن الزكاة إنما يطالب بها المؤمن والسياق فيمن يكذب بيوم الدين فلا زكاة .

* * *

س ـ هل كل من يدع اليتيم يكفر ؟

ج : ليس كل من يدع اليتيم يكفر ، وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] ، ولكن المراد بيان خصال الكفار ، وأن منها : أن الكافر يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فالكافر لما كان غير مقرٍّ بالحساب وبالمعاد فليس له حاجة في إكرام اليتيم وليس عنده خوف من نهره ودفعه وإهانته ما دام لا يطمع في ثواب اللَّه ولا يخاف عقابه .

ولما كان من خصال أهل الكفر أنهم يدعون اليتيم ويدفعونه عن الأبواب كان من اللائق بأهل الإيمان أن لا يتشبهوا بهم في هذا ، بل على أهل الإيمان إكرام اليتيم والحث على ذلك وعليهم إطعام المسكين كذلك .

س ـ ما المراد بالسهو عن الصلاة[1] في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] **؟ ومن هم الذين توعدهم اللَّه بالويل؟**

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد تضييع الأوقات ، فالمعنى : أنهم يؤخرونها عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها .

الثاني : أن المراد بالسهو عن الصلاة تركها .

الثالث : أن المراد الغفلة واللهو عنها ، فلا يبالون صلوا أم لم يصلوا ولا يبالون دخل الوقت أم لم يدخل .

وعلى ذلك فالذين توعدهم اللَّه بالويل هم[2] أهل النفاق ، الذين يصلون أمام الناس فإذا خلوا تركوا الصلاة وضيعوها ، وقد قال تعالى : **﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾** [النساء: ١٤٢] .

وهم أيضًا الغافلون عن الصلاة اللاهون عنها الذين لا يبالون

---

(١) **قال الطبري رحمه اللَّه :** وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله : ﴿ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] لاهون يتغافلون عنها ، والتشاغل بغيرها وتضييعها أحيانًا وتضييع وقتها أخرى، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال عني بذلك ترك وقتها ، وقول من قال عني به تركها لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت .

(٢) **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :** اختلف في المصلين الذين توجه إليهم الوعيد بالويل هاهنا ، والجمهور على أنهم الذين يسهون عن أدائها ويتساهلون في أمر المحافظة عليها وقيل عن الخشوع فيها وتدبر معانيها ، ولكن الصحيح أنه الأول .

أصلوا أم لم يصلوا ، وهل خرج وقت الصلاة أم لم يخرج ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قول : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] **وقول : (الذين هم في صلاتهم ساهون) ؟**

ج : **نعم هناك فرق بينهما ، ومن ثمَّ جاء عن بعض السلف أنهم قالوا** : الحمد للَّه الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم . ووجه الفرق : أن السهو عن الصلاة تركها بالكلية أو تأخيرها ـ على ما قدمنا ـ أما السهو في الصلاة فلم يسلم منه أحد ، بل قد سها النبي ﷺ في صلاته، وعقد الفقهاء في كتب الفقه أبوابًا للسهو في الصلاة وشرع سجود السهو لمن سها في صلاته .

* * *

بحث مختصر في الرياء

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦] **؟ واذكر بعض الأدلة الواردة في ذم الرياء ؟ وما حكم الرياء في العمل ؟**

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : وقوله : الذين هم يراءون ، يقول : الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم

منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

أما الوارد في ذم الرياء فمنه ما يلي : ـ

- قوله تعالى : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

- وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٤٢] فأفادت الآية الكريمة أن الرياء من صفات المنافقين .

- وقال تعالى : ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٤٧] .

- وقوله تعالى : ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠] .

فنهى اللّه فيها عن الشرك بعمومه ، ويدخل فيه الرياء .

- قوله تعالى في الحديث القدسي[١]: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه تبارك وتعالى : «**أنا أغنى الشركاء ...**» الحديث .

قال النووي رحمه اللّه : هكذا وقع في بعض الأصول «**وشركه**» وفي بعضها «**وشريكه**» وفي =

وأخرج الإمام أحمد [1] رحمه اللَّه من حديث محمود بن لبيد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول اللَّه ؟ قال : «**الرياء ، يقول اللَّه عز وجل لهم يوم القيامة - إذا جزئ الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» .

- وفي «الصحيحين»[2] من حديث جندب رضي اللَّه عنه قال :

= بعضها «وشركته» ومعناه : أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ، ويأثم به .

قلت: وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - قال : سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : «**إذا جمع اللَّه الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله للَّه أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير اللَّه فإن اللَّه أغنى الشركاء عن الشرك**» . وزياد بن ميناء قال فيه ابن المديني : مجهول ، إلا أنه - أعني ابن المديني - قال عن إسناد الحديث : إسناد صالح يقبله القلب . هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال .

قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

وقال تعالى بعد أن ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام : ﴿**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨] .

(١) أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨) وإسناده صحيح .

(٢) البخاري (حديث ٦٤٩٩) ومسلم (حديث ٢٩٨٧) .

قال النبي ﷺ : «من سمَّع سمع اللَّه به ، ومن يُرائي يرائي اللَّه به»[1] .

---

(١) قال النووي : قال العلماء : معناه من راءى بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع اللَّه به يوم القيامة الناس وفضحه ، وقيل : معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه ، وقيل : أسمعه المكروه ، وقيل : أراه اللَّه ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه ، وقيل : من أراد بعمله الناس أسمعه اللَّه الناس وكان ذلك حظه منه .

● والحديث أخرجه البخاري تحت باب (الرياء والسمعة) ، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع «الفتح» ١١/٣٣٦) : الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد ، وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها ، والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع ، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر .

وقال الغزاليّ : المعنى : طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة ، والمرائي هو العامل .

وقال ابن عبد السلام : الرياء أن يعمل لغير اللَّه ، والسُّمعة أن يخفي عمله للَّه ثم يحدث به الناس .

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابيّ قوله في شرح الحديث : معناه من عمل عملاً على غير إخلاص ، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي على ذلك بأن يشهره اللَّه ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه ، وقيل : من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه اللَّه فإن اللَّه يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ، ولا ثواب له في الآخرة ، ومعنى يُرائي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه ، ومنه قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] إلى قوله : ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] .

● وقيل: المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد وكان ذلك جزاؤه على عمله ولا يُثاب عليه في الآخرة ، وقيل : المعنى : من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه وسمعه المكروه ، وقيل : المعنى : من نسب إلى نفسه عملاً صالحًا لم يفعله وادعى خيرًا لم يصنعه فإن اللَّه يفضحه ويظهر كذبه ، وقيل : المعنى : من يُرائي الناس بعمله أراه اللَّه ثواب ذلك العمل وحرمه إياه ، وقيل: معنى «سمَّع اللَّه به»: =

● ومن ذلك ما أخرجه مسلم[1] في «صحيحه» من طريق سليمان ابن يسار قال : تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام : أيها الشيخ حدثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ ، قال: نعم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«إن أوَّل الناس يُقْضَىٰ يوم القيامة عليه رجلٌ استُشْهِدَ فَأُتِيَ به فعرَّفه نعَمَهُ فَعرَفَها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتى اسْتُشْهِدْتُ قال : كَذَبْتَ ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فقد قيل ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلْقِيَ في النَّار ، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نعَمَهُ فعرَفها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيكَ القرآن قال : كذبت ولكنَّك تعلَّمت العلْمَ ليقال عالم وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئٌ فقد قِيلَ ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلْقِي في النَّار ، ورجل وسع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه فأُتي به فعرَّفه نعَمَهُ فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنْفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هوَ جَوَادٌ فقد قيلَ ، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه ثم أُلْقِيَ في النَّار»**[2].

= شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. قلت (الحافظ): ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتمد.

● **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما في حديث (الوليمة في اليوم الأول ، والثاني والثالث سمعة ، ومن سمع سمع به) فالرياء مرجعه إلى الرؤية ، والتسميع مرجعه إلى السماع .

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه :**

وقوله صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك =

وأخرج الترمذي[1] بإسناد صحيح[2] لغيره من طريق عقبة بن مسلم أن شُفيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته ،

= لغير الله ، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة. ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصًا ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا .

قلت : وقد أخرج البخاري (٢٨٩٨) تحت باب لا يقول فلان شهيد ، في كتاب الجهاد ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التقي هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ اليوم منا أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «**أما إنه من أهل النار**» فقال رجل من القوم : أنا صاحبه قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه قال : فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : أشهد أنك رسول الله قال : «**وما ذاك ؟**» قال : الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**» .

(١) الترمذي (٢٣٨٢) ، وانظر «سنن النسائي» (٦/ ٢٣) .

(٢) فيشهد له حديث أبي هريرة المتقدم .

فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ، ثم نشغ [١] أبو هريرة نشغةً ، فمكث قليلاً ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرى ، ثم أفاق فمسح وجهه فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرى ثم أفاق ومسح وجهه فقال : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدةً ، ثمَّ مال خارًا على وجهه فأسندته عليَّ طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول اللَّه ﷺ «**أن اللَّه تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمةٍ جاثيةٌ ، فأول من يدعو به رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ يقتتل في سبيل اللَّه ، ورجل كثير المال ، فيقول اللَّه للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول اللَّه له : كذبت . وتقول له الملائكة: كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال إن فلانًا قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتى بصاحب المال فيقول اللَّه له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق ، فيقول اللَّه له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول اللَّه تعالى : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك . ويؤتى بالذي**

---

(١) نشغ نشغة : أي : شهق حتى كاد يغمى عليه .

قتل في سبيل الله ، فيقول الله له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله تعالى له كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله : بل أردت أن يقال فلان جريءٌ فقد قيل ذاك ، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال : «**يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**» . وقال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة بن مسلم أن شفيًا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا : قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدًا حتى ظننا أنه هالكٌ ، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال : صدق الله ورسوله : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

قال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

أما حكم الرياء في العمل فيتلخص في الآتي :

● ذهب فريق من أهل العلم إلى أن الرياء محبط للعمل الذي هو فيه فقط فإن راءى في الصلاة أحبطها ولا يتعدى ذلك إلى الصوم ، وإن راءى في صلاة نافلة لا يتعدى إحباطها إلى صلاة فريضة وهكذا .

واستدل هؤلاء بالحديث القدسي : «**من عمل عملاً أشرك فيه معي**

غيري تركته وشركه» .

ومن أهل العلم من قال : إن الرياء لا يخلو من ذم ، وذلك للذم الوارد في المرائين ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ إذا بدأ الرجل عمله خالصًا للَّه ثم طرأ عليه شبح الرياء فهل يسلم له عمله أو يحبطه ما طرأ عليه من الرياء ؟

ج : **أجاب علىٰ ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال :

فقالوا : إن كان خاطرًا ودفعه عنه فلا يضره ، وإن استرسل معه . فقد رجح أحمد وابن جرير ، عدم بطلان العمل نظرًا لسلامة القصد ابتداء .

ودليلهم في ذلك : ما روىٰ أبو داود في «مراسيله» عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، إن بني سلمة كلهم يقاتل ، فمنهم من يقاتل للدنيا ، ومنهم من يقاتل نجدة ، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه اللَّه تعالىٰ قال : **«كلهم إذا كان أصل أمره ، أن تكون كلمة اللَّه هي العليا»** .

وذكر عن ابن جرير : أن هذا في العمل الذي يرتبط آخره بأوله ، كالصلاة والصيام .

أما ماكان مثل القراءة والعلم، فإنه يلزمه تجديد النية الخالصة للَّه، أي لأن كل جزء من القراءة ، وكل جزء من طلب العلم مستقل بنفسه،

فلا يرتبط بما قبله .

* * *

س ـ إذا بدأ الشخص عملاً للّٰه سبحانه وتعالىٰ فرآه الناس علىٰ هذا العمل ففرح برؤيتهم له علىٰ هذه الحال ، هل يدخل هذا في باب الرياء ؟

ج : **لا يدخل هذا في الرياء ، بل هو من عاجل بشرىٰ المؤمن، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي اللّٰه عنه قال : قيل لرسول اللّٰه ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال : «تلك عاجل بشرىٰ المؤمن»[1].**

* * *

س ـ هل يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ؟

ج : **لا يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ، فإذا كان العمل الصالح فريضة فلا بأس بإظهاره بل ويجب إظهار الفريضة في عدة أحيان ففرض الصلاة يظهر وكذلك الحج والنطق بالشهادتين وغير ذلك .**

قال القرطبي رحمه اللّٰه : ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها .

قلت : وإذا أُظهر العمل الصالح بقصد التأسي بالعامل فلا بأس بذلك ، وقد قال تعالىٰ : ﴿**إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) .

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

❊ ❊ ❊

س - هل يلزم أن يكون المرائي في صلاته منافقًا ؟

ج : **أجاب على ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بقوله :**

والمرائي في صلاته قد يكون منافقًا ، وقد يكون غير منافق .

فالرياء أعم من جهة ، والنفاق أعم من جهة أخرى ، أي قد يرائي في عمل ما ، ويكون مؤمنًا بالبعث والجزاء وبكل أركان الإيمان ، ولا يرائي في عمل آخر ، بل يكون مخلصًا فيه كل الإخلاص .

والمنافق دائمًا ظاهره مخالف لباطنه في كل شيء ، لا في الصلاة فقط .

ولكن جاء النص: بأن المراءاة في الصلاة ، من أعمال المنافقين .

وجاء النص أيضًا . بأن منع الماعون من طبيعة الإنسان إلا المصلين، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢] .

❊ ❊ ❊

س - ما المراد بـ ﴿الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] بشيء من الإيضاح ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي :**

أحدها : أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة .

الثاني : أن المراد المتاع الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويستعيرونه من بعضهم كالدلو والقدر والفأس ونحو ذلك .

الثالث : أن المراد عموم ما ذكر فيدخل فيه منع الزكاة المفروضة ويدخل فيه أيضًا منع العارية التي تستعار .

قال الطبري رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان اللَّه قد أخبر عن هؤلاء القوم وأنهم يمنعونه الناس خبرًا عامًا من غير أن يخص من ذلك شيئًا أن يُقال: إن اللَّه وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب اللَّه لهم في أموالهم من الحقوق لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض .

* * *

س ـ ما حكم العارية (الشيء الذي يُعار) ؟

ج : أكثر أهل العلم على أنه مستحب لما فيه من التعاون على الخير وعلى البر ، ولما يجلبه ذلك من مودة بين المسلمين .

أما من استدل للوجوب بقوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ۝٦ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ [الماعون: ٦ ، ٧] فأجيب على استدلاله بأن الوعيد في الآية الكريمة منصبٌ على الصفات الثلاث : السهو عن الصلاة ،

والرياء في العمل ، ومنع الماعون ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

أهمية العمل بمجموع النصوص وجملتها والتحذير من الأخذ بدليل واحد وترك باقي الأدلة :

س - يستفاد من هذه السورة منهج علمي يتمثل في جمع النصوص عند إرادة البحث في مسألة ، وضح ذلك ، ومثل له من هذه السورة ومن غيرها ؟

ج : أما المثال من هذه السورة **فقد ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال رحمه الله :

في هذه السورة بيان منهج علمي يلزم كل باحث ، وهو جمع أطراف النصوص وعدم الاقتصار علىٰ جزء منه ، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٦] وهي آية مستقلة ، ولو أخذت وحدها لكانت وعيدًا للمصلين .

كما قال الشاعر الماجن في قوله :

دع المساجد للعباد تسكنها .:. وسر إلىٰ خانة الخمار يسقينا

ما قال ربك ويل للألىٰ سكروا .:. وإنما قال ويل للمصلينا

ولذا لابد من ضميمة ما بعدها للتفسير والبيان ، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] ، ثم فسر هذا التفسير أيضًا بقوله :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦ - ٧] .

ومثل هذه الآية من الحديث ، ما جاء عند ابن ماجه ما نصه بسنده عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال : قيل للنبي ﷺ : إن مسيرة المسجد تعطلت : فقال النبي ﷺ : **«من عمّر مسيرة المسجد كتب له كِفلان من الأجر»** .

هذا الحديث وإن كان في الزوائد ، قال عنه : في إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف ، إلا أنه نص فيما تمثل له لأن من اقتصر على وجوبه ﷺ اعتبر مسيرة المسجد أفضل ، ومن جمع طرفي الحديث عرف المقصود منه .

ويتفرع على هذا ما أخذه مالك رحمه اللّٰه في باب الشهادة : أن الشخص لا يحق له أن يشهد على مجرد قول سمعه ، إلا إذا استشهدوه عليه ، وقالوا : اشهد عليه ، أو إلا إذا سمع الحديث من أوله مخافة أن يكون في أوله ما هو مرتبط بآخره ، كما لو قال المتكلم للآخر : لي عندك فرس ، ولك عندي مائة درهم ، فيسمع قوله : لك عندي مائة درهم ، ولم يسمع ما قبلها ، فإذا شهد على ما سمع كان إضراراً بالمشهود عليه ، وهذه السورة تدل لهذا المأخذ ، واللّٰه تعالى أعلم .

ونورد هنا أمثلة أخرى للشذوذ الناجم عن الأخذ ببعض الأدلة وترك البعض الآخر في مجالات متنوعة .

• ففي مجال العقائد :

• الخوارج والمرجئة :

عَمَد الخوارج إلى جملة أدلة من الكتاب والسنة وفهموها على غير وجهها ، وأهدروا آيات وأحاديث أُخر فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من تضليل المسلمين وتكفيرهم والابتداع في الدين ، وإذا جآء المناظر يناظرهم أوردوا له الآيات والأحاديث التي تشهد في ظاهرها لمنهجهم وتركوا ما سواها وها هي بعض الأدلة التي يستندون عليها :

١ - قوله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] .

٢ - قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] . إلى غير ذلك من الآيات .

أما الأحاديث : فاحتجوا بقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات»[1].

• وقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة قاطع»[2].

---

[1] أخرجه البخاري (مع الفتح ٤٧٢/١٠) ، ومسلم (ص ١٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عمر : قال سفيان : يعني قاطع رحم .

- وقوله ﷺ : «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»(١) .
- وقوله ﷺ : «من ادّعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»(٢) .
- وقوله ﷺ : «من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها حرم اللَّه عليه الجنة»(٣) .
- وقوله ﷺ : «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»(٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث فبنوا على ذلك قواعدهم الباطلة في تكفير المسلمين .

فكفروا مرتكب المعصية المُصرَّ عليها !!!

وكفَّروا القتات !!! وكفَّروا قاطعَ الرحم !!!

وكفَّروا قاتل النفس المعاهدة بغير حقٌ !!!

وكفَّروا من لا يأمن جارُهُ بوائقَهُ !!!

وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . !!!

- وتركوا قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، والبخاري من حديث سعد مرفوعًا.
(٣) أخرجه البخاري من حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا .
(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

● وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : **«يخرجُ من النَّارِ من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»**[١] .

وتركوا غير ذلك من الأحاديث والآيات فضلُّوا وأضلُّوا !!!!

● أما المرجئة فعمدوا إلىٰ حديث رسول اللَّه ﷺ : **«من شَهِدَ أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه حرَّمه اللَّه علىٰ النار»**[٢] .

● وحديث عثمان رضي اللَّه عنه في «صحيح مسلم» : **«من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة»**[٣] .

● وإلىٰ قول النبي ﷺ : **« ... فإن اللَّه حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه»**[٤] .

● وحديث : **«من صلىٰ البردين دخل الجنة»**[٥] .

● وحديث : **«من اغبرَّت قدماه في سبيل اللَّه حرمه اللَّه علىٰ النار»**[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
(٢) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢١) من حديث عثمان رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
(٤) أخرجه البخاري من حديث محمود بن الربيع في قصة عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه وذهاب الرسول ﷺ إليه ليصلي في بيته .
(٥) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ رضي اللَّه عنه مرفوعًا .
(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي عبس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

● وقوله ﷺ : «**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا**»[1] .

وغير ذلك من الأحاديث التي على هذا النحو والمنوال !!!

وأخذوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [المائدة: ٨٥] .

فقالوا : إن اللّٰه عزَّ وجل قال : فأثابهم اللّٰه بما قالوا ، واقتصر هنا على القول إلى غير ذلك من الآيات التي على هذا النحو .

● فحكموا لمن اقتصر على قول لا إله إلا اللّٰه بالإيمان والنجاة من النيران وإن لم يعمل خيرًا قط !!!

● وبالغ بعضهم مبالغة شديدة وقال : إن من قالها فهو على إيمان كإيمان جبرائيل وإسرافيل !!!

● وضل آخرون منهم ضلالاً بعيدًا إذ قال : إن من قال لا إله إلا اللّٰه فهو مؤمن وإن اعتقد التثليث بقلبه !!!

وهذا نوع من أنواع الكفر الصُّراح .

وتغافلوا عن قوله تعالى في جُلِّ آيات الكتاب : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الكهف: ١٠٧] .

فردف الإيمان بالعمل .

وتركوا قول اللّٰه جل ذكره : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه .

خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٥] .

فالآية الكريمة تفيد أنهم يصلون ولكنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، ويزكون إلا أنهم كما قال تعالى : ﴿**وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة: ٥٤] .

● وتركوا قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ** (١٥) **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] .

فنسوا أن هؤلاء مجاهدون خرجوا للجهاد في سبيل اللَّه إلا أن زحف الكفار أرهبهم وشعاع السيوف أزعجهم فرجعوا وولوا الأدبار فجاء فيهم الوعيد الشديد !!

● نسوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[(١)] **فها هو قد طرح في النار وقد قال لا إله إلا اللَّه**

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وأتى بصلاة وصيام وزكاة ولكن ولات حين . . . . . . !!! .

● وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[1] .

وتركوا الوعيد الذي جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية لأكلة الربا والزناة وأكلة السحت والمصورين والمسبلين والغشاشين وقطاع الأرحام وقطاع الطرق والمتبرجات وأكلة أموال اليتامى ظلمًا وشهود الزور والمغتابين واللصوص و . . . و . . . و . . . . . !!!! .

فضَلَّت المرجئة وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ! .

وهذا مصير من أخذ بجانب من الأدلة وترك جانبًا آخر !! .

هذا مصير المتميع الذي أخذ أحاديث ظن أنها توافق تميعه !! .

وذاك مصير المتشدد الذي أخذ أحاديث ظن أنها تزكي تشدده !! .

ولكن أهل السنة والجماعة ـ وفقهم اللَّه وسدد على الطريق خطاهم ـ أخذوا بهذه النصوص وتلك وجمعوا بينها ووفَّقوا ، وألفوا بينها وسُدِّدوا ، فرفعوا الإشكال للمسلمين ، وأزالوا الشُّبَه ، وكشفوا الحُجب ، فجزاهم اللَّه خيرًا ورفعهم اللَّه قدرًا .

فهب أن هناك قاطعًا للرحم يقول : لا إله إلا اللَّه ، فهل نطبق عليه رأي الخوارج ونقول : إن الجنة عليه حرام !! أم قول المرجئة : إنه من أهل الإيمان في فسيح الجنان !! هل نأخذ بحديث : «**من قال لا**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

إله إلا اللَّه دخل الجنة» ونترك حديث : **«لا يدخل الجنة قاطع»** كما فعلت المرجئة ؟ !! أو نعكس كما فعلت الخوارج ؟!! أو نأخذ بهما معًا .

لا شك أننا مأمورون بالأخذ بهما معًا .

ولنوضح كيف يجتهد أهل السنة في ذلك ، وإن كان الباب ليس بباب ذلك .

وقبل أن نشرع في الجمع بين هذه الأدلة نقرر قواعد بأدلتها :

● **القاعدة الأولى :** ألا وهي أن الجنة درجات وكذلك النار دركات، ولتقرير هذه القاعدة نسوق ما ييسره اللَّه تبارك وتعالى من أدلة، وإن أصبنا فمن اللَّه وحده فله الفضل وله الثناء الحسن ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ .. **وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ** ﴾ [طه: ٧٥، ٧٦] .

● قال تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] .

وقال سبحانه في آخر السورة : ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١] .

● وقال النبي ﷺ : **«من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام**

رمضان كان حقًا على اللَّه أن يدخله الجنة جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي وُلِدَ فيها» ، فقالوا : يا رسول اللَّه ! أفلا نبشر الناس ؟! قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال ـ وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[1] .

● وقول النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدّري في أفق السماء وإن أبا بكر وعُمر منهم وأنعما»[2] .

وأما الأدلة على أن النار دركات فمنها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

٣ ـ قوله تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥] .

٤ ـ قول العباس بن عبد المطلب لرسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : «نعم

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .
(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه بسند حسن لشواهده .

هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب .

● **القاعدة الثانية :** ألا وهي أن هناك من يدخل الجنة قبل غيره ومن أدلة ذلك ما يلي :

● قول اللّه تعالى : ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩] .

● وقول اللّه تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١] .

● وقول رسول اللّه ﷺ : «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ..** »[٢] .

● حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن رسول اللّه ﷺ الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد[٣] وهو حديث طويل جاء فيه : «...

---

(١) أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (وجوه يومئذ ناضرة . .) .

ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً لها» .

● قول رسول اللَّه ﷺ : «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**»[1] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

فمما تقدم يتبين لنا أن قول رسول اللَّه ﷺ : «**لا يدخل الجنة من فعل كذا .. وكذا**» وقوله : «**لا يدخل النار من فعل كذا وكذا و ..**» إذا كان المقول فيه من أهل التوحيد فقد يحمل على أحد وجهين :

أولهما : أنه لا يدخل مع الداخلين الأولين بل يأخذ حظه من العذاب ـ إلا إذا عفا اللَّه عنه ـ ثم يدخل الجنة .

ثانيهما : أنه قد لا يدخل نوعًا من الجنان التي أعدت لمن ترك هذا الفعل ، وقد جاء ما يشهد لذلك في حديث : «**من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة**»[2] .

وكذلك الحال بالنسبة لجهنم أعاذنا اللَّه منها برحمته فقوله ﷺ : «**حرم على النار من قال : لا إله إلا اللَّه**» قد يحمل على نار مخصوصة ألا وهي نار المشركين .

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى إمرار هذه الأحاديث على ظاهرها حتى تكون أبلغ في الزجر ، واللَّه تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه احمد والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه بإسناد حسن .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا : «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب**» وله ألفاظ أخر .

● وفي أبواب الشفاعة :

يعمد قوم إلى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

● وإلى قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] .

● وإلى قوله تعالى : ﴿.. وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ... ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

● وإلى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨] .

والآيات التي على هذه الشاكلة فيفهمون منها بفهمهم الرديء أنه لا شفاعة في الآخرة ويقررون ذلك وينتصرون له بنحو قوله تعالى : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] .

وبنحو قوله تعالى : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] .

والآيات والأحاديث التي على هذا النحو .

● ويغفلون عن مثل قوله تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فأثبتت الآية الشفاعة وإن كانت مقيدة بإذن اللَّه سبحانه وتعالى .

● وقوله تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦] .

● وقوله تعالى : ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٨، ١٠٩] .

إلى غير ذلك من الآيات ، وكذلك الأحاديث الواردة عن رسول اللَّه ﷺ في بيان أنواع الشفاعات كالشفاعة العظمى ، والشفاعة لأهل الكبائر ، والشفاعة لخروج أقوامٍ من النار ، والشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض أهل النار، والشفاعة لرفعة درجات بعض أهل الجنة، وشفاعة الذين ماتوا صغارًا لآبائهم وأمهاتهم ، وشفاعة المؤمنين ، وشفاعة القرآن ، وشفاعة الشهداء و . . . و . . .[(١)].

● أما أهل السنة والجماعة ـ زادهم اللَّه رشدًا ـ فيوفقون بين تلك الأخبار كلها ، ويعملون بالآيات والأحاديث جميعها ، فيضعون الضوابط لمسألة الشفاعة ، من هذه الضوابط لهذه المسألة : أنه لا شفاعة في كافر[(٢)]، لقوله تعالى : ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا

---

(١) وكل ذلك قد صحت فيه أحاديث عن رسول اللَّه ﷺ .

(٢) اللهم إلا ما جاء في أبي طالب ، وقول العباس له : يا رسول اللَّه ابو طالب كان يحوطك ويمنعك من الناس فهل نفعته بشيء ؟ فقال النبي ﷺ : **«نعم هو في ضحضاح من نارٍ يغلي منهما دماغه ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»** ، إن جاز أن تسمى هذه الشفاعة ، وإلا فالكفار متفاوتون في العذاب على ما تقدم ، فالكافر الداعي إلى كفره يعذب أكثر من غير =

شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] .

وإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذن اللَّه ولا يُشَفَّعُ إلا فيمن شاء اللَّه له أن يشفع فيه ، إلى غير ذلك من الضوابط التي وضعها أهل السنة والجماعة - نصرهم اللَّه وقوى شوكتهم وأظهر حجتهم - في ذلك .

- **وفي مجال الفقه :**

- **ففي مجال الصوم :**

يقوم شخص بالنظر فيما ورد عن رسول اللَّه ﷺ حيث قال عليه السلام : «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما فرض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحاء شجرة فليمصه**»(١) ، فيحرم صوم يوم السبت ويغفل عن النظر في سائر الأحاديث التي وردت في هذا الباب نحو قول النبي ﷺ : «**لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده**»(٢) .

= الداعي ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] ، فعذبوا لكفرهم وعذبوا لصدهم عن سبيل اللَّه .
وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣] ، فحملوا أثقالاً لكفرهم وأثقالاً لافترائهم على اللَّه عز وجل .

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٥٠٧) وغيره من حديث عبد اللَّه بن بسر رضي اللَّه عنه ، وروى عنه عن أخته الصماء مرفوعًا أيضًا وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

• وقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **«صم يومًا وأفطر يومًا فإن ذلك أحب الصيام إلى الله عز وجل»**[١].

وهذا وذاك يستلزم أن يوافق السبت وهذا وذاك أيضًا من ناحية الصحة أصح من حديث: **«لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم»** وإن كان الأخير غير مدفوع عن الصحة.

وفي الباب أيضًا: صوم رسول الله ﷺ من غرة كل شهر ثلاثة أيام[٢].

والأحاديث الواردة في فضل صوم يوم عاشوراء وقول النبي ﷺ: **«إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»**[٣].

والحديث الوارد في فضل صوم يوم عرفة وأنه يكفر السنة التي قبله والتي بعده[٤].

فكيف يصنع هذا الذي أخذ بحديث: **«لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم»** مع هذه النصوص؟ هل يقول: نترك صوم يوم عاشوراء وصوم يوم عرفة إذا وافقا يوم السبت؟ أم ماذا يصنع صاحب هذا الفقه السقيم؟!!.

أظن أولى له ثم أولى أن يجمع بين الأحاديث ويؤلف بينها على ما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن
(٣) أخرجه أبو داود.
(٤) أخرجه مسلم أيضًا.

جمع وألف سلفه الصالح رحمهم اللَّه وجعل الجنان مثواهم .

● وفي مجال الأشربة مثلاً :

● يعمد شخص إلىٰ ما ورد في «صحيح مسلم» عن أنس رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه نهىٰ أن يشرب الرجل قائمًا [١].

● وحديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه ، وفيه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا [٢]. والأحاديث التي في هذا المعنىٰ .

● ويترك ما ورد من حديث علي رضي اللَّه عنه ، أنه صلىٰ الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتىٰ حضرت صلاة العصر ، ثم أُتي بماء فشرب وغسل وجهه ويديه ـ وذكر رأسه ورجليه ـ ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا ، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت[٣].

وما ورد من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : شرب النبي ﷺ من زمزم وهو قائم[٤]، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب ، ولا يحاول التوفيق بينها فيقع في إجحاف وعدم إنصاف ولا حول ولا قوة إلا باللَّه[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٦) .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) وأوجه الجمع قد أوردها ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٨٤) وغيره فراجعها إن شئت ، والذي اختاره هو وجنح إليه أن أحاديث النهي تحمل على كراهة التنزيه ، وأحاديث الجواز =

● وكذلك يحدث الخلل في جوانب فقه الآداب والأخلاق[١] والتعاملات بين الناس إذا أخذ الشخص بجانب من الأدلة وترك جانبًا .

● **ففي أبواب الحياء مثلاً :**

ينظر شخص في الباب فيرىٰ حديث رسول اللَّه ﷺ : «**الحياء من الإيمان**»[٢]، وقوله ﷺ : «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٣]، وكون النبي ﷺ : «**كان أشد حياءً من العذراء في خدرها**»[٤]، وقول النبي ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[٥]، وثناء النبي ﷺ علىٰ عثمان لحيائه[٦]، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب ، فيكتسي المطلع عليها بجلباب الحياء ، وما أجمله من جلباب وما أحسنه من رداء، إلا أنه يبالغ في هذا حتىٰ يصده حياؤه عن طلب العلم والتفقه في الدين فيُحرم العلم والفقه ، كما قال قائل السلف رحمهم اللَّه : «لا

= علىٰ بيانه ، وقال : وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها من الاعتراض .

(١) فقه الآداب والأخلاق من المسائل التي لم نرها خُدمت للآن خدمة نستحقها كما خدمت أبواب فقه العبادات ، وإنا إن شاء اللَّه نجهز للخوض في هذا الباب وخدمته بما يعين اللَّه في مرجع كبير مستقل إن شاء اللَّه يتعرض لفقه الأخلاق (حياء ـ صدق ـ هجر ـ صلة رحم ـ آداب عامة ـ . . .) إلىٰ غير ذلك بمشيئة اللَّه تبارك وتعالىٰ ونسأل اللَّه أن ييسر ذلك .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا

(٥) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٦) في صحيح مسلم (حديث ٢٤٠١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان : «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»

ينال العلم مستحي ولا مستكبر»[1] وينسى ما أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي اللَّه عنها [2] أنها قالت : يا رسول اللَّه إن اللَّه لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت ، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«نعم ، إذا رأت الماء»** .

وما أخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت له ـ وعائشة عنده ـ : يا رسول اللَّه المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ، فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : **«بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أمَّ سليم إذا رأت ذاك»** .

وفي الباب أيضًا: ما أخرجه مالك في «الموطأ» (١/٢٩٢) من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هناك ـ وهو عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ـ وهو صائم فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم . وإسناده صحيح . فعائشة أم المؤمنين العالمة الفقيهة لم يمنعها الحياء أن تعلم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

وفي الباب أيضًا : ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي اللَّه

---

(١) انظر البخاري مع «الفتح» (١/٢٢٨) .

(٢) ما دمنا ذكرنا من أخرج الحديث في الأصل فلا معنى لإعادته في الحاشية .

عنها قالت : إن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**» فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

ونحوه في مسلم من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال : اختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك، فقمت فاستأذنت على عائشة فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك فقالت : لا تستح أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل**» . فها هي أم المؤمنين عائشة الفقيهة تعلم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك ، وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من الفقه في الدين .

فهكذا لا ينبغي أن يفهم شخص أن الحياء يصد عن الفقه في الدين، وكذلك لا ينبغي أن تتمادى بشخص مسائله حتى يخرج إلى الخير المذموم ، فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين .

● **وفي مجال الحب والبغض :**

يعمد الروافض البُعداء البغضاء إلى حديث لرسول اللَّه ﷺ قاله عليه السلام في شأن علي رضي اللَّه عنه وفيه : «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[1].

● وقول علي رضي اللَّه عنه : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيِّ الأمي ﷺ إليَّ : «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[2] وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب فيبغضون كل من كان بينه وبين عليٍّ شيء من أصحاب النبي ﷺ ، وينسون الأحاديث التي وردت في فضل هؤلاء الصحابة ، كقول النبي ﷺ : «**من حفر رومة فله الجنة**»[3]. وحفرها عثمان ، وقول النبي ﷺ : «**من جهز العسرة فله الجنة**» وجهزه عثمان .

وقول النبي ﷺ : «**إن لكل نبي حواريّ وحواريَّ الزبير**»[4].

وقول النبي ﷺ : «**لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[5].

وقول النبي ﷺ في شأن أبي بكر وعمر وعثمان لما صعد بهم

(١) أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح لشواهده .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري معلقًا ، وهو صحيح لشواهده .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ومن حديث عليٍّ أيضًا .

(٥) أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما وغيره وله طرق أخرى عن رسول اللَّه ﷺ .

أحدًا ، فرجف أحد فقال النبي ﷺ : «**اثبت أحدُ فإن عليك نبي وصديق وشهيدان**»(١) .

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث .

ويجهلون أن المحبة الواردة في حديث رسول اللَّه ﷺ : «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**» ، إنما هي المحبة الشرعية والبغض الشرعي ، بمعنىٰ أنه لا يحبك لنصرتك رسول اللَّه ﷺ وجهادك معه إلا مؤمن ، ولا يبغضك لذلك إلا منافق ، ونحو هذا .

● **كذلك في مجال التحدث بالنعم أو ترك ذلك :**

يأخذ شخص بالعمومات الواردة في الحسد ، وبقول يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥] .

وبما ورد عن رسول اللَّه ﷺ : «**استعينوا علىٰ قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود**» وبنحو ذلك فيمتنع عن تحديث الناس بأوجه الخير والنعم التي هو فيها ، سترًا لها ، وينسىٰ في الباب قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى: ١١] وحديث رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**» .

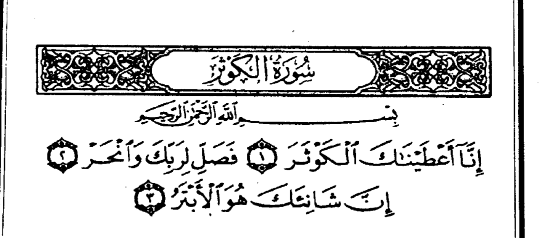
والفقيه هو من آتاه اللَّه رشده ، وعلم متىٰ يتحدث بالنعم ومتىٰ يكتمها ، يعلم أنه يتحدث بالنعم عند من يدعو له بالبركة ، ويكتمها

(١) أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

عند الحساد ذوي القلوب المريضة .

وثمَّ أبواب أُخر ، وقد أوضحنا ذلك في رسالتنا «مفاتيح الفقه في الدين» .





س ـ وضح معنى ما يلي :ـ

الكوثر ـ انحر ـ شانئك ـ الأبتر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الكوثر	الكوثر نهر أعطاه اللَّه لنبيه محمد ﷺ في الجنة وقال بعض العلماء : إن المراد بالكوثر الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ ، ويدخل في هذا الخير النهر والحوض
انحر	النحر هو بمثابة الذبح للإبل ، فالذبح للبقر والغنم والنحر للإبل[1]، والنحر هو طعن الإبل في اللبة عند

(١) ولمزيد انظر تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] في تفسيري «التسهيل لتأويل التنزيل» .

الكلمة	معناها
شانئك	المنحر ملتقى الرقبة بالصدر عدوك ـ مبغضك[1]
الأبتر	المنقطع (والمراد هنا : الأذل المنقطع دابره بعد موته) والأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره

* * *

س ـ ما المراد بالكوثر (ببعض التفصيل) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر : نهر في الجنة أعطاه الله لنبيه ﷺ ، وستأتي الأحاديث صريحة في ذلك .

● ومن العلماء من قال : إن الكوثر هو حوض رسول الله ﷺ وهذا القول قول قوي أيضًا ويجمع بينه وبين الأول أن النهر حوض[2] كما في «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه . . . وفيه أن النبي ﷺ قال : «**أتدرون ما الكوثر ؟** » فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ..**» الحديث[3] .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] .

(٢) وقد جمع الرازي بأن قال: ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع .

(٣) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

● وقد صحح القرطبي رحمه اللَّه القول القائل بأن الكوثر هو النهر أو الحوض ، قال : لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر .

وقال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر جملة أقوال للعلماء في الكوثر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هو اسم للنهر الذي أعطيه رسول اللَّه ﷺ في الجنة ، وصفه اللَّه بالكثرة لعظم قدره ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ بأن ذلك كذلك .

قلت : وقد ذكر بعض العلماء أقوالاً أخر في الكوثر[1]، فمنهم من قال : إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة وتخفيف الشرائع و . . . . إلى غير ذلك ، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر وهو الذي فسره به رسول اللَّه ﷺ.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» ـ بعد أن أورد جملة أحاديث تبين أن الكوثر نهر أُعطِيَه النبي ﷺ في الجنة ـ : فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها ، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب ، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي ﷺ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي .

* * *

(١) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولاً .

س ـ وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] .

ج : أصح الأقوال في ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يصلي ويجعل صلاته خالصة للَّه سبحانه وتعالى ، وبأن ينحر البدن والغنم ويجعل نحره خالصًا للَّه على اسم اللَّه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ولأهل العلم أقوال أُخر في ذلك منها ما يلي :

- أن المراد : وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة .
- ومنها : أن المراد : أن يرفع يديه إلى النحر عند افتتاح الصلاة.
- ومنها : أن المراد : بالصلاة صلاة الغداة (أي : الفجر) بمزدلفة ونحر البدن بمنى .
- ومنها : أن المراد : صلاة العيد ونحر النسك بعد الصلاة .

ومنها : ما قدمناه أن المراد : عموم الصلاة وعموم النحر ، والمعنى : اجعل صلاتك للَّه ونحرك للَّه لا كمن يكفر ويشرك باللَّه وينحر لغير اللَّه، وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى .

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى :

- وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ،

وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له ، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه من عطيته وكرامته ، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] فكان معلومًا بذلك أنه خصه بالصلاة له ، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائه إياه الكوثر ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثًّا على الشكر على النِّعم .

فتأويل الكلام إذن : إنا أعطيناك يا محمد الكوثر ، إنعامًا منا عليك به ، وتكرمة منا لك ، فأخلص لربك العبادة ، وأفرد له صلاتك ونسكك ، خلافًا لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحر للأوثان .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى :

وقوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ـ ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته ـ فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ، فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ونقل ابن كثير نحو هذا القول عن عدد من السلف ثم قال : وهذا

بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير اللَّه والذبح على اسمه كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الانعام: ١٢١] .

ثم نقل ابن كثير رحمه اللَّه أقـوالاً أُخر في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] ، ولكنه صحح القول الأول الذي ذكرناه عنه .

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بشيء من الإيضاح معنى ﴿ الْأَبْتَرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] ؟

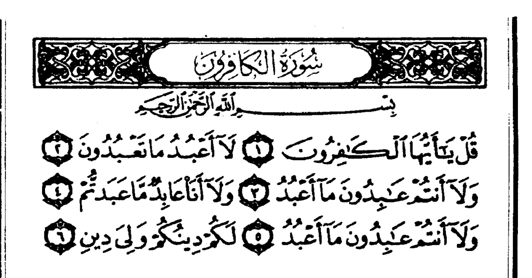
ج : الأبتر هو المنقطع ، والبتر هو القطع ، ومن ذلك قول النبي ﷺ : «**اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر**» ، يعني قصير الذيل ، فالأبتر هو المنقطع ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] والعلم عند اللَّه تعالى ـ كما ذكر بعض المفسرين ـ : أن القرشيين كانوا يصفون الرسول بأنه أبتر لكونه لم يولد له ولد ولم يعش له ولد فكانوا يقولون: إذا مات محمد انقطع ذكره وانتهى أمره ، فكذبهم اللَّه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] أي : إن مبغضك يا محمد وعدوك هو الأقل والأذل والمنقطع دابره والذي لا عقب له .

● قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] أي: إن مبغضك

يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره . . . ثم قال رحمه اللَّه : فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقىٰ اللَّه ذكره علىٰ رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد مستمرًا علىٰ دوام الآباد إلىٰ يوم المحشر والمعاد وصلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التناد .




سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

س ـ هل صح حديث في فضل سورة الكافرون ؟

ج : وردت عدة أحاديث من عدة طرق عن النبي ﷺ تُفيد أن سورة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن لكن في كل هذه الأحاديث مقال ، ولا نرى شيئًا منها ثابتًا عن رسول اللَّه ﷺ . وقد تساهل بعض أهل العلم في تحسينها بمجموع طرقها ، فاللَّه أعلم .

* * *

س ـ كان النبي ﷺ ﷺ كثيرًا ما يقرأ سورة الكافرون في الصلاة اذكر بعض المواطن التي كان النبي ﷺ يقرأها فيها ؟

ج : كان عليه الصلاة والسلام يقرأ بها في ركعتي الفجر[1] وفي

(١) أي في الركعة الأولى من ركعتي الفجر (النافلة) (كما في «صحيح مسلم» ٧٢٦) من حديث أبي هريرة ، والركعة الثانية من ركعتي الوتر (اللتين قبل الركعة الأخير كما في «المسند ٣/٤٠٦») ، وكذلك في الركعة الأولى من ركعتي الطواف كما في مسلم (ص ٨٨٦) .

ركعتي الوتر وفي ركعتي الطواف وفي ركعتي المغرب .

* * *

س ـ لماذا قُدِّم قسم الكفار ونصيبُهم في قوله : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] على قسم النبي ﷺ ونصيبه في قوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] ؟

ج: أجاب على ذلك ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» بقوله :

وأما المسألة العاشرة : وهي تقديم قسمهم ونصيبهم على قسمه ونصيبه ، وفي أول السورة قدم ما يختص به على ما يختص بهم .

فهذا من أسرار الكلام ، وبديع الخطاب الذي لا يدركه إلا فحول البلاغة وفرسانها ، فإن السورة لما اقتضت البراءة واقتسام ديني التوحيد والشرك بينه وبينهم ، ورضي كل بقسمه ، وكان المحق هو صاحب القسمة ، وقد أبرز النصيبين وميَّز القسمين ، وعلم أنهم راضون بقسمهم الدون ، الذي لا أردأ منه ولا أدون ، وأنه هو قد استولى على القسم الأشرف والحظ الأعظم ، بمنزلة من اقتسم هو وغيره سمًّا وشفاء ، فرضي مقاسمه بالسم ، فإنه يقول له : لا تشاركني في قسمي ، ولا أشاركك في قسمك ، لك قسمك ، ولي قسمي .

فتقدم ذكر قسمه هنا أحسن وأبلغ ، كأنه يقول : هذا هو قسمك الذي آثرته بالتقديم وزعمت أنه أشرف القسمين ، وأحقهما بالتقديم ، فكان في تقديم ذكر قسمه من التهكم بهم ، والنداء على سوء

اختيارهم، وقبح ما رضوه لأنفسهم من الحسن والبيان ، ما لا يوجد في ذكر تقديم قسم نفسه ، والحاكم في هذا هو الذوق . والفَطِن يكتفي بأدنى إشارة ، وأما غليظ الفهم فلا ينجع فيه كثرة البيان .

ووجه ثان : وهو : أن مقصود السورة براءته ﷺ من دينهم ومعبودهم ، هذا هو لبها ومغزاها ، وجاء ذكر براءتهم من دينه ومعبوده بالقصد الثاني ، مكملاً لبراءته ومحققًا لها ، فلما كان المقصود براءته من دينهم بدأ به في أول السورة ، ثم جاء قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] مطابقًا لهذا المعنى ، أي لا أشارككم في دينكم ، ولا أوافقكم عليه ، بل هو دين باطل تختصون أنتم به ولا أشارككم فيه أبدًا. فطابق آخر السورة أولها ، فتأمل .

***

س - اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] .

***

س - كيف قيل : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] وقد أسلم قوم منهم ؟

ج : هذا محمول على من كتب عليه أنه سيموت على الكفر ، فالخطاب في قوله : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣] متنزل على من سبق في علم اللَّه أنه يموت على الكفر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦] ، وكما قال تعالى في شأن أبي لهب : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد : ٣] ، وقد كان فقد مات أبو لهب على الكفر واللَّه تعالى أعلم .

● ومن العلماء من قال : إن الخطاب عام للكفار جميعهم لكنه خطاب لهم ما داموا كفارًا ، فالمعنى : لا أنتم عابدون ما أعبد ما دمتم على كفركم .

● **وهناك وجه أثاره عطية سالم رحمه اللَّه** «في تتمته لأضواء البيان» فحواه : أن (ما) إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر فقال رحمه اللَّه :

وقد ذكر أبو حيان وجهًا عن الزمخشري : أن ما يتعلق بالكفار خاص بالحاضر ، لأن ما إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر .

وناقشه أبو حيان ، بأن ذلك في مغالب لا على سبيل القطع .

والذي يظهر من سياق السورة ، قد يشهد لما ذهب إليه الزمخشري ، وهو أن السورة تتكلم عن الجانبين على سبيل المقابلة جهة الرسول ﷺ ، وجهة الكفار في عدم عبادة كل منهما معبود الآخر .

ولكنها لم تساو في اللفظ بين الطرفين ، فمن جهة الرسول ﷺ جاء في الجملة الأولى ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] عبر عن كل منهما بالفعل المضارع الدال على الحال : أي : لا أعبد الآن ما تعبدون الآن بالفعل . ثم قال : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٣] فعبر عنهم بالاسمية وعنه هو بالفعلية ، أي : ولا أنتم متصفون بعبادة ما أعبد الآن .

وفي الجملة الثانية قال : ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . فعبر عنه بأنه ليس متصفًا بعبادة ما يعبدون ولا هم عابدون ما يعبده فكان وصفه هو ﷺ في الجملتين بوصفين مختلفين بالجملة الفعلية تارة وبالجملة الاسمية تارة أخرى ، فكانت إحداهما لنفي الوصف الثابت ، والأخرى لنفي حدوثه فيما بعد .

أما هم فلم يوصفوا في الجملتين إلا بالجملة الاسمية الدالة على الوصف الثابت ، أي : في الماضي إلى الحاضر ، ولم يكن فيما وصفوا به جملة فعلية من خصائصها التجدد والحدوث ، فلم يكن فيها ما يتعرض للمستقبل فلم يكن إشكال ، والله تعالى أعلم .

فإن قيل : إن الوصف باسم الفاعل يحتمل الحال والاستقبال ، فيبقى الإشكال محتملاً .

قيل : ما ذكره الزمخشري من أن دخول ما عليه تعينه للحال ، يكفي في نفي هذا الاحتمال ، فإن قيل : قد ناقشه أبو حيان .

وقال : إنها أغلبية وليست قطعية .

قلنا : يكفي في ذلك حكم الأغلب ، وهو ما يصدقه الواقع ، إذ آمن بعضهم وعبد معبوده ﷺ .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

السؤال الثالث : قوله ههنا : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ [الكافرون: ١] خطاب مع الكل أو مع البعض ؟ .

الجواب : لا يجوز أن يكون قوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من يعبد اللَّه كاليهود والنصارى فلا يجوز أن يقول لهم : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] ولا يجوز أيضًا أن يكون قوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٣] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد اللَّه ، فإذن وجب أن يقال إن قوله : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون: ١] خطاب مشافهة مع أقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة ، والحاصل : أنا لو حملنا الخطاب على العموم دخل التخصيص ، ولو حملنا : على أنه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك ، فكان حمل الآية على هذا المحمل أولى .

* * *

س ـ لماذا جاء النفي في حق الكفار باسم الفاعل كما في قوله : ﴿عَابِدُونَ﴾ في المرتين وفي حق النبي ﷺ بالفعل مرة كما في قوله : ﴿لا أَعْبُدُ﴾ وباسم الفاعل مرة أخرى كما في قوله : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ ؟

ج : **أورد ذلك ابن القيم فقال :**

وأما **المسألة الرابعة** وهي : أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل تارة ، وباسم الفاعل أخرىٰ .

فذلك ـ واللَّه أعلم ـ لحكمة بديعة وهي : أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت . فأتىٰ أولاً بصيغة الفعل الدالة علىٰ الحدوث والتجدد ، ثم أتىٰ في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل في الثاني : أن هذا ليس وصفي ولا شأني ، فكأنه قال : عبادة غير اللَّه لا تكون فعلاً لي ولا وصفًا لي . فأتىٰ بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فإنما أتىٰ بالاسم الدال علىٰ الوصف والثبوت دون الفعل . أي : إن الوصف الثابت اللازم العائد للَّه منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتًا لكم ، وإنما ثبت لمن خص اللَّه وحده بالعبادة، ولم يشرك معه فيها أحدًا . وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبدوه في بعض الأحيان ، فإن المشرك يعبد اللَّه ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الكهف: ١٦] أي : اعتزلتم معبوديهم ، إلا اللَّه ، فإنكم لم تعتزلوه . وكذا قال المشركون عن معبوديهم : ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣] فهم كانوا يعبدون معه غيره ، فلم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفى الوصف لأن من عبد غير اللَّه لم يكن ثابتًا علىٰ عبادة اللَّه موصوفًا بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه

عابد للَّه ، وأنه عبده المستقيم على عبادته : إلا من انقطع إليه بكليته ، وتبتل إليه تبتيلاً ، ولم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك معه غيره ، فليس عابدًا للَّه ، ولا عبدًا له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة ، التي هي إحدى سورتي الإخلاص ، التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن. وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه اللَّه فهمًا من عنده . فله الحمد والمنة .

* * *

س ـ لماذا كرر الفعل بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه بلفظ ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ﴾ وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم في قوله ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه بقوله :**

وأما **المسألة الثالثة** ، وهي : تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم .

ففي ذلك سر ، وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة اللَّه لنبيه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده ، والاستبدال به غيره ، وأن معبوده الحق واحد في الحال والمآل على الدوام ، لا يرضى به بدلاً ، ولا يبغي عنه حولاً ، بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم ، ويتبعون شهواتهم في الدين وأغراضهم . فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودًا ، وغدًا غيره . فقال : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] يعني : الآن

﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] أي : الآن أيضًا . ثم قال : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] يعني : ولا أنا فيما يستقبل يصدر مني عبادة لما عبدتم أيها الكافرون ، وأشبهت «ما» هنا رائحة الشرط ، فلذلك وقع بعدها الفعل بلفظ الماضي ، وهو مستقبل في المعنى ، كما يجيء ذلك بعد حرف الشرط ، كأنه يقول : مهما عبدتم من شيء فلا أعبده أنا .

فإن قيل : وكيف يكون فيها الشرط ، وقد عمل فيها الفعل ، ولا جواب لها وهي موصولة . فما أبعد الشرط منها ؟

قلنا : لم نقل : إنها نفسها شرط ، ولكن فيها رائحة منه ، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين وإبهامها في المعبودات وعمومها . وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديًا على صفحاته . فإذا قلت لرجل مَّا ـ تخالفه في كل ما يفعل ـ : أنا لا أفعل ما تفعل . ألست ترى معنى الشرط قائمًا في كلامك وقصدك ، وأن روح هذا الكلام : مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله ؟

وتأمل ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] كيف تجد معنى الشرطية فيه ؟ حتى وقع الفعل بعد «من» بلفظ الماضي ، والمراد به : المستقبل ، وأن المعنى : من كان في المهد صبيًّا كيف نكلمه ؟ وهذا هو المعنى الذي حام حوله من قال من المفسرين والمعربين : أن «كان» نبيًّا . بمعنى «يكون» لكنهم لم يأتوا إليه من بابه ، بل ألقوه عطلاً من تقدير وتنزيل ، وعزب فَهْم

غيرهم عن هذا ، للطفه ودقته . فقالوا : «كان» زائدة .

والوجه ما أخبرتك به . فخذه عفوًا ، لك غنمه ، وعلىٰ سواك غرمه . هل علىٰ «من» في الآية قد عمل فيها الفعل وليس لها جواب ، ومعنىٰ الشرطية قائم فيها فكذلك في قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] وهذا كله مفهوم من كلام فحول النحاة كالزجاج وغيره .

فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] بخلاف قوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] لبعد «ما» فيها عن معنى الشرط ، تنبيهًا من اللَّه علىٰ عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه ، وأن يتنقل في المعبودات تنقل الكافرين .

* * *

س ـ لماذا جاء التعبير بلفظ ﴿مَا﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] وما توضع لغير العاقل ؟

ج : ﴿مَا﴾ قد تأتي بمعنىٰ (من) كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧] هذا وجه **ووجوه أُخر ذكرها الرازي بقوله :**

المسألة الثانية : في الآية سؤال وهو أن كلمة (ما) لا تتناول من يعلم فهب أن معبودهم كان كذلك ، فصح التعبير عنه بلفظ (ما) لكن معبود محمد عليه الصلاة والسلام هو أعلم العالمين فكيف قال : ﴿وَلَا

أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] ؟ أجابوا عنه من وجوه :

أحدها : أن المراد منه الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل وأنتم لا تعبدون الحق .

وثانيها : أن (ما) مصدرية في الجملتين كأنه قال : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في المستقبل ، ثم قال ثانيًا : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال .

وثالثها : أن يكون (ما) بمعنى الذي ، وحينئذ يصح الكلام .

ورابعها : أنه لما قال أولاً : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] حمل الثاني عليه ليتسق الكلام كقوله :- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] .

أما ابن القيم رحمه اللَّه فقد استفاض في هذا فقال رحمه اللَّه :

«ما» على بابها لأنها واقعة على معبوده ﷺ على الإطلاق ، لأن امتناعهم من عبادة اللَّه ليس لذاته ، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون اللَّه ، ولكنهم كانوا جاهلين به . فقوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] أي : لا أنتم تعبدون معبودي . ومعبوده هو كان ﷺ عارفًا به دونهم ، وهم جاهلون به . هذا جواب بعضهم .

وقال آخرون: إن «ما» هنا مصدرية. لا موصولة ، أي : لا تعبدون عبادتي . ويلزم من تبرئتهم من عبادته تبرئتهم من المعبود ، لأن العبادة متعلقة به ، وليس هذا شيء . إذ المقصود: براءته من معبوديهم ،

وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالى . فالمقصود المعبود لا العبادة .

وقيل : إنهم كانوا يقصدون مخالفته ﷺ حسدًا له ، وأنفة من اتباعه . فهم لا يعبدون معبوده لا كراهية لذلك المعبود ، ولكن كراهية لاتباعه ﷺ ، وحرصًا على مخالفته في العبادة . وعلى هذا لا يصح في النظم البديع والمعنى الرفيع إلا لفظ «ما» لإبهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية .

وقيل في ذلك وجه رابع ، وهو : قصد ازدواج الكلام في البلاغة والفصاحة مثل قوله : ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ [التوبة: ٦٧] و ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: ١٩٤] فكذلك ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] ومعبودهم لا يعقل . ثم ازدواج مع هذا الكلام قوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٣] فاستوى اللفظان ، وإن اختلف المعنيان ، ولهذا لا يجيء في الأفراد مثل هذا ، بل لا يجيء إلا «من» كقوله : ﴿**أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [النمل: ٦٣] ، ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم**﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿**أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ**﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿**أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [النمل: ٦٣]، ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾ [النمل: ٦٢] ، ﴿**أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ**﴾ [النمل: ٦٤] إلى أمثال ذلك .

وعندي فيه وجه خامس ، أقرب من هذا وهو : أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقًّا لها ، فأتى بـ «ما» الدالة على هذا المعنى . كأنه قيل : ولا أنتم عابدون معبودي

الموصوف بأنه المعبود الحق . ولو أتى بلفظة «من» لكانت إنما تدل على الذات فقط ، ويكون ذكر الصلة تعريفًا ، لا لأنه هو جهة العبادة .

ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد ، وبين أن يكون تعريفًا محضًا أو وصفًا مقتضيًا لعبادته . فتأمله فإنه بديع جدًا . وهذا معنى قول النحاة إن «ما» تأتي لصفات من يعلم .

ونظيره ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٣] لما كان المراد الوصف ، وأن السبب الداعي إلى الأمر بالنكاح ، وقصده ـ وهو الطيب ـ فتنكح المرأة الموصوفة به : أتى بـ «من» ، وهذا باب لا ينخرم ، وهو من ألطف مسالك العربية .

* * *

س ـ ما فائدة تكرير قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن ذلك للتأكيد [1] كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥، ٦] وكما في قوله تعالى : ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] .

● وكما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

---

(١) قال بعض العلماء : ومن فوائد التأكيد هنا أن تنقطع أطماعهم في إيمان النبي ﷺ بآلهتهم .

تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] .

● وكما في قوله تعالى : **﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾** [النبأ: ٤، ٥] .

● وكما في قوله تعالى : **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾** [المرسلات: ١٩] وتكرارها مرارًا في نفس السورة .

● وكما في قول النبي ﷺ «**فلا آذن ثم لا آذن**» .

● **أما من الشعر فذكر عطية سالم رحمه اللَّه عدة أمثلة لذلك فقال رحمه اللَّه :**

ونظيره في الشعر أكثر من أن يحصر ، من ذلك ما أورده القرطبي رحمه اللَّه :

هـل لا سألـتِ جمـوع كنـدة .:. يـوم ولـو أيـن أينـا

قول الآخر :

يـا علقمة يـا علقمة يـا علقمة .:. خيـر تميـم كلهـا وأكرمـه

وقول الآخر :

يـا أقرع بـن حابس يـا أقـرع .:. إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقول الآخر :

ألا يا سلمى ثم اسلمي ثمت اسلمي .:. ثـلاث تحيات وإن لم تكلـم

وقد جاءت في أبيات لبعض تلاميذ الشيخ رحمه اللَّه تعالى ،

ضمن مساجلة له معه قال فيها :

تالله إنك قد ملأت مسامعي ∴ درًا عليه قد انطوت أحشائي

زدني وزدني ثم زدني ولتكن ∴ منك الزيادة شافيًا للداء

فكرر قوله : زدني ثلاث مرات .

الثاني : أن قوله : ﴿ **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾** ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] في الماضي ، وقوله : ﴿ **وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ [الكافرون: ٤، ٥] (في المستقبل) .

● **قال الطبري رحمه الله تعالى :**

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا الله سنة على أن يعبد نبيّ الله ﷺ آلهتهم سنة فأنزل الله معرفة جوابهم في ذلك : قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة على أن يعبدوا إلهك سنة : يا أيها الكافرون بالله لا أعبد ما تعبدون من الآلهة والأوثان الآن ولا أنتم عابدون ما أعبد الآن ، ولا أنا عابد فيما أستقبل ما عبدتم فيما مضى ولا أنتم عابدون فيما تستقبلون أبدًا ما أعبد أنا الآن وفيما

أستقبل ، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الخطاب من اللَّه كان لرسول اللَّه ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبدًا وسبق لهم ذلك في السابق من علمه فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه وحدثوا به أنفسهم وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات ، وآيس نبي اللَّه ﷺ من الطمع في إيمانهم ومن أن يفلحوا أبدًا فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافرًا .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

فائدة تكرار الأفعال فقيل فيها وجوه :

أحدها : أن قوله : ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾**﴾ [الكافرون: ٢] نفي للحال والمستقبل ، وقوله : ﴿**وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾**﴾ [الكافرون: ٣] مقابلة ، أي : لا تفعلون ذلك . وقوله : ﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ [الكافرون: ٤] أي : لم يكن مني ذلك قط قبل نزول الوحي ، ولهذا أتى في عبادتهم بلفظ الماضي فقال : «ما عبدتم» فكأنه قال : لم أعبد قط ما عبدتم . وقوله : ﴿**وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٥] مقابلة ، أي : لم تعبدوا قط في الماضي ما أعبده أنا دائمًا .

وعلى هذا فلا تكرار أصلاً . وقد استوفت الآيات أقسام النفي ماضيًا وحالاً ومستقبلاً عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصره وأبينه ، وهذا إن شاء اللَّه أحسن ما قيل فيها . فلنقتصر عليه ولانتعداه إلى غيره. فإن الوجوه التي قيلت في مواضعها ، فعليك بها .

قال الرازي رحمه الله :

المسألة **الأولى** : في هذه الآية قولان : **أحداهما** : أنه لا تكرار فيها والثاني : أن فيها تكرارًا . **أما الأول** : فتقريره من وجوه . أحدها : أن الأول للمستقبل والثاني للحال ، والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ، ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا ، وقال الخليل في لن أصله لا أن ، إذا ثبت هذا فقوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، ثم قال : ﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ [الكافرون: ٤] أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي . الوجه الثاني : أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال والثاني للاستقبال والدليل على أن قول : ﴿ **وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ** ﴾ [الكافرون: ٤] للاستقبال أنه رفع لمفهوم قولنا : أنا عابد ما عبدتم ، ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال أنا قاتل زيدًا فهم منه الاستقبال . الوجه الثالث : قال بعضهم : كل واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال ، ولكنا نخص أحداها بالحال ، والثاني بالاستقبال دفعًا للتكرار ، فإن قلنا : إنه أخبر عن الحال ، ثم عن الاستقبال ، فهو الترتيب ، وإن قلنا : أخبر أولاً عن الاستقبال ، فلأنه هو الذي دعوه إليه ، فهو الأهم فبدأ به ، فإن قيل : ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلومًا أنه ما كان يعبد الصنم ، وأما الكفار فكانوا يعبدون اللَّه في بعض

الأحوال ؟ قلنا : أما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرًّا خوفًا منها أو طمعًا إليها وأما نفيه عبادتهم . فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً . الوجه الرابع : وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأولين المعبود وما بمعنى الذي ، فكأنه قال لا أعبد الأصنام ولا تعبدون اللَّه ، وأما في الآخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر ، ولا أنتم تعبدون عبادتي المبنية على اليقين ، فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهي ، كان ذلك باطلاً لأن العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه ، وغير مأمور به . الوجه الخامس : أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه ، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنه أولاً قال : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢] رجاء أن تعبدوا اللَّه ، ولا أنتم تعبدون اللَّه رجاء أن أعبد أصنامكم ، ثم قال ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض ، ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥] بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات ، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعيم ، فيقول لا أظلم لغرض التنعيم بل لا أظلم أصلاً لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض . القول الثاني : وهو أن نسلم حصول التكرار ، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه : **الأول :** أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن ، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع ، لأن أولئك الكفار رجعوا إلى رسول اللَّه ﷺ في هذا المعنى مرارًا ، وسكت رسول اللَّه عن الجواب ، فوقع

في قلوبهم أنه عليه السلام قد مال إلى دينهم بعض الميل ، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال .
الوجه الثاني : أنه كان القرآن ينزل شيئًا بعد شيء ، وآية بعد آية جوابًا عما يسألون فالمشركون قالوا استلم بعد آلهتنا حتى تؤمن بإلهك فأنزل اللَّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ثم قالوا بعد مدة تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا فأنزل اللَّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملاً لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرًّا البتة الوجه الثالث : أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافًا واستحقارًا لقوله.

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه تعالى** : وقوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] يقول تعالى ذكره : لكم دينكم فلا تتركونه أبدًا لأنه قد ختم عليكم وقضى أن لا تنفكوا عنه وأنتم تموتون عليه ، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه أبدًا لأنه قد مضى في سابق علم اللَّه أني لا أنتقل

عنه إلىٰ غيره .

قلت (مصطفىٰ) : وهذا مُصيَّر من الطبري رحمه اللَّه إلىٰ أنه اختار أن الخطاب في قوله تعالىٰ : ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ**﴾ لمن سبق في علم اللَّه أنهم يموتون علىٰ الكفر .

أما الرازي رحمه اللَّه تعالىٰ فقال :

أما قوله تعالىٰ : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون: ٦] ففيه مسائل :

المسألة الأولىٰ : قال ابن عباس : لكم كفركم باللَّه ولي التوحيد والإخلاص له ، فإن قيل : فهل يقال إنه أذن لهم في الكفر ؟ قلنا : كلا فإنه عليه السلام ما بعث إلا للمنع من الكفر فكيف يأذن فيه، ولكن المقصود منه أحد أمور : أحدها : أن المقصود منه التهديد ، كقوله : ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ [فصلت: ٤٠] . وثانيها : كأنه يقول : إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلىٰ الحق والنجاة ، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني إلىٰ الشرك. وثالثها . ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ**﴾ [الكافرون: ٦] فكونوا عليه إن كان الهلاك خيرًا لكم ﴿**وَلِيَ دِينِ**﴾ لأني لا أرفضه . القول الثاني في تفسير الآية : أن الدين هو الحساب أي: لكم حسابكم ولي حسابي ، ولا يرجع إلىٰ كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة .

أن يكون علىٰ تقدير حذف المضاف أي : لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالاً وعقابًا كما حسبك جزاء دينك تعظيمًا وثوابًا . القول الرابع : الدين العقوبة ﴿**وَلَا تَأْخُذْكُم**

بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٢] يعني : الحد ، فلكم العقوبة من ربي ، ولي العقوبة من أصنامكم ، لكن أصنامكم جمادات ، فأنا لا أخشى عقوبة الأصنام ، وأما أنتم فيحق لكم عقلاً أن تخافوا عقوبة جبار السموات والأرض. القول الخامس : الدين الدعاء، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤] ، أي لكم دعاؤكم ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [غافر: ٥٠] ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤] ثم ليتها تبقى على هذه الحالة فلا يضرونكم ، بل يوم القيامة يجدون لسانًا فيكفرون بشرككم ، وأما ربي فيقول : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الشورى: ٢٦] ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] . القول السادس : الدين العادة، قال الشاعر :

يقول لها وقد دارت وضيني ∴ أهذا دينها أبدًا وديني

معناه لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين ، ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي ، ثم يبقى كل واحد منا على عادته ، حتى تلقوا الشياطين والنار ، وألقى الملائكة والجنة .

قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [الكافرون: ٦] يفيد الحصر ، ومعناه : لكم دينكم لا لغيركم ، ولي ديني لا لغيري ، وهو إشارة إلى قوله : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] ، ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] أي : أنا مأمور بالوحي والتبليغ ، وأنتم مأمورون بالامتثال والقبول ، فأنا لما فعلت ما كلفت به خرجت

عن عهدة التكليف ، وأما إصراركم على كفركم ، فذلك مما لا يرجع إليَّ منه ضرر البتة .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وأما **المسألة التاسعة** : وهي : ما هي الفائدة في قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] وهل أفاد هذا معنىً زائدًا على ما تقدم ؟

فيقال : في ذلك من الحكمة ـ واللَّه أعلم ـ أن النفي الأول أفاد البراءة وأنه لا يتصور منه ، ولا ينبغي له : أن يعبد معبوديهم ، وهم أيضًا لا يكونون عابدين لمعبوده ، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضًا فقال له : لا تدخل في حدي ، ولا أدخل في حدك ، لك أرضك ، ولي أرضي ، فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا ، فأصابنا التوحيد والإيمان ، فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لا تشركونا فيه ، وأصابكم الشرك باللَّه والكفر به ، فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصون به لا نشرككم فيه ، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه .

وهذه المعاني ونحوها إذا تجلت للقلوب . رافلة في حللها ، فإنها تسبي القلوب وتأخذ بمجامعها ، ومن لم يصادف من قلبه حياة فهي خود تُزفُّ إلى ضرير مقعد ، فالحمد للَّه على مواهبه التي لا منتهى

لها ، ونسأله إتمام نعمته

* * *

س ـ هل في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] إقرار للمشركين على دينهم الذي هم عليه ؟

ج : **ليس فيها إقرار لهم ، وإنما هي كقوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴾** [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ هل هذا الإخبار الموجود في قوله تعالى : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] هل هو إقرار فتكون الآية منسوخة أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

ج : **طرح هذا السؤال ابن القيم في «بدائع الفوائد» وفي «التفسير القيم» وأجاب عليه** ، فقال :

وأما المسألة الحادية عشرة ، وهي : أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه . هل هو إقرار ؟ فيكون منسوخًا ، أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة ، وقد غلط في السورة خلائق وظنوها منسوخة بآية السيف ، لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن

يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة ، وعمومها نص محفوظ ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه ، وهذه السورة أخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم .

ومنشأ الغلط : ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم ، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف ، فقالوا : هو منسوخ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار ، وهم من لا كتاب لهم . فقالوا : هذا مخصوص بأهل الكتاب .

ومعاذ اللَّه أن تكون الآية اقتضت تقريرًا لهم أو إقرارًا على دينهم أبدًا ، فلم يزل رسول اللَّه ﷺ من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم ، وعيب دينهم ، وتقبيحه والنهي عنه ، والتهديد والوعيد لهم كل وقت ، وفي كل ناد ، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم . وعيب دينهم ، ويتركونه وشأنه ، فأبى إلا مُضيًّا على الإنكار عليهم وعيب دينهم ، فكيف يقال : إن الآية اقتضت تقريره لهم ؟ معاذ اللَّه من هذا الزعم الباطل ، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم ، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا ، فإنه دين باطل، فهو مختص بكم ، لا نشارككم فيه ، ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق . وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم ، فأين

الإقرار ؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص ؟

أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ؟ بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر اللَّه منهم عباده وبلاده .

وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع رسول اللَّه ﷺ أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به ، الداعين إلى غير سنته ، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته : لكم دينكم ولنا ديننا . لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم ، بل يقولون لهم هذا : براءة منهم ومن بدعتهم . وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان .

فهذا ما فتح اللَّه العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة ، والنبذة المثيرة إلى عظمة هذه السورة ، وجلالتها ومقصودها ، وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير ، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه ، بل هي استجلاء مما علمه اللَّه وألهمه ، بفضله وكرمه ، واللَّه يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها ، وبالغت في استحسانها . وعسى اللَّه ، المانُّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين : أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب.

* * *

س ـ **مسألة** الحلول الوسط وأنصاف الحلول في أبواب العقائد ؟

تجوز ولا تقبل فهل يُستدل بشيء من هذه السورة لهذا المعنى ؟

ج : نعم استنبط ذلك بعض العلماء من قوله تعالى : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] .

قال عطية سالم رحمه الله في «تتمته لأضواء البيان» :

في هذه السورة منهج إصلاحي ، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول ، لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة ، يعتبر في مقياس المنطق حلاً وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين ، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة ، لأن فيه أي فيما عرضوه مساواة للباطل بالحق ، وفيه تعليق المشكلة ، وفيه تقرير الباطل ، إن هو وافقهم ولو لحظة .

* * *

س ـ لماذا أطلق بعض العلماء على هذه السورة سورة الإخلاص ، وقالوا : إن من قرأها كتبت له براءة من الشرك مع أن هناك سورة الإخلاص الأخرى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله :**

وأما المسألة السادسة ، وهي : اشتمال هذه السورة على النفي المحض ، فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة ، فإنها سورة البراءة من الشرك ، كما جاء في وصفها : أنها براءة من الشرك . فمقصودها الأعظم : هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى

بالنفي في الجانبين ، تحقيقًا للبراءة المطلوبة . وهذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحًا . فقوله : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢] براءة محضة ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] إثبات أن له معبودًا يعبده وحده ، وأنتم بريئون من عبادته ، فتضمنت النفي والإثبات ، وطابقت قول إبراهيم إمام الحنفاء ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] وطابقت قول الفئة الموحدة ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦] فانتظمت حقيقة « لا إله إلا اللَّه» ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في سنة الفجر وسنة المغرب .

فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص ، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه اللَّه عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد ، وأنه إله (أحد صمد لم يولد) فيكون له فرع (ولم يولد) فيكون له أصل ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فيكون له نظير . ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها .

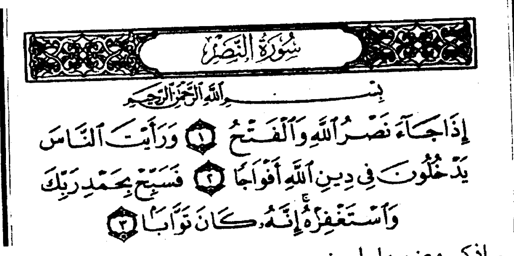
فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشرك أصلاً وفرعًا ونظيرًا . فهذا توحيد العلم والاعتقاد .

والثاني : توحيد القصد والإرادة وهو : ألا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود .

وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مشتملة على هذا التوحيد .

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له ، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر ، ويختتمه بهما في سنة المغرب . وفي السنن «أنه كان يوتر بهما» فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار .





س ـ اذكر معنى ما يلي :

أفواجًا ـ استغفره ؟

ج :

الكلمة	معناها
أفواجًا	فوجًا فوجًا أي جماعات جماعات
استغفره	سَلْه أن يغفر لك ذنوبك

* * *

س ـ ما هي آخر سورة نزلت في كتاب الله عز وجل ؟

ج : ذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أن آخر سورة نزلت من القرآن هي سورة النصر ، وذلك لما أخرجه مسلم[1] من طريق عبيد الله

(1) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢٤) .

ابن عبد اللَّه بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن ، نزلت جميعًا ؟ قلت : نعم . إذا جآء نصر اللَّه والفتح قال : صدقت

* * *

س ـ ما الفرق بين النصر والفتح ؟

ج : **طرح الرازي في تفسيره هذا السؤال وأجاب عليه فقال** رحمه اللَّه :

السؤال الأول : ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف الفتح على النصر ؟ **الجواب** من وجوه : **أحدها** : النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب ، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقًا ، وظاهر أن النصر كالسبب الفتح ، فلهذا بدأ يذكر النصر وعطف الفتح عليه . **وثانيها** : يحتمل أن يقال : النصر كمال الدين ، والفتح الإقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة: ٣] . **وثالثها** : النصر هو الظفر في الدنيا على المنى ، والفتح بالجنة ، كما قال : ﴿**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: ٧٣] وأظهر الأقوال في النصر أنه الغلبة على قريش أو على جميع العرب .

● **وأورد صديق حسن خان في «فتح البيان»** طرفًا من هذا الكلام وقال : ويقال الأمر أوضح من هذا وأظهر ، فإن النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم ، والفتح هو فتح مساكن

الأعداء ودخول منازلهم .

قلت (مصطفى) : والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه تعالىٰ ـ أن المراد بالنصر : النصر علىٰ الأعداء في المعارك والفتح تحصيل ثمرة هذا النصر واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] ؟

ج : المراد بالفتح هنا: فتح مكة، **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:** والمراد بالفتح ههنا : فتح مكة قولاً واحدًا [١]، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر علىٰ قومه فهو نبي ، فلما فتح اللَّه عليه مكة دخلوا في دين اللَّه أفواجًا فلم تمض سنتان حتىٰ استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام وللَّه الحمد، وقد روىٰ البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وكانت العرب تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي[٢].

---

(١) تبين لي أن هناك أقوالاً أخر ، منها : أن المراد عموم الفتوحات التي فتح اللَّه لنبيه ﷺ ، وإن كان ما ذكره الحافظ ابن كثير أولىٰ .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٠٢) فقال : حدّثنا سليمانُ بن حرب حدَّثنا حمّادُ بن زيد عن أيوب عن أبي قلابةَ عن عمرو بن سَلَمَةَ قال : «قال لي أبو قلابةَ : الا تَلقاهُ فتسألَهُ ؟ قال : فلقيتُهُ فسألتهُ فقال : كنّا بما ممرِّ الناسِ ، وكان يَمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما للناس ، ما للناس ؟ ما هذا الرجلُ ؟ فيقولون : يَزعمُ أنَّ اللَّه أرسلَهُ ، أوحىٰ إليه ، أو أوحىٰ اللَّه بكذا،=

س ـ متى كانت غزوة الفتح ؟

ج : كانت غزوة الفتح في رمضان[١] سنة ثمان من الهجرة ففي «الصحيح»[٢] من طريق عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة أن ابن عباس أخبره أن رسول اللَّه ﷺ : «**غزا غزوة الفتح في رمضان**» قال : وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك .

وأخرج البخاري بإسناده[٣] إلى عبيد اللَّه بن عبد اللَّه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد ، وهو ماءٌ بين عُسفان وقُديد ـ أفطروا .

❊ ❊ ❊

= فكنتُ أحفظُ ذاك فكأنما يقرُّ في صدري ، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم، وبدَر أبي قَومي بإسلامِهم ، فلما قدِمَ قال : جئتُكم واللَّه من عندِ النبيِّ ﷺ حقًّا ، فقال : صلُّوا صلاةَ كذا في حين كذا ، وصلّوا صلاةَ كذَا في حينِ كذا ، فإذا حَضرَت الصلاةُ فليؤذنْ أحدُكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآنًا ، فنظَروا ، فلم يكن أحدٌ أكثرَ قرآنًا مني ، لما كنتُ أتلقَّى من الرُّكبان ، فقدَّمُوني بينَ أيديهم وأنا ابنُ ست أو سبع سِنينَ ، وكانت عليَّ بُردةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقَلصَت عني ، فقالتِ امرأةٌ منَ الحيِّ : الا تغَطون عنّا استَ قارِئكم ، فاشتَروا ، فقطعوا لي قميصًا ، فما فرحت بشيء فَرحي بذلك القميص» .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٤/ ٢١٤) : والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٦) .

س ـ وضح المراد بحديث رسول اللَّه ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» وبيِّن من أخرجه ؟

ج : **أما قول النبي ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد بالهجرة : الهجرة إلى المدينة ، والمراد بقوله : «لا هجرة» أي : لا هجرة واجبة أو لا بيعة على الهجرة إلى المدينة بعد الفتح أو قد ذهب الذين هاجروا قبل الفتح بثواب الهجرة ومن هاجر إلى المدينة بعد الفتح فثوابه دون ثواب من هاجر قبل الفتح ، والمراد بالفتح : فتح مكة ، وهذه بعض الأقوال في ذلك :**

أخرج البخاري[1] من طريق عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى اللَّه وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه فأما اليوم فقد أظهر اللَّه الإسلام فالمؤمن يعبد ربَّه حيث شاء ولكن جهاد ونيَّة[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١١) .

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ٧/ ٢٧٠) .

قوله : (كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه : أن من قدر على عبادة اللَّه في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي : إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في «باب وجوب النفير» في الجمع بين حديث ابن عباس **«لا هجرة بعد الفتح»** وحديث عبد اللَّه بن السعدي **«لا تنقطع الهجرة»**، وقال الخطابي : كانت الهجرة أي: إلى النبي ﷺ في =

....

= أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد اللَّه ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] ، فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في «شرح السنة» : يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله: «**لا هجرة بعد الفتح**» أي من مكة إلى المدينة ، وقوله: «**لا تنقطع**» أي : من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام ، قال : ويحتمل وجهًا آخر وهو أن قوله: «**لا هجرة**» أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن ، وقوله : «**لا تنقطع**» أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . قلت : الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، وبالشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول اللَّه ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي: ما دام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها واللَّه أعلم . وأطلق ابن التين أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بغير عذر كان كافراً ، وهو إطلاق مردود ، واللَّه أعلم .

وقال (الحافظ رحمه اللَّه الفتح ٦/ ٢٢٠) :

قوله : (باب لا هجرة بعد الفتح) : أي: فتح مكة ، أو المراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون ، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة : الاول قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة ، الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم، الثالث عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر .

وقال أيضًا (٦/ ٤٦) :

قوله: (لا هجرة بعد الفتح) أي: فتح مكة، قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضًا في أول =

وأخرج البخاري من حديث مجاشع رضي اللَّه عنه قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت : يا رسول اللَّه جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال : «**ذهب أهل الهجرة بما فيها**» ، فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : «**أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد**» فلقيت معبدًا بعدُ ـ وكان أكبرهما فسألته ، فقال : «**صدق مجاشع**» .

قلت : أما الهجرة من مواطن الفساد إلى مواطن الصلاح فماضية إلى يوم القيامة .

قال اللَّه سبحانه : ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨] .

● وقال تعالى : ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**

= الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح اللَّه مكة دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى . وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه ، وفيهم نزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ [النساء: ٩٧] الآية ، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها ، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعًا : «**لا يقبل اللَّه من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين**» ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعًا : «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**» وهذا محمول على من لم يأمن على دينه .

إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين[١] الذي قتل الراهب فأتم به المئة فذهب إلى العالم فأفتاه بأن يترك أرضه أرض السوء ويذهب إلى أرض أهلها صالحون فيعبد الله معهم .

● وقال النبي ﷺ : **«أنا بريء من المسلم يعيش بين ظهراني المشركين »**[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: **« المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»**[٣] .

● ويوحي الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام بين يدي الساعة إني أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم[٤] .

وقوله ﷺ : **«لا هجرة بعد الفتح»**[٥] أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦) (حديث ١٦٠٥) وأبو داود (٣/ ١٠٥) والنسائي (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) والبيهقي (٨/ ١٣٠) وغيرهم ، والراجح فيه أنه مرسل ، وقد صوَّب الإرسال عددٌ من أهل العلم ، انظر : «العلل الكبير» للترمذي (٢٦٤ ـ ٢٦٥) و«التلخيص الحبير» (٤/ ١١٩) وأبو حاتم في «العلل» (٩٤٢) .

(٣) حديث **«المهاجر من هجر ما نهى الله عنه»** أخرجه البخاري (حديث ١٠) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه .

(٥) البخاري حديث (٢٨٢٥) ومسلم (١٨٦٤) .

س ـ هل أذنب النبي ﷺ ذنبًا حتى يؤمر بالاستغفار ؟

ج : **طرح القرطبي رحمه اللَّه تعالىٰ هذا السؤال، وأجاب عليه فقال:**

فإن قيل : فماذا يغفر للنبيّ ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار ؟ قيل له : كان النبيّ ﷺ يقول في دعائه : **«ربِّ اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كلِّه ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي خطئي وعمدي ، وجهلي وهزلي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرتُ ، وما أعلنت وما أسررت ، أنت المقدِّم وأنت المؤخر ، إنكَ علىٰ كلِّ شيءٍ قدير»** . فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم اللَّه به عليه ، ويرىٰ قصوره عن القيام بحق ذلك ذُنُوبًا . ويحتمل أن يكون بمعنىٰ : كُنْ متعلقًا به ، سائلاً راغبًا ، متضرعًا علىٰ رؤية التقصير في أداء الحقوق ، لئلا ينقطع إلىٰ رؤية الأعمال. وقيل : الاستغفار تَعَبُّد يجب إتيانه ، لا للمغفرة ، بل تعبدًا . وقيل: ذلك تنبيه لأمته، لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار . وقيل: ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي : استغفر لأمتك ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣] أي: علىٰ المسبحين والمستغفرين ، يتوب عليهم ويرحمهم ، ويقبل توبتهم . وإذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار ، فما الظن بغيره ؟ روىٰ مسلم عن عائشة قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يُكثر من قول: **«سبحانَ اللَّه وبحمْده ، أستغفرُ اللَّهَ وأتوبُ إليه»** . فقال : **«خبَّرني ربِّي أني سأرىٰ علامة في أمتي ، فإذا رأيتها أكثرت من قول سبحان اللَّه وبحمْده ، أستغفر اللَّه وأتوب إليه ، فقد رأيتها : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾** [النصر: ١] ـ فتح مكة ـ **﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**

وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٢ - ٣] » .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

المسألة الخامسة : في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وجوه: **أحدها** : لعله عليه السلام كان يتمنى أن ينتقم ممن آذاه ، ويسأل اللَّه أن ينصره ، فلما سمع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر: ١] استبشر ، لكن لو قرن بهذه البشارة شرط أن لا ينتقم لتنغصت عليه تلك البشارة ، فذكر لفظ الناس وأنهم يدخلون في دين اللَّه وأمره بأن يستغفر للداخلين، لكن من المعلوم أن الاستغفار لمن لا ذنب لا يحسن ، فعلم النبي ﷺ بهذا الطريق أنه تعالى ندبه إلى العفو وترك الانتقام ، لأنه لما أمره بأن يطلب لهم المغفرة فكيف يحسن منه أن يشتغل بالانتقام منهم ؟ ثم ختم بلفظ الثواب كأنه يقول إن قبول التوبة حرفته فكل من طلب منه التوبة أعطاه ، كما أن البياع حرفته بيع الأمتعة التي عنده فكل من طلب منه شيئًا من تلك الأمتعة باعه منه ، سواء كان المشتري عدوًّا أو وليًّا ، فكذا الرب سبحانه يقبل التوبة سواء كان التائب مكيًّا أو مدنيًّا، ثم إنه عليه السلام امتثل أمر الرب تعالى فحين قالوا له: أخ كريم وابن أخ كريم قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي : أمرني أن أستغفر لكم فلا يجوز أن يردني . **وثانيها** : أن قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] إما أن يكون المراد واستغفر اللَّه لنفسك أو لأمتك ، فإن كان المراد هو الأول فهو يتفرع على أنه هل صدرت عنه معصية أم لا ؟ فمن قال صدرت المعصية عنه ذكر في فائدة الاستغفار وجوهًا : **أحدها** :

أنه لا يمتنع أن تكون كثرة الاستغفار منه تؤثر في جعل ذنبه صغيرة . **وثانيها** : لزمه الاستغفار لينجو عن ذنب الإصرار . **وثالثها** : لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار جابرًا للذنب الصغير فلا ينتقض من ثوابه شيء أصلاً . وأما من قال: ما صدرت المعصية عنه فذكر في هذا الاستغفار وجوهًا : **أحدها** : أن استغفار النبي جارٍ مجرىٰ التسبيح وذلك لأنه وصف اللَّه بأنه غفار . **وثانيها** : تعبده اللَّه بذلك ليقتدي به غيره إذ لا يأمن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته ، وفيه تنبيه علىٰ أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه. **وثالثها** : أن الاستغفار كان عن ترك الأفضل. **ورابعها** : أن الاستغفار كان بسبب أن كل طاعة أتىٰ بها العبد فإذا قابلها بإحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة ، فليستغفر اللَّه لأجل ذلك . **وخامسها** : الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك لأن السائر إلىٰ اللَّه إذا وصل إلىٰ مقام في العبودية ، ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرىٰ ذلك المقام قاصرًا فيستغفر اللَّه عنه ، ولما كانت مراتب السير إلىٰ اللَّه غير متناهية لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية . أما الاحتمال **الثاني** : وهو أن يكون المراد واستغفره لذنب أمتك فهو أيضًا ظاهر ، لأنه تعالىٰ أمره بالاستغفار لذنب أمته في قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] فههنا لما كثرت الأمة صار ذلك الاستغفار أوجب وأهم ، وهكذا إذا قلنا: المراد ههنا أن يستغفر لنفسه ولأمته .

* * *

س ـ مزيد الفضل يستلزم مزيدًا من الشكر دلل على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك :**

قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ** ﴾ [النصر: ١ -٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر: ١، ٢] .

وقولـه تعالى : ﴿ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝٤٢ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٦ - ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ...** ﴾ [سبأ: ١٠] إلى قوله : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا** ﴾ [سبأ: ١٣] .

وقد صلى النبي ﷺ بمكة يوم الفتح ثمان ركعات[1].

* * *

س ـ يشرع الاستغفار عند انتهاء الأعمال ، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

---

(١) انظر تفسير سورة الضحى .

ج : **من الأدلة على ذلك ما يلي :**

١ ـ أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا [١].

٢ ـ قوله سبحانه : ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ** ﴾ [البقرة: ١٩٩] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾ [النصر: ١ - ٣] مع قول النبي ﷺ بعد نزولها : «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»[٢].

٤ ـ ومن ذلك دعاء ختام المجلس وفيه : «**أستغفرك وأتوب إليك**»[٣].

* * *

س ـ ماذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده بعد نزول هذه السورة عليه ؟

ج : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده[٤] بعد نزول هذه

---

(١) أخرجه مسلم (٥/٨٩ مع النووي) والنسائي (٣/٦٨) والترمذي (مع «التحفة» ٢/١٩٥) وأبو داود (٣٦١) وأبو عوانة (٢/٢٦٤) وابن ماجة (٩٢٨) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) أخرجه أبو داود (٥/١٨٢) والدارمي (٢/٢٨٣) وغيرهما من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا وإسناده حسن .

(٤) ولا يمتنع أنه كان يقول غير ذلك أيضًا صلوات الله وسلامه عليه، والحديث أخرجه البخاري =

السورة : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» .

ففي «الصحيح»[1] من حديث عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يُصل صلاة إلا دعا، أو قال فيها : «سبحانك ربي وبحمدك اللهم اغفر لي» .

* * *

س ـ من الذي فهم أن هذه السورة نعت إلى النبي ﷺ نفسه (أي : أن أجل النبي ﷺ قد اقترب) وهل من وجه آخر في تفسير هذه السورة ؟

ج : فهم ذلك عبد اللّٰه بن عباس وأمير المؤمنين عمر رضي اللّٰه عنهم ففي «الصحيح» [2] من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : «كان عمرُ يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضُهُم : لِمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنهُ ممن قد علمتم . فدعاهم ذاتَ يوم ودَعاني معهم ، قال : وما رأيتُهُ دعاني يومئذ إلا ليريَهم مني ، فقال : ما تقولونَ في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] ؟ حتى خَتم السورة . فقال بعضُهم : أمِرْنا أن نحمدَ اللّٰه ونستغفرَهُ إذا نصرنا وفتحَ علينا . وقال بعضهم : لا ندري ، أو لم يقلْ بعضُهم شيئًا . فقال لي : يا ابن عباس أكذاك تقول ؟ قلت : لا ، قال : فما تقولُ ؟ قلتُ : هو أجَلُ رسولِ اللّٰه

= (مع الفتح ٢/٢٨١) ومسلم (٤/٢٠١) .

(١) لفظ مسلم ص ٣٥١ ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٩٤) .

ﷺ أعلَمهُ اللَّه لهُ إذا جاء نصرُ اللَّه ، والفتحُ فتح مكةَ فذاكَ علامة أجَلكَ ، فسبِّحْ بحمد ربِّكَ واستغفرهُ ، إنهُ كان توّابًا . قال عمرُ : ما أعلمُ منها إلاّ ما تعلم» .

ونعم هناك وجه آخر في تفسير السورة ألا وهو تفسير السورة على ظاهرها ، فالمعنى : إذا فتح اللَّه عليك يا محمد الفتوحات ، ومنها فتح مكة، وجاء الناس يدخلون في دين اللَّه جماعات جماعات فسبح بحمد ربك واستغفره أي : فصلِّ وقل : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي(١) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي اللَّه عنهم أجمعين من أنه قد أُمرنا إذا فتح اللَّه علينا المدائن والحصون أن نحمد اللَّه ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمان ركعات فقال قائلون : هي صلاة الضحى ، وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا لم ينو الإقامة بمكة ؟



(١) أي : كما كان النبي ﷺ يقول بعد نزول هذه السورة عليه .

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

تبت ـ ذات لهب ـ جيدها ـ مسد ؟

ج :

الكلمة	معناها
تبت	هلكت[1] ـ خسرت[2]
ذات لهب	لها لهب وشرر وإحراق شديد ـ ذات اشتعال وتوقد
جيدها	عنقها ـ رقبتها
مسد	نار ـ ليف ـ حديد ، وقال البعض : إنها السلسلة التي قال اللّه فيها : ﴿**ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾ [الحاقة : ٣٢]

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿**وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ**﴾ [غافر: ٣٧] .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿**وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ**﴾ [هود: ١٠١] أي : تخسير .

س ـ ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ...﴾ [المسد: ١] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على الصفا فجعل ينادي : «**يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟**» قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال : «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا . فنزلت ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ١، ٢] .

* * *

س ـ لماذا خُصت اليدان بالتباب في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : وخص اليدين بالتباب لأن أكثر العمل يكون بهما ، وقيل : المراد باليدين نفسه ، وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله تعالى : ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ**﴾ [الحج: ١٠] أي نفسك .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/ ١١٨) ومسلم (٣/ ٨٣) وأحمد (١/ ٢٨١) .

وإذا كان المعنى قد تعين بنص القرآن في الهلاك والخسران ، فما معنى إسناد التب لليدين ؟

الجواب : أن ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ ﴾ [العلق: ١٦] مع أن الكاذب هو صاحبها .

وقد قدمنا هناك أن مثل هذا الأسلوب لابد فيه من زيادة اختصاص للجزء المنطوق في المعنى المراد .

فلما كان الكذب يسوِّد الوجه ويذل الناصية ، وعكسه الصدق يبيِّض الوجه ويعز الناصية ، أسند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلاً .

ولما كان الهلاك والخسران غالبًا بما تكسبه الجوارح واليد أشد اختصاصًا في ذلك أسند إليها التب .

ومما يدل على أن المراد صاحب اليدين ، ما جاء بعدها ، قوله تعالى : ﴿وَتَبَّ﴾ أي أبو لهب نفسه .

وسواء كان قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] على سبيل الإخبار أو الإنشاء ، فإنه محتمل من حيث اللفظ .

ولكن قوله تعالى بعده : ﴿وَتَبَّ﴾ فهو إخبار ، فيكون الأول للإنشاء كقوله : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] .

ثم جاء الثاني تصديقًا له، وجاءت قراءة ابن مسعود (وقد تب) .

س ـ ما اسم أبي لهب ؟ وما اسم امرأته ؟

ج : اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ، وهو عم النبي ﷺ واسم امرأته العوراء بنت جميل .

* * *

س ـ هل الاسم أفضل أم الكنية ؟

ج : الظاهر أنهما على العموم يستويان ، لكن إذا كان الأحب إلى شخصٍ من المسلمين أن يُدعى بالكنية دُعي بها فهو أفضل ، وإذا كان الأحب له أن يدعى باسمه فالأفضل أن يدعى به .

وقد ذهب البعض إلى أن الاسم أفضل من الكنية لأن اللَّه سبحانه وتعالى ما ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا بأسمائهم ، ولم يذكر الكنية إلا لرجل كافر وهو أبو لهب ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي ، وذلك لأن اللَّه عز وجل ذكر بعض الكفار بأسمائهم أيضًا ، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾ [القصص:٨] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ**﴾ [القصص: ٧٦] ، ووجه آخر : أن من الصحابة من لم يكد يعرف إلا بكنيته كأبي هريرة وأبي بكر وأبي ذر وأبي أمامة رضي اللَّه عنهم ، ومنهم من اشتهر باسمه كعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم .

وكذلك رسولنا ﷺ كنيته أبو القاسم واسمه محمد ﷺ فالظاهر لي ما قدمت ذكره ، واللَّه أعلم .

س ـ ما فائدة تكرار قوله : ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : **قال بعض العلماء** : إن التب الأول دعاء عليه ، والتب الثاني خبر ، فالمعنى: أهلكه اللَّه وقد هلك، أو خسرت يداه وقد خسر ، أي: وقد تحققت خسارته ، أو أن المعنى : خسر أبو لهب وخسرت يداه .

وقال بعض العلماء : كلاهما إخبار أراد بالأول هلاك عمله ، وبالثاني هلاك نفسه .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : ـ

والسؤال الثاني : وهو مجيء قوله تعالى ﴿وَتَبَّ﴾ بعد قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] مع أنها كافية سواء كانت إنشاءً للدعاء عليه أو إخبارًا بوقوع ذلك منه .

والجواب ، واللَّه تعالى أعلم : أن الأول لما كان محتملاً الخبر، وقد يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت ، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] ، أو يحمل على الذم فقط والتقبيح ، فجاء ﴿وَتَبَّ﴾ لبيان أنه واقع به لا محالة ، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك ليبأس ﷺ والمسلمون من إسلامه ؛ وتنقطع الملاطفة معه ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : قال بعض العلماء : إنها استفهامية ، والمعنى : ماذا أغنى ماله وكسبه ؟ أو ما هو الشيء الذي أغناه عنه ماله وكسبه ؟ . وقال آخرون : إنها نافية ، فالمعنى : لم يُغْنِ عنه ماله ولا كسبه شيئًا .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : أما المال فمعروف ، وأما قوله : ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] فذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بذلك بنوه أي أولاده ، فالمعنى ما أغنى ماله ولا أغنى عنه ولده ، وقد ورد عن ابن عباس تفسير الكسب بالأولاد .

ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ : **«يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»**[(١)] .

وقد روت عائشة عن رسول الله ﷺ : **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه»**[(٢)] .

● ومن العلماء من قال : إن الكسب عام فيدخل فيه الولد ويدخل فيه كل ما اكتسبه من زرع وماشية وميراث وتجارات .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٤٢ و ٢٢٠) بإسناد صحيح ، وانظر «علل ابن أبي حاتم» (١/٤٧٢) و«إرواء الغليل» (٦/٦٥) .

● ومنهم من قال : إن المراد بالكسب هنا العمل أي : لم ينفعه العمل السيئ الذي عمله معاديًا به رسول اللَّه ﷺ ، أو العمل الذي ظن أنه منه على شيء كما قال تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] .

* * *

س ـ لقد كان رسول اللَّه ﷺ مع قومه ملاطفًا حليمًا فكيف دعا على عمه بهذا الدعاء ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : **طرح هذا السؤال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» وأجاب عليه بقوله :**

والجواب : أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم ، فلما يئس من ذلك ، كان هذا الدعاء في محله ، كما وقع من إبراهيم عليه السلام ، كان يلاطف أباه ﴿يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ [مريم: ٤٤] . ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: ٤٣] ، فلما يئس منه ، تبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] .

* * *

س ـ في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى قوله : ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ١ - ٣] دليل من دلائل النبوة ، وضح ذلك ؟

ج : **إيضاحه :** أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أخبر أن أبا لهب سيصلىٰ نارًا ذات لهب ، وقد مات أبو لهب وزوجته علىٰ الكفر ولم يُسلما فحقت عليهما النار ، فوجهه أن اللَّه عز وجل أخبر عنهما بخبرٍ وهو (أنهما سيصليان النار) وقد فعلا ما يوجب لهما ذلك بموتهما علىٰ الكفر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح علىٰ النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالىٰ : ﴿ **سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ** ﴾ [المسد: ٣ - ٥] ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنًا ولا ظاهرًا ، لا مُسرًا ولا معلنًا ، فكان هذا من أقوىٰ الأدلة الباهرة الباطنة علىٰ النبوة الظاهرة .

● **وقال السعدي في «تيسير الكريم الرحمن» : في** هذه السورة آية باهرة من آيات اللَّه فإن اللَّه أنزل هذه السورة ، وأبو لهب وأمرأته لم يهلكا وأخبر أنهما سيعذبان في النار ، ولابد ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة .

* * *

س - لماذا وصفت امرأة أبي لهب بأنها حمالة الحطب ؟

ج : **في ذلك عدة أقوال ، منها ما يلي :-**

الأول : أنها كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ .

الثاني : أنها كانت تُعيِّر النبي ﷺ بالفقر وكانت تحتطب فَعُيِّرَتْ بذلك .

الثالث : أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمة[1] .

الرابع : أن المراد بحمل الحطب حمل الخطايا والذنوب كما قال تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] .

الخامس : أنها حمالة حطب في النار ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بحبل المسد المذكور في قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن امـرأة أبي لهب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر تلبسها في عنقها فأقسمت باللات والعزى لتنفقنها في أذى النبي ﷺ ، فتوعدها الله عز وجل بحبل من نار مكان هذه القلادة .

---

(١) **قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٢٩٢) .**
قال الزمخشريّ : ويقال للمشّاء بالنمائم المفسد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أي : يوقد بينهم ويورث الشر ، قال :

من البيض لم تُصْطَدْ على ظهر لأمة ∴ ولَمْ تَمْشِ بين الحيّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

يمدحها بأنها من البيض الوجوه وانها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن أن تمشي بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة الشر. ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرى به .

الثاني : أنها كانت تحتطب وتجعل حبلاً من ليف في عنقها فخنقها اللَّه به فماتت .

الثالث : أنه كانت تحتطب وتربط الحبل في عنقها وتأخذ الحطب فتجعله في طريق الرسول ﷺ فتوعدها اللَّه مكان هذا الحبل حبلاً من نار .

أما المسد ؛ فقال بعض العلماء : إنه الليف ، وقال آخرون : إنه حبل من جلود الإبل أو من أوبارها ، وقال آخرون : إنه حبل من نار (يوم القيامة) ، وقال آخرون : إنه السلسلة التي ذكرها اللَّه سبحانه بقوله : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٢] .

وقال الرازي في «تفسيره» :

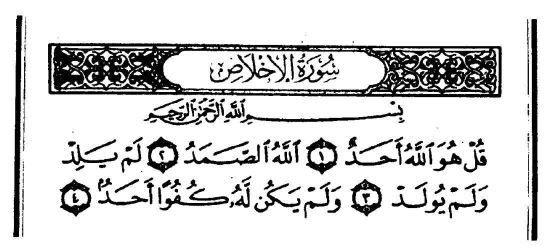
قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] : قال الواحدي : المسد في كلام العرب القتل ، يقال : مسد الحبل يمسده مسدًا إذا أجاد فتله ، ورجل ممسود إذا كان مجدول الخلق ، والمسد ما مسد أي فتل من أي شيء كان ، فيقال لما فتل من جلود الإبل ، ومن الليف والخوص مسد . ولما فتل من الحديد أيضًا مسد ، إذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوهًا : **أحدها** : في جيدها حبل مما مسد من الحبال لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون ، والمقصود : بيان خساستها تشبيهًا لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها . **وثانيها** : أن يكون المعنى : أن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت

تحمل الحزمة من الشوك ، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار .

فإن قيل : الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى أبدًا في النار ؟ قلنا : كما يبقى الجلد واللحم والعظم أبدًا في النار .

ومنهم من قال : ذلك المسد يكون من الحديد ، وظن من ظن أن المسد لا يكون من الحديد خطأ ، لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره ، واللّٰه سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد للّٰه رب العالمين .





س ـ اذكر بعض المواطن التي يشرع ويستحب فيها قراءة سورة قل هو اللّه أحد ؟

ج : من هذه المواطن ما يلي :

الركعة الثانية : من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب ، وذلك بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الأخيرة من الوتر بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الثانية : من ركعتي الطواف (بعد قراءة الفاتحة) .

دبر الصلوات .

عند النوم .

عند المرض .

في عموم الصلوات .

أذكار الصباح والمساء .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل سورة قول هو اللَّه أحد؟

ج : من ذلك ما يلي :

● ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو اللَّه أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟** » فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : «**أخبروه أن اللَّه يحبه**» .

● وأخرج البخاري[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها فقال رسول اللَّه ﷺ : «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» .

● وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟** » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ «**قال : «قل هو اللَّه أحد تعدل ثلث القرآن**»[3] .

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٥) ومسلم (حديث ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٤) .

(٣) **قال النووي في «شرح مسلم»** : قال القاضي : قال المازري : قيل : معناه أن القرآن على =

وفي رواية لمسلم : «**إن اللَّه جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو اللَّه أحد جزءًا من أجزاء القرآن**» .

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ «**احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**» فحشد من حشد ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقرأ قل هو اللَّه أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض : إني أرىٰ هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقال : «**إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**» .

* * *

= ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات للَّه تعالى ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ متمحضة للصفات فهي ثلث ، وجزء من ثلاثة أجزاء .

قلت : والحديث أخرجه مسلم (حديث ٨١١) .

(١) الحديث عند مسلم (٨١٢) .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٣٠١) :

وقد ذكروا في ذلك وجوهًا ـ منها ما قاله أبو العباس بن سريج : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام . ثلث منها الأحكام ، وثلث منها وعد ووعيد ، وثلث منها الأسماء والصفات . وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات .

وقال الغزاليّ في (جواهر القرآن) : مهمات القرآن هي معرفة اللَّه ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم . فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة ، والباقي توابع ، وسورة الإخلاص تشتمل على واحدة من الثلاث : وهي معرفة اللَّه وتقديسه وتوحيده عن مشارك في الجنس والنوع ، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ .

قال : والوصف بالصمد يشعر بأنه السيد الذي لا يقصد في الوجود للحوائج سواه . نعم ، ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم . فلذلك تعدل ثلث القرآن أي ثلث الأصول من =

. . . .

= القرآن كما قيل (الحج عرفة) أي هو الأصل والباقي تبع .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) : كان النبيّ ﷺ يقرأ في سنة الفجر والوتر الإخلاص والكافرون وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل ، وتوحيد المعرفة والإرادة ، وتوحيد الاعتقاد والقصد . فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة ، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه . والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم الصمدية وغناه وأحديته . ونفيُ الكفؤ المتضمن لنفي التنبيه والتمثيل والتنظير : فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له ، ونفي كل نقص عنه ، ونفي إثبات شبيه أو مثل له في كماله ونفي مطلق الشريك عنه . وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلميّ الاعتقاديّ الذي يباين صاحبه جميع فوق الضلال والشرك . ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن . فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء. والإنشاء ثلاثة : أمر ، ونهي ، وإباحة . والخبر نوعان : خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وخبر عن خلقه ـ فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن . وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلميّ . كما خلصت سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العملي الإراديّ القصديّ . ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله ، كانت سورة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر . و ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ تعدل ربع القرآن ، وفي الترمذي: من رواية ابن عباس رضي اللّه عنهما ، يرفعه: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ** ﴾ تعدل نصف القرآن و ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن و ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ تعدل ربع القرآن . رواه الحاكم في «المستدرك» ، وقال : صحيح الإسناد .

ولما كان الشرك العمليّ الإراديّ أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها ، وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه ، لما لها فيه من نيل الأغراض . وإزالتُه وقلعُه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلميّ وإزالته . لأن هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه ، بخلاف شرك الإرادة والقصد ، فإن صاحبه يرتكب ما يدلّه العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه . فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العمليّ ما لم =

س - هل صح لهذه السورة سبب نزول ؟

قد ورد لهذه السورة عدة أسباب للنزول ولا يصح منها شيء.

* * *

س - اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الصمد ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بالصمد ذكر في الآيات التي تليها ألا وهي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] ، فالصمد هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

الثاني : أن الصمد : هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم ، أي : يقصده الخلق في حوائجهم ومسائلهم إذ لا يقدر على قضائها لهم غيره سبحانه وتعالى .

الثالث : أن الصمد : المصمت الذي لا جوف له .

الرابع : أن الصمد : هو السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل

= يجئ مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ولما كان القرآن شطرين : شطرًا في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والأمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها . وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها . وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر ، فلم يذكر فيها إلا الآخرة ، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها ، كانت تعدل نصف القرآن . فأحْرِ بهذا الحديث أن يكون صحيحًا . والله أعلم .

شيء فلا سيد فوقه ، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كلم في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو اللّٰه سبحانه وتعالى ، هذه صفته لا تنبغي إلا له .

الخامس : أن الصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب .

السادس : أن الصمد : الباقي بعد فناء خلقه .

السابع : أن الصمد : الذي لا تصلح العبادة إلا له .

الثامن : أن الصمد : هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد .

التاسع : أن الصمد : الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وثمَّ أقوال أخر ، والجمع بين هذه الأقوال ممكن .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللّٰه تعالى (بعد إيراده جملة من هذه الأقوال) :

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «كتاب السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يُصمد إليه في الحوائج ،

وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه ، وقال البيهقي نحو ذلك .

* * *

س ـ اذكر جملة من الأدلة التي تنزه اللَّه سبحانه وتعالى عن الولد ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٣٥].

● قوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢] .

● قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢] .

● قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] .

● قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] .

● قوله تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

• قوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

• قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

• قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦] .

• قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [يونس: ٦٨] .

• قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١ - ٥] .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الفرقان: ١، ٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**قال اللَّه تعالى : كذَّبني ابنُ آدم ، ولم لكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يُعيدني كما بدأني وليس أولُ الخلق بأهوَنَ عليَّ من إعادته ، وأما شَتمُهُ إياي فقوله اتخذ اللَّه ولدًا ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ لم ألِدْ ولم أُولَد ، ولم يكُن لي كُفوًا أحدٌ**» .

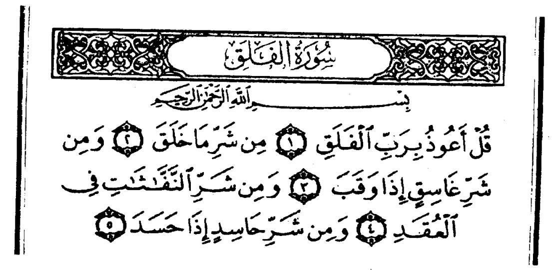
* * *

س وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ؟

ج : الكفؤ هو المثيل والشبيه والنظير ، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ : ولم يكن له أحدٌ شبيهًا ولا مثيلاً ولا نظيرًا أي لم يكافئه أحد ولم يشابهه أحد سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (٨/ ٧٣٩) والنسائي (٤/ ١١٢) .



س ـ اذكر معنىٰ ما يلي : ـ

أعوذ ـ الفلق ـ غاسق ـ وقب ـ النفاثات ـ العقد ؟

ج :

الكلمة	معناها
أعوذ	ألجأ ـ أستجير ـ أعتصم ـ ألوذ
الفلق	الصبح [١] ـ كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوىٰ[٢]

(١) ومنه قوله تعالىٰ : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وقول عائشة : كان النبي ﷺ لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(٢) ومنه قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] .

ومن العلماء من قال : إن الفلق سجن في جهنم ، ولكن لا يثبت في ذلك خبر عن النبي ﷺ.

الكلمة	معناها
غاسق	مظلم - وقيل : الغاسق القمر ، وقيل : الليل[1]
وقب	دخل - أقبل بظلامه
النفاثات	السواحر اللواتي ينفثن (أي: يتفلن عند سحرهن) في العقد
العقد	عقد الخيط

* * *

س - اذكر بعض ما ورد في فضل المعوذتين والمواطن التي تقرءان فيها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»**[2] .

وفي لفظ آخر عند مسلم : **«أُنزل أو أُنزلت عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط المعوذتين»** .

وعند أبي داود والنسائي من حديث عقبة بن عامر أيضًا : قال أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة[3] .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] .

(٢) مسلم مع النووي (٦/ ٩٦) .

(٣) أبو داود (٢/ ١٨١) والنسائي (٣/ ٦٩) بإسناد حسن .

وأخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي[١] من حديث عبد اللَّه بن خبيب قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة نطلب النبي ﷺ ليصلِّي لنا فأدركناه فقال : **«قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال : **«قل»** فلم أقل شيئًا ثم قال: **«قل»** قلت : يا رسول اللَّه ما أقول ؟ قال : **«قل هو اللَّه أحد»** .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نفث في كفيه بقل هو اللَّه أحد والمعوذتين جميعًا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده ، قالت عائشة : فلما اشتكىٰ كان يأمرني أن أفعل ذلك به .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي[٣] .

* * *

س ـ اذكر علىٰ وجه الإجمال أنواع الشرور المستعاذ باللَّه منها في هاتين السورتين (الفلق والناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :**

الفصل الثالث: في أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأبو داود (٥٠٨٢) والنسائي (٨/ ٢٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/ ٢٠٩) ومسلم في الطب (٥٠:٣) .

(٣) مسلم (حديث ٢١٩٢) .

الشر الذي يصيب العبد لا يخلو من قسمين :

إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها . فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه . ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها . وهو أعظم الشرين وأدومهما ، وأشدهما اتصالاً بصاحبه .

وإما شر واقع به من غيره . وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره ، وهو الإنسان ، أو ليس نظيره ، وهو الجني . وغير المكلف : مثل الهوام وذوات الحُمَة وغيرها .

فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه ، وأدله على المراد ، وأعمه استعاذة ، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيهما .

ثم قال رحمه اللّه :

والشر المستعاذ منه نوعان .

أحدهما : موجود ، يطلب رفعه ، والثاني : معدوم ، يطلب بقاؤه على العدم ، وأن لا يوجد . كما أن الخير المطلق نوعان . أحدهما : موجود فيطلب دوامه وثباته وأن لا يسلبه . والثاني : معدوم فيطلب وجوده وحصوله . فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين . وعليها مدار طلباتهم .

وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء

عباده في آخر آل عمران في قولهم : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا** ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا الطلب لدفع الشر الموجود . فإن الذنوب والسيئات شر ، كما تقدم بيانه . ثم قال : ﴿ **وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا طلب لدوام الخير الموجود وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه . فهذان قسمان . ثم قال : ﴿ **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه . ثم قال : ﴿ **وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم ، وهو خزي يوم القيامة .

فانتظمت الآيتان المطالب الأربعة أحسن انتظام ، مرتبة أحسن ترتيب ، قدُم فيها النوعان اللذان في الدنيا ، وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت ، ثم أتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة ، وهما أن يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله ، وأن لا يخزيهم يوم القيامة .

فإذا عرف هذا . فقوله ﷺ في تشهد الخطبة : «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**»[1] يتناول الاستعاذة من شر النفس ، الذي هو معدوم لكنه فيها بالقوة . فيسأل دفعه وأن لا يوجد .

---

(١) هذا اللفظ جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حينما علمه رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فعلمه إياها وفيها «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**» وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ١١٠٥ وابن ماجة ١٨٩٢ وعندهما الاستعاذة من شرور الأنفس وسيئات الأعمال، وأخرجه أبو داود رقم ٢١١٨ وق ٦/٨٩ وحَمَ ١/٢٩٢ مقتصرين على الاستعاذة من شرور الأنفس .

وأما قوله : «من سيئات أعمالنا» ففيه قولان .

أحدهما : أنه استعاذة من الأعمال السيئة التي قد وجدت . فيكون الحديث قد تناول نوعي الاستعاذة من الشر المعدوم الذي لم يوجد ، ومن الشر الموجود . فطلب دفع الأول ورفع الثاني .

والقول الثاني : أن سيئات الأعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها . وعلى هذا يكون من استعاذة الدفع أيضًا دفع المسبب . والأول دفع السبب . فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه .

وعلى الأول : تكون إضافة السيئات إلى الأعمال من باب إضافة النوع إلى جنسه . فإن الأعمال جنس وسيئاتها نوع منها .

وعلى الثاني: تكون من باب إضافة المسبب إلى سببه ، والمعلول إلى علته . كأنه قال : من عقوبة عملي . والقولان محتملان .

فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به . فإن مع كل واحد منهما نوعًا من الترجيح . فيترجح الأول بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس . فشر النفس يولد الأعمال السيئة ، فاستعاذ من صفة النفس ، ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة . وهذان جماع الشر ، وأسباب كل ألم . فمتى عوفي منهما عوفي من الشر بحذافيره .

ويترجح الثاني بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء

العامل ، وأسبابها شر النفس . فاستعاذ من العقوبات والآلالم وأسبابها .

والقولان في الحقيقة متلازمان ، والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر .

* * *

س ـ قال اللَّه سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] **وقال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١] **فعند امتثالنا للأمر هل نقول : أعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس أو نقول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** [الفلق: ١] **و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١] **؟**

ج : بل نقول : **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** [الفلق: ١] و **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١] وقد أخرج البخاري [1] من طريق ذر قال : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول : كذا وكذا فقال أبي : سألت رسول اللَّه ﷺ فقال لي : **«قيل لي فقلت»**[2] قال : فنحن نقول كما قال رسول اللَّه ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٧٤١) .

(٢) **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى :**

قلت : مفعول القول محذوف ، وتقديره : قيل لي قل ، أو قيل لي هذا اللفظ . فقلت كما قيل لي .

وتحت هذا من السر : أن النبي ﷺ ليس له في القرآن إلا إبلاغه ، لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه ، بل هو المبلغ له عن اللَّه . وقد قال اللَّه له : **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** [الفلق:١] فكان مقتضى البلاغ التام أن يقول: **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** [الفلق:١] كما قال اللَّه . =

س ـ اذكر معنى الفلق بمزيل من الإيضاح ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

واعلم أن الخلق كله فلق . وذلك أن «فلقا» فَعَل بمعنى مفعول ، كقَبَض وسَلَب وقنص : بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص . والله عز وجل : ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ**﴾ [الأنعام: ٩٦] ، و ﴿**فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ**﴾ [الأنعام: ٩٥] ، وفالق الأرض عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحاب عن المطر ، والأرحام عن الأجنَّة ، والظلام عن الإصباح . ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة : فلقًا وفَرَقًا . يقال : هو أبيض من فَرَق الصبح وفلقه .

وكما أن في خلقه فلقًا وفَرَقًا . فكذلك أمره كله فُرقان ، يفرق بين الحق والباطل . فيفرق ظلام الباطل بالحق ، كما يفرق ظلام الليل بالإصباح ، ولهذا سمي كتابه «الفرقان»[1] ونَصْره فرقانًا ، لتضمنه الفرق بين أوليائه وأعدائه . ومنه فَلْقه البحر لموسى ، وسماه فلقًا .

= وهذا هو المعنى الذي أشار النبي ﷺ إليه بقوله : «**قيل لي ، فقلت**» أي إني لست مبتدئًا ، بل أنا مبلغ ، أقول كما يقال لي ، وأبلغ كلام ربي أنزله إليّ .

فصلوات الله وسلامه عليه ، لقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وقال كما قيل له . فكفانا من المعتزلة والجهمية وإخوانهم ممن يقول : هذا القرآن العربي وهذا النظم كلامه ابتدأ هو به . ففي هذا الحديث أبين الرد لهذا القول ، وأنه ﷺ بلغ القول الذي أمر بتبليغه على وجهه ولفظه ، حتى إنه لما قيل له : «قل» قال هو : «قل» لأنه مبلغ محض . وما على الرسول إلا البلاغ .

(١) وذلك في قوله تعالى ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان: ١] .

فظهرت حكمة الاستعاذة برب الفلق في هذه المواضع . وظهر بهذا إعجاز القرآن ، وعظمته وجلالته ، وأن العباد لا يقدرون قدره ، وأنه ﴿ **تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢] .

❊ ❊ ❊

س ـ ما هو السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

فصل : ومن ههنا : تعلم السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع .

فإن الفلق : هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور ، وهو الذي يطرد جيش الظلام ، وعسكر المفسدين في الليل . فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سرْب أو كنٍّ أو غار ، وتأوي الهوام إلى أجحرتها ، والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها . فأمر اللّه عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ، ويقهر عسكرها وجيشها . ولهذا ذكر سبحانه في كل كتاب : أنه يخرج عباده من الظلمات إلى النور ، ويدع الكفار في ظلمات كفرهم . قال اللّه تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، وقال في أعمال الكفار : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ**

مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] ، وقد قال قبل ذلك في صفات أهل الإيمان ونورهم : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ [النور: ٣٥] .

فالإيمان كله نور ، ومآله إلىٰ نور ، ومستقره في القلب المضيء المستنير ، والمقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة . والكفر والشرك كله ظلمة ، ومآله إلىٰ الظلمات ومستقره في القلوب المظلمة ، والمقترن بأهل الأرواح المظلمة .

فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ، ومن شر ما يحدث فيها ونَزِّل هذا المعنىٰ علىٰ الواقع يشهد بأن القرآن ، بل هاتان السورتان، من أعظم أعلام النبوة ، وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ، ومضادته لما جاء به الشياطين من كل وجه ، وأن ما جاء به ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون فما فعلوه . ولا يليق بهم ، ولا يتأتىٰ منهم ، ولا يقدرون عليه .

وفي هذا أبين جواب وأشفاه لما يورده أعداء الرسول عليه من الأسئلة الباطلة التي قَصَّر المتكلمون غاية التقصير في دفعها ، وما شفوا في جوابها . وإنما اللَّه سبحانه هو الذي شَفَىٰ وكفىٰ في جوابها . فلم يحوجنا إلىٰ متكلم ، ولا إلىٰ أصولي ، ولا إلىٰ نَظَّار . فله الحمد

والمنّة . لا نُحصي ثناء عليه .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظرًا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبًا لطلوع صباح النجاح ، وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير .

* * *

س ـ لماذا يستعاذ من الفاسق إذا وقب ؟

ج : لأن الشياطين تنتشر ليلاً كما قال عليه الصلاة والسلام : «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم اللّه**» . . الحديث وفيه : «**فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ**»[1] .

وكذلك الهوام والسباع تخرج من أماكنها ، وأهل الشر والفساد ينبعثون كذلك .

وعلى قول من قال : إن الفاسق إذا وقب هو الثريا ، فقالوا : إن الثريا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين . واللّه أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/٨٨) ومسلم (١٣/١٨٣) من حديث جابر رضي اللّه عنهما مرفوعًا .

وقال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :

والسبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب هو : أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة . وفيه تنتشر الشياطين . وفي «الصحيح» : أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت انتشرت الشياطين ، ولهذا قال : **«فاكفِتوا صبيانكم ، واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فَحْـمة العشاء»** [1] ، وفي حديث آخر : **«فإن الله يبث من خلقه ما يشاء»**[2] .

والليل هو محل الظلام . وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار . فإن النهار نور ، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات

---

(١) أخرج البخاري (فتح ٦/٣٣٦ و ٣٥٥ و . . .) ومسلم ص ١٥٩٤ .

من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا استجنح الليل - أو كان جنح الليل - فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخَلُّوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأوكِ سقاءك واذكر اسم الله وخمِّر إناءك واذكر اسم الله ولو أن تعرض عليه شيئًا»** .

وفي بعض ألفاظه : **«واكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشاراً وخطفة»** .

وفي لفظ عند مسلم عن النبي ﷺ : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»** .

(الفواشي : كل شيء منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها ، وهي جمع فاشية لأنها تفشو ، أي : تنتشر في الأرض) .

تنبيه : هذا الحديث غفل عن العمل به كثير من الناس فحري أن يقوم به أهل السنة .

(٢) في أحد ألفاظ الحديث عند أحمد (٣/٣٠٦) : **«فإن الله عز وجل يبث في ليلة من خلقه ما شاء»** ، وسندها صحيح لغيرها . ولها شاهد عند أحمد (٣/٣٥٥) .

وفي «صحيح مسلم» : **«فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»** .

والمواضع المظلمة ، وعلى أهل الظلمة .

وروي أن سائلاً سأل مسيلمة : كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ فقال : في ظلماء حِنْدس . وسئل النبي ﷺ : «كيف يأتيك ؟» فقال : «**في مثل ضوء النهار**»[1] ، فاستدل بهذا على نبوته ، وأن الذي يأتيه ملك من عن اللَّه ، وأن الذي يأتي مسيلمة شيطان .

ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون النهار ، فالسحر الليلي عندهم : هو السحر القوي التأثير . ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم ، والشياطين تجول فيها، وتتحكم كما يتحكم ساكن البيت فيه . وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع ، وهو فيه أثبت وأمكن .

---

(١) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (١/٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٢) من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة ثمان سنين أو سبع يرى الضوء ويسمع الصوت وثمانيًا أو سبعًا يوحى إليه وأقام بالمدينة عشرًا . وإسناده صحيح ، وقد رواه عفان عن حماد بن سلمة عن عمار مرسلاً . ورواه عفان متصلاً أيضًا (١/٢٧٩) .

تنبيه : في البخاري (فتح ١/١٨) : سئل رسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : **«أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»** .

قال الحافظ في («**الفتح**» ١/١٩) : وأورد على ما اقتضاه الحديث وهو أن الوحي منحصر في الحالتين حالات أخرى إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل والنفث في الروع والإلهام والرؤيا الصالحة والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة ، وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق. والجواب منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب أو حمل ما =

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ؟

ج : ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] اسم موصول بمعنى الذي ، فالمعنى : من شر الذي خلق .

قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وقد دخل في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر : من حيوان ، أو غيره ، إنسيًّا كان أو جنيًّا ، أو هامة أو دابة أو ريحًا ، أو صاعقة ، أي نوع كان من أنواع البلاء .

فإن قلت : فهل في «ما» ههنا عموم ؟

قلت : فيها عموم تقييدي وصفي ، لا عموم إطلاقي . والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر . فعمومها من هذا الوجه . وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله . فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر . وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض : والخير كله حصل على أيديهم ، فالاستعاذة من شر ما خلق : تعم شر كل مخلوق فيه شر . وكل شر في الدنيا والآخرة ، وشر شياطين الإنس والجن وشر السباع والهوام ، وشر النار والهواء ، وغير ذلك . وفي «الصحيح» : عن النبي ﷺ أنه قال : «**من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر**

= يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال . . . .» .

ولمزيد راجع «الفتح» .

ما خلق . لم يضره شيء ، حتى يرتحل منه»[١] رواه مسلم . وروى أبو داود في «سننه» عن عبد اللَّه بن عمر قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل ، قال : «**يا أرض ، ربي وربك اللَّه ، أعوذ باللَّه من شرك ، وشر ما فيك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يَدُبُّ عليك ، أعوذ باللَّه من أسَد وأسْود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد**»[٢] .

وفي الحديث الآخر : «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر : من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر ما نزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن**»[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سنده ضعيف أخرجه أبو داود رقم (٢٦٠٣) وأحمد (٢/ ١٣٢ ، ٣/ ١٢٤) وفي إسناده الزبير ابن الوليد لم يذكر في الرواة عنه إلا شريح بن عبيد ولم يوثقه إلا ابن حبان ، فعلى هذا فهو مجهول ، وقد قال الحافظ في «التقريب» فيه : مقبول ، ومعناه : إذا توبع وإلا فلين .

(٣) أخرجه مالك بسند ضعيف لإرساله ، فروى مالك في «الموطأ» (كتاب الشعر باب ما يؤمر به من التعوذ ص ٩٥٠) عن يحيى بن سعيد أنه قال : أسري برسول اللَّه ﷺ فرأى عفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول اللَّه ﷺ رآه فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وَخَرَّ لفِيهِ ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : «بلى» فقال جبريل : فقل أعوذ بوجه اللَّه الكريم وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن .

وأخرج مالك أيضًا (ص ٩٥١) عن سمي مولى أبي بكر عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حمارًا فقيل له وما هي فقال : أعوذ بوجه اللَّه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، =

س ـ أمر اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالاستعاذة من كل ما خلق ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] فما فائدة الاستعاذة بعد ذلك من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك تنبيهًا على أهمية هذا الخاص وبيان عظم شره ، فالمراد التنبيه على أن هذه الشرور من أعظم أنواع الشرور .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] ؟

ج : **أجمل العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ القول في هذا فقال**[1] :

الشر الثاني : شر الغاسق إذا وَقَب . فهذا خاص بعد عام . وقد قال أكثر المفسرين : إنه الليل .

قال ابن عباس : الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ، ودخل في كل شيء وأظلم ، والغسق: الظلمة . يقال: غسق الليل ، وأغسق: إذا أظلم ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، وكذلك قال الحسن ومجاهد: الغاسق إذا وقب: الليل إذا

وبأسماء اللَّه الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ . وهذا مقطوع من كلام كعب .

(١) «التفسير القيم» .

أقبل ودخل . والوقوب : الدخول ، وهو دخول الليل بغروب الشمس . وقال مقاتل : يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار .

وفي تسمية الليل غاسقًا قول آخر : أنه من البرد ، والليل أبرد من النهار ، والغسق : البرد . وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴾ [ص: ٥٧] ، وقوله : ﴿ **لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا** ﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] قال : هو الزمهرير يحرقهم ببرده . كما تحرقهم النار بحرها . وكذلك قال مجاهد ومقاتل : هو الذي انتهى برده .

ولا تنافي بين القولين . فإن الليل بارد مظلم . فمن ذكر برده فقط ، أو ظلمته فقط : اقتصر على أحد وصفيه .

والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة . فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل . ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور : من شر الغاسق ، الذي هو الظلمة . فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة . كما سنزيده تقريرًا عن قريب إن شاء اللَّه .

فإن قيل : فما تقولون فيما رواه الترمذي من حديث ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت : أخذ النبي ﷺ بيدي ، فنظر إلى القمر ، فقال : «**يا عائشة ، استعيذي باللَّه من**

شر هذا . **فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»**[1] قال الترمذي : هذا حسن صحيح . وهذا أولىٰ من كل تفسير . فيتعين المصير إليه ؟

قيل : هذا التفسير حق ، ولا يناقض التفسير الأول ، بل يوافقه ، ويشهد لصحته . فإن اللَّه تعالىٰ قال : ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء: ١٢] ، فالقمر هو آية الليل ، وسلطانه فيه . فهو أيضًا غاسق إذا وقب ، كما أن الليل غاسق إذا وقب ، والنبي ﷺ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب . وهذا خبر صدق . وهو أصدق الخبر ، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب. وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره .

ونظير هذا : **قوله في المسجد الذي أسس على التقوىٰ** ـ وقد سئل عنه ـ فقال : «**هو مسجدي هذا**»[2] ، ومعلوم أن هذا لا ينفي كون مسجد قباء[3] مؤسسًا على التقوىٰ مثل ذاك .

ونظيره أيضًا : **قوله في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي اللَّه**

---

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي (٩/ ٣٠٢) وأحمد (٦/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢٣٧) وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٨/ ٧٤١) .

(٢) أخرج مسلم (ص ١٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلت يارسول اللَّه أي المسجدين الذي أسس على التقوىٰ قال : «**فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا**» لمسجد المدينة ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٣١ ، ٣٣٥ و ١١٦ ، ٣/ ٨ و ٢٣ ، ٢٤ و ٨٩ و ٩١) .

(٣) ورد في مسجد قباء من الفضل : ما أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٦٩) ومسلم (ص ١٠١٦ ـ ١٠١٧) أن رسول اللَّه ﷺ كان يأتيه راكبًا وماشيًا وذلك كل سبت .

عنهم أجمعين : «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[١] فإن هذا لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت ، ولكن هؤلاء أحق من دخل في لفظ أهل بيته .

ونظير هذا قوله : «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس شيئًا ، ولا يُفطَن له فيتَصدَّق عليه**»[٢] وهذا لا ينفي اسم المسكنة عن الطواف ، بل ينفي اختصاص الاسم به ، وتناول المسكين لغير السائل أولى من تناوله له .

ونظير هذا قوله : «**ليس الشديد بالصُّرَعة ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٣] ، فإنه لا يقتضي نفي الاسم عن الذي يصرع الرجال ، ولكن يقتضي أن ثبوته للذي يملك نفسه عند الغضب أولى .

ونظيره : الغسق ، والوقوب ، وأمثال ذلك .

فكذلك قوله في القمر : «**هذا هو الغاسق إذا وقب**» لا ينفي أن

---

(١) صحيح .
أخرجه احمد وغيره من عدة طرق عن النبي ﷺ انظر «مسند أحمد» (١/ ١٨٥ ، ٤/ ١٠٧ ، ٦/ ٢٩٢ و ٣٠٤) ، و«تفسير ابن كثير» عند تفسير قول الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الاحزاب: ٣٣] .

(٢) صحيح .
أخرجه البخاري في مواضع من «صحيح» (انظر «الفتح» ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ومسلم (ص ٧١٩).

(٣) صحيح .
أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٥١٨) ومسلم (ص ٢٠١٤) .

يكون الليل غاسقًا ، بل كلاهما غاسق .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن المراد به القمر إذا خُسف واسْوَدَّ . وقوله : **«وقب»** أي دخل في الخسوف ، أو غاب خاسفًا ؟

قيل : هذا القول ضعيف . ولا نعلم به سلفًا . والنبي ﷺ لما أشار إلى القمر ، وقال : **«هذا الغاسق إذا وقب»** لم يكن خاسفًا إذ ذاك . وإنما كان مستنيرًا ، ولو كان خاسفًا لذكرته عائشة . وإنما قالت : نظر إلى القمر ، وقال : **«هذا هو الغاسق»** ، ولو كان خاسفًا لم يصح أن يحذف ذلك الوصف منه . فإن ما أطلق عليه اسم الغاسق باعتبار صفة لا يجوز أن يطلق عليه بدونها ، لما فيه من التلبيس .

وأيضًا : فإن اللغة لا تساعد على هذا . فلا نعلم أحدًا قال : الغاسق : القمر في حال خسوفه .

وأيضًا : فإن الوقوب لا يقول أحد من أهل اللغة. إنه الخسوف ، وإنما هو الدخول ، من قولهم : وقبت العين : إذا غارت ، ورُكية وَقْباء : غار ماؤها . فدخل في أعماق التراب . ومنه الوَقْب للثقب الذي يدخل فيه المحور ، وتقول العرب : وَقَب يَقِب وُقُوبًا إذا دخل .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن الغاسق هو الثريا إذا سقطت ، فإن الأسقام تكثر عند سقوطها وغروبها، وترتفع عند طلوعها ؟

قيل : إن أراد صاحب هذا القول اختصاص الغسق بالنجم إذا غرب فباطل . وإن أراد : أن اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما : فهذا يحتمل أن يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه . وأما أن يختص اللفظ به فباطل .

قال عطية سالم في «تتمه لأضواء البيان» :

قوله تعالى : ﴿ **وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** ﴾ [الفلق: ٣] .

الغاسق : قيل الليل ، لقوله تعالى : ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ [الإسراء: ٧٨] .

ووقب : أي دخل .

وعليه قول الشاعر :

إن هـذا الليـل قـد غسقـا ∴ واشتكيـت الهـم والأرقـا

وقول الآخر :

يا طيف هند قد أبقيت لي أرقا ∴ إذ جئتنا طارقًا والليل قد غسقا

قال القرطبي : وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم .

وقيل : الغاسق : القمر إذا كان في آخر الشهر ، لحديث عائشة عند الترمذي أن الرسول ﷺ قال لهما : «**تعوذي من هذا فإنه الغاسق إذا وقب**» ، أي : القمر .

وقائل هذا القول يقول : إنه أنسب لما يجيء بعده من السحر ، لأنه أكثر ما يكون عندهم في آخر الشهر .

ونقل القرطبي عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر ، أي سقوطه وغيوبته .

وأنشد قول الشاعر :

أراحني اللَّه من أشياء أكرهها

منها العجوز ومنها الكلب والقمر

هـذا يبـوح وهـذا يستضاء بـه

وهــذه ضمــرز قوامــة السحــر

والضمرز : الناقة المسنة ، والمرأة الغليظة .

والصحيح الأول ، الذي هو الليل بشهادة القرآن .

والثاني : تابع له ، لأن القمر في ظهوره واختفائه مرتبط بالليل ، فهو بعض ما يكون في الليل ، وفي الليل تنتشر الشياطين وأهل الفساد، من الإنسان والحيوان ويقل فيه المغيث إلا اللَّه .

هذا وقد قال الطبري رحمه اللَّه تعالى بعد أن ذكر جملة أقوال لأهل العلم في تفسير ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال : إن اللَّه أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق ، وهو الذي يُظلم ، يقال : قد غسق

الليل يغسق غسوقًا إذا أظلم ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني إذا دخل في ظلامه ، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق ، ولم يخصص بعض ذلك بل عمَّ الأمر بذلك ، فكلُّ غاسق ، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد ، بـ ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

الشر الثالث : شر النَّفاثات في العُقد .

وهذا الشر هو شر السِّحْر . فإن النفاثات في العُقد : هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط ، وينفثن على كل عقدة ، حتى ينعقد ما يردن من السحر . والنفث : هو النفخ من ريق : وهو دون التَّفْل . وهو مرتبة بينهما .

والنفث : فعل الساحر . فإذا تكيَّفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفَس ممازج للشر والأذى ، مقترن بالريق الممازج لذلك . وقد تَساعَد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور . فيقع فيه السحر بإذن الله الكوني القدري . لا الأمري الشرعي .

فإن قيل : فالسحر يكون من الذكور والإناث ، فلم خص الاستعاذة من الإناث دون الذكور ؟.

قيل في جوابه : إن هذا خرج على السبب الواقع ، وهو أن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ .

هذا جواب أبي عبيدة وغيره ، وليس هذا بسديد . فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم ، لا بناته ، كما جاء في «الصحيح» .

والجواب المحقق : أن النفاثات هنا : هن الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات : لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة ، والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها . فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث ، دون التذكير والله أعلم .

* * *

س - لماذا عرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه ؟

ج: **قال الرازي في «تفسيره»**: عرَّف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكَّر غاسقًا لأنه ليس كل غاسقٍ شريرًا ، وأيضًا ليس كل حاسد شريرًا، بل رب حسد يكون محمودًا ، وهو الحسد في الخيرات .

* * *

سَ- هل ثبت أن النبي ﷺ سُحر ؟ اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على هذا وكيف تم دفعها ؟

ج : نعم قد ثبت ذلك في «الصحيحين» وفي غيرهما ، وقد قدمنا

شيئًا من ذلك في تفسيرنا لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ** ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وهذا مزيدٌ من القول في هذا الباب .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى « التفسير القيم » :

ففي« الصحيح»[1] : عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة «أن النبي ﷺ طُبَّ ، حتى إنه ليُخيَّل إليه أنه صنع شيئًا وما صنعه ، وإنه دعا ربه . ثم قال: «**أشعُرت أن اللَّه قد أفتاني فيما أستفتيه فيه ؟**» فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول اللَّه ؟ قال : «**جاءني رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ فقال أحدهما لصاحبه : ما وَجَعُ الرجل ؟ قال الآخر: مطبوب . قال : من طَبَّه ؟ قال : لَبيد بن الأعصم . قال : فيماذا ؟ قال : في مِشْط ومشاطة ، وجَفّ طَلْع ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في ذَرْوان ، بئر في بني زُريق**» . قالت عائشة رضي اللَّه عنها : فأتاها رسول اللَّه ﷺ ، ثم رجع إلى عائشة فقال : «**واللَّه لكأن ماءها نُقاعة الحنَّاء ، ولكأن نخلَها رءوس الشياطين**» . قالت : فقلت له : يا رسول اللَّه ، هلاَّ أخرجته ؟ قال : «**أما أنا فقد شفاني اللَّه ، وكرهت أن أثير على الناس شرًّا ، فأمر بها ، فدُفنت**» قال البخاري : وقال الليث وابن عيينة عن هشام «**في مِشْط ومِشاقة**» .

ويقال : إن المشاطة : ما يخرج من الشعر إذا مُشِط ، والمشاقة: من مشاقة الكتان .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢٣١/١٠) ومسلم (ص ١٧١٩) .

قلت : هكذا في هذه الرواية : أنه لم يخرجه ، اكتفاء بمعافاة اللَّه له ، وشفائه إياه .

وقد روى البخاري من حديث ابن عيينة قال : «أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثني آل عروة عن عروة . فسألت هشامًا عنه ؟ فحدثنا عن أبيه عن عائشة : كان رسول اللَّه ﷺ سُحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا ، فقال : **«يا عائشة ، أعلمت أن اللَّه قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طَبَّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، رجلٌ من بني زريق حليف اليهود . وكان منافقًا. قال : وفيم ؟ قال في مشط ومشاقة . قال : وأين ؟ قال : في جَفِّ طَلْع ذكر ، تحت راعوفَة في بئر ذَروان»** . قال : فأتى البئرَ حتى استخرجه . فقال : **«هذه البئر التي أُريتها ، وكأنَّ ماءها نُقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين»** . قال : فاستخرج . قالت . فقلت : أفلا - أي تَنَشَّرت - ؟ قال : **«أمَّا اللَّه فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا»**[1] .

ففي هذا الحديث : أنه استخرجه . وترجم البخاري عليه : باب هل يُستخرج السحر . وقال قتادة[2]: قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طَبٌّ ، ويؤخذَ عن امرأته أيُحَلَّ عنه ويُنْشَر ؟ قال : لا بأس به ، إنما

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٢٣٢).

(٢) ذكره البخاري معلقًا (فتح ١٠/ ٢٣٢) وذكر الحافظ هناك من وصله .

يريدون به الإصلاح . فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه[1].

(١) أخرج أحمد (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (حديث ٣٨٦٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال : «هو من عمل الشيطان» وسنده حسن .

قال الخطابي (النشرة) : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يُظن به مس الجن ، وحسن الحافظ ابن حجر سند هذا الحديث وقال : قال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال : لا بأس به ، وهذا هو المعتمد ، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله النشرة من عمل الشيطان إشارة إلى أصلها ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا وإلا فهو شر .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ما يؤيد النشرة منها حديث جابر عند مسلم مرفوعًا : «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» .

ثم ذكر رحمه الله أشياء يفعلها من حبس عن امرأته وهي أشياء لم ترد في سنة رسول الله ﷺ، ولكنها تدخل تحت باب من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

قال رحمه الله(فتح ١٠/٢٢٣) : وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله .

ثم ذكر عن حماد بن شاكر في ذلك أيضًا أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا ما حمي الفأس استخرجه من النار ، وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله .

وأما النشرة فإنه يجمع في أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماءً عذبًا ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله .

قلت : وهذه الأفعال كلها ليست واردة عن رسول الله ﷺ فمن جربها فنفعته فذلك الفضل من الله .

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله (الفتح ١٠/ ٢٣٥) عن ابن القيم قوله : من أنفع الأدوية =

فهذان الحديثان قد يظن في الظاهر تعارضهما . فإن حديث عيسى عن هشام عن أبيه : الأول فيه : أنه لم يستخرجه . وحديث ابن جريج عن هشام فيه «أنه استخرجه» ولا تنافي بينهما . فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه ، ثم دفنه بعد أن شفي . وقول عائشة : «هلا استخرجته ؟» أي هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه ؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك ، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك ، فيقع الإنكار ، ويغضب للساحر قومه ، فيحدث الشر . وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة. فأمر بها فدُفنت ، ولم يستخرجها للناس . فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة .

والذي يدل عليه : أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه . ولم يجئ لينظر إليها ثم ينصرف . إذ لا غرض له في ذلك . والله والله أعلم .

وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقًّى بالقبول

= وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان ممتلئًا من اللّٰه معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .

قال : وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها . انتهى ملخصًا.

قال الحافظ ابن حجر : ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده .

ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب ، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم .

بينهم . لا يختلفون في صحته . وقد اعتاصَ على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار . وقابلوه بالتكذيب ، وصنف بعضهم فيه مصنفًا مفردًا ، حمل فيه على هشام . وكان غاية ما أحسن القول فيه : أن قال : غلط ، واشتبه عليه الأمر ، ولم يكن من هذا شيء . قال : لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يُسْحَر . فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار : ﴿ **إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً** ﴾ [الفرقان: ٨] .

قالوا : وهذا كما قال فرعون لموسى : ﴿ **إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وكما قال قوم صالح له : ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٥٣] ، وكما قال قوم شعيب له : ﴿ **إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٨٥] .

قالوا : فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا . فإن ذلك ينافي حماية اللَّه لهم ، وعصمتهم من الشياطين .

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم . فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم ، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه . فما للمتكلمين وما لهذا الشأن ؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة . وقد اتفق أصحاب «الصحيحين» على تصحيح هذا الحديث ، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة . والقصة مشهورة عن أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء . وهؤلاء أعلم بأحوال رسول اللَّه وأيامه من المتسكلمين[1] .

---

(١) صوابه: المتكلمين .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حباب[1] عن زيد بن أرقم قال : سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا . قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك ، وعقدَ لذلك عقدًا . فأرسل رسول اللَّه ﷺ عليًا . فاستخرجها . فجاء بها ، فجعل كُلَّما حلَّ عقدة وجد لذلك خِفَّة . فقام رسول اللَّه ﷺ كأنما نَشِط من عقال . فما ذكر ذلك لليهودي ، ولا رآه في وجهه قط[2]. وقال ابن عباس وعائشة : كان غلام من اليهود يخدم رسول اللَّه ﷺ . فدنت إليه اليهود . فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ ، وعدَّة أسنان من مشطه . فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها ، وتولَّى ذلك لبيدُ بن الأعصم : رجلٌ من اليهود . فنزلت هاتان السورتان فيه[3].

قال البغوي : وقيل : كانت مغروزة بالإبر . فأنزل اللَّه عز وجل هاتين السورتين . وهما أحد عشر آية : سورة الفلق خمس آيات ، وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت القد

---

(١) صوابه : حيان .

(٢) **صحيح** ، وأخرجه النسائي رقم (٤٠٨٠) .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في «تفسيره» وعزاه إلى تفسير الثعلبي بدون ذكر إسناد ، وذكره مطولاً وقال في آخره هكذا أورده بلا إسناد فيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم واللَّه أعلم .

قلت : ولم أقف في شيء من الطرق الصحيحة على أن سحر النبي ﷺ كان سببًا لنزول المعوذتين واللَّه أعلم .

كلها . فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال[١]، قال : وروي أنه لبث فيه ستة أشهر[٢]، واشتد عليه ثلاثة أيام فنزلت المعوذتان[٣].

قالوا : والسحر الذي أصابه كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه اللّه منه . ولا نقص في ذلك ، ولا عيب بوجه ما . فإن المرض يجوز على الأنبياء. وكذلك الإغماء . فقد أغمي عليه ﷺ في مرضه[٤]،

---

(١)قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٥) : وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا فيه إحدى عشرة عقدة ، وأنزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .
وأخرج ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن عليًا وعمارًا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة . . فذكر نحوه .

(٢)أخرج أحمد بإسناد صحيح (٦/٦٣) عن عائشة رضي اللّه عنهما قالت : لبث رسول اللّه ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان . . . الحديث .
قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٦) . . ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي «فأقام أربعين ليلة» وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد «ستة أشهر» . ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يومًا من استحكامه .
تعليق على حديث السحر : قال الحافظ في «الفتح» (١٠/٢٢٦) : قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .
قال المازري : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما بلغه عن اللّه تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.
وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض . . . إلى آخر ما ذكره فليراجعه من شاء .

(٣)سبق أن نبهنا على أن سحر النبي ﷺ لم يكن سببًا لنزول المعوذتين .

(٤)أخرج البخاري في قصة وفاة النبي ﷺ من حديث عائشة رضي اللّه عنها (فتح ٨/١٣٦) =

ووقع حين انكفَّت قدمه وجُحِش شقَّه[1]، وهذا من البلاء الذي يزيده اللَّه به رفعة في درجاته ، ونيل كرامته . وأشد الناس بلاء الأنبياء[2]. فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به : من القتل ، والضرب ، والشتم ، والحبس . فليس ببدْع أن يُبتلَى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر ، كما ابتلي بالذي رماه فشجَّه[3]. وابتلي بالذي ألقى على ظهره السَّلا وهو ساجد[4]، وغير ذلك . فلا نقص عليهم . ولا عار في ذلك ، بل هذا من كمالهم ، وعلو درجاتهم عند اللَّه .

قالوا: وقد ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري: أن جبريل

= ومسلم (١٨٩٤) وفيه : فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة رضي اللَّه عنها غشي عليه . . الحديث .

(١) أخرج البخاري (فتح ١/ ١٧٣) ومسلم (ص ٣٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ ركب فرسًا فصرع عنه فجحش شقه الأيمن . . . الحديث» .

(٢) إسناده حسن وأخرجه الترمذي رقم (٢٣٩٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح قلت : وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة انظر : «الفتح» (١٠/ ١١١) .

(٣) أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه « **اشتد غضب اللَّه على قوم دمَّوا وجه نبي اللَّه ﷺ**» «فتح» (٧/ ٣٧٢) .

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا (ص ١٤١٧) .

وأخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول : «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى اللَّه عز وجل**» فانزل اللَّه عز وجل : ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ مسلم (ص ١٤١٧) .

(٤) أخرج البخاري (فتح ١٠/ ٣٤٩) ومسلم (١٤١٨) الحديث وفيه : أن المشركين قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه .

أتى النبي ﷺ فقال : « **يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك**»[1] فعوَّذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد، لما اشتكى . فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ ، وإلا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره .

وقالوا : وأما الآيات التي استدللتم بها فلا حجة لكم فيها .

أما قوله تعالى عن الكفار : إنهم قالوا : ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ [الفرقان: ٨] وقول قوم صالح وشعيب لهما : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٥٣] فقيل : المراد به من له سَحْر ، وهي الرِّئة ، أي إنه بشر مثلهم ، يأكل ويشرب ، ليس بملك ، وليس المراد به السحر .

وهذا جواب غير مرضٍ . وهو في غاية البعد . فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات. وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر ، فقالوا : ﴿**مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا**﴾ [يس: ١٥] و ﴿**أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا**﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿**أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً**﴾ [الإسراء: ٩٤] . وأما المسحور فلم يريدوا به ذا السَّحْر ، وهي الرئة . وأيُّ مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع ؟

ثم كيف يقول فرعون لموسى : ﴿**إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً**﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٧٠) وله شاهد من حديث عائشة (١٤/١٦٨) .

[الإسراء: ١٠١] أفتراه ما علم أن له سَحْرا ، وأنه بشر ؟

ثم كيف يجيبه موسى بقوله : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢] ولو أراد بالمسحور : أنه بشر لصدَّقه موسى ، وقال : نعم ، أنا بشر أرسلني اللَّه إليك ، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] فقالوا : ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] ولم ينكروا ذلك .

فهذا الجواب في غاية الضعف .

وأجابت طائفة ، منهم ابن جرير وغيره : بأن المسحور هنا هو معلَّم السحر الذي قد علمه إياه غيره . فالمسحور عنده : بمعنى ساحر، أي عالم بالسحر .

وهذا جيدٌ إن ساعدت عليه اللغة . وهو أن من عُلِّم السحر يقال له مسحور . ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال ، ولا في اللغة . وإنما المسحور من سَحَرَه غيره ، كالمطبوب والمضروب والمقتول وبابه . وأما من عُلِّم السحر فإنه يقال له : ساحر ، بمعنى أنه عالم بالسحر ، وإن لم يسحر غيره . كما قال قوم فرعون لموسى : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ففرعون قذفه بكونه مسحورًا ، وقومه قذفوه بكونه ساحرًا .

فالصواب : هو الجواب الثالث. وهو جواب صاحب «الكشاف» وغيره : أن «المسحور» على بابه . وهو من سُحر حتى جُنَّ . مسحور، مثل مجنون أي زائل العقل ، لا يعقل ما يقول . فإن

المسحور الذي لا يُتَّبع : هو الذي فسد عقله ، بحيث لا يدري ما يقول. فهو كالمجنون . ولهذا قالوا فيه : ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤] فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس ، فإنه لا يمنع ذلك من اتِّباعه . وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان ، وإنما قذفوهم بما يُحذِّرون به سفهاءهم من اتباعهم. وهو أنهم قد سُحروا ، حتىٰ صاروا لا يعلمون ما يقولون ، بمنزلة المجانين . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٩] مثَّلوك بالشاعر مرة ، والساحر أخرىٰ ، والمجنون مرة ، والمسحور أخرىٰ . فضلوا في جميع ذلك ضلال مَنْ يطلب في تِيهه وتحيُّره طريقًا يسلكه ، فلا يقدر عليه . فإنه أيَّ طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة . فهو متحير في أمره ، لا يهتدي سبيلاً ، ولا يقدر علىٰ سلوكها . فهكذا حال أعداء رسول اللَّه ﷺ معه ، حتىٰ ضربوا له أمثالاً ، برَّأه اللَّه منها . وهو أبعد اللَّه عنها[1]. وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان .

وأما قولكم : إن سحر الأنبياء ينافي حماية اللَّه لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم ، فيبتليهم بما شاء من أذىٰ الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته ، وليتسلىٰ بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس ، فرأوا ما جرىٰ علىٰ الرسل والأنبياء صبروا ورضوا ، وتأسّوا بهم ، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أعدَّ

---

(١) الذي يظهر «وهو أبعد واللَّه عنها» .

لهم من النكمال[1] العاجل ، والعقوبة الآجلة ، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانهم ، فيعجل تطهير الأرض منهم . فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم . وله الحكمة البالغة ، والنعمة السابغة لا إله غيره ، ولا رب سواه .

وقد دل قوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر ، وأن له حقيقة .

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم .

فصل

وقالوا : إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ، ولا قتل ، ولا حَلٍّ ، ولا عقد .

قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث . وما يعرفه عامة العقلاء .

والسحر الذي يُوثر مرضًا وثقلاً وعَقْدًا وحُبًّا وبغضًا ونزيفًا وغير ذلك من الآثار موجود ، تعرفه عامة الناس . وكثير منهم قد علمه ذوقًا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرًا ، كما يقوله هؤلاء . لم يكن

(١) صوابه النكال .

للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه .

وأيضًا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به ، مع أن هذا تغيير في إحساسهم ، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم ؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن ؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركًا ، والمتصل منفصلاً ، والميت حيًّا . فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضًا، والبغيض محبوبًا، وغير ذلك من التأثيرات . وقد قال تعالى عن سَحَرَة فرعون إنهم : ﴿**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأعراف: ١١٦] فبين سبحانه أن أعينهم سحرت . وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي ، وهو الحبال والعصيّ ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها ، وهي الشياطين . فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جَرَّ من لا تراه حصيرًا أو بساطًا فترى الحصير والبساط ينجر ، ولا ترى الجار له ، مع أنه هو الذي يجره ، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين ، فقلبتها كتقليب الحية . فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها ، والشياطين هم الذين يقلبونها . وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها . ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا ، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه ، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها .

وأما ما يقوله المنكرون : من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها ، مثل الزئبق وغيره ، حتى سَعَتْ فهذا باطل من وجوه كثيرة . فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً ، بل حركة حقيقية . ولم يكن ذلك سحرًا لأعين الناس ، ولا يسمى ذلك سحرًا، بل صناعة من الصناعات المشتركة . وقد قال تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ولو كانت تحركت بنوع حيلة ـ كما يقوله المنكرون ـ لم يكن هذا من السحر في شيء . ومثل هذا لا يخفى .

وأيضًا لو كان ذلك بحيلة ـ كما قال هؤلاء ـ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزيبق . وبيان ذلك المحال ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها .

وأيضًا : فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة ، بل يكفي فيها حذاق الصُّنَّاع . ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة ، وخضوعه لهم ، ووعدهم بالتقريب والجزاء .

وأيضًا : فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها .

وبالجملة : فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف رده ، فلنرجع إلى المقصود .

* * *

س ـ ما معنى الحسد ؟

ج ـ الحسد هو تمني زوال النعمة عن صاحبها [١].

* * *

س ـ هل هناك من الحسد ما هو مباح ؟

ج : نعم هناك من الحسد ما هو مباح ، وهو الذي يسميه العلماء الغبطة وهو أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي أنعم اللَّه بها على غيرك من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت في أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت في أمور الطاعات فهي مستحبة ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«لا حَسَدَ إلا في اثنتين : رجلٍ علَّمه اللَّه القرآن فهوَ يتْلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار فسمعه جارٌ لـه فقال : ليتني أُتيت مثلما أُوتيَ فلانٌ فَعَملتُ مثْلَ مـا يعمل ، ورجلٍ آتاه اللَّه مالاً فهو يُهلكه في الحق ، فقال رجلٌ ليتني أُوتيت مثل ما أوتي فلانٌ، فعملتُ مثل ما يَعْمل»** .

ومـا أخرجه البخاري ومسلم [٣] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«لا حَسَدَ إلا على اثْنَتين : رجلٌ آتاه اللَّه الكتابَ وقامَ به آناءَ الليل ، ورجلٌ أعْطَاه اللَّه مالاً فهو**

---

(١) وقد سبق لنا إيراد مزيد من الأقوال في تعريف الحسد وما يتعلق به في كتابنا «التسهيل» تفسير سورة البقرة (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ فما بعدها) فراجعه إن شئت .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٢٦) .

(٣) البخاري حديث (٥٠٢٥) ومسلم (حديث ٨١٥) .

يَتَصَدَّقُ به آناءِ الليلِ وآناءَ النهار» .

وما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنـه قال : قال النبي ﷺ : **«لا حسد [٢] إلا في اثنتين : رجل آتاه اللَّه مالاً فسُلِّط [٣] على هلكته في الحق [٤] ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها»** .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ومسلم (حديث ٨١٦) .

(٢) قوله : **«لا حسد»** أي : لا حسد محمود إلا في خصلتين ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه ، وقال النووي رحمه اللَّه (٢/ ٤٦٤) : والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ١/ ١٦٧) : وعبَّر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح .

(٤) أي : إنفاقه في الطاعات قاله النووي رحمه اللَّه .

قلت (مصطفى) : وفي هذا الحديث ما يدل على جواز التصدق بالمال كله وإنفاقه في وجوه الطاعاتُ ، وقد ورد أيضًا ـ مما يؤيد ذلك ـ مجيء أبي بكر بماله كله إلى رسول اللَّه ﷺ وقول النبي ﷺ : **«ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟»** قال : أبقيت لهم اللَّه ورسوله ، وهو حديث صحيح تقدم تخريجه ، وأيضًا قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤] فهذا وغيره يشعر بجواز التصدق بالمال كله ، لكن كيف يلتئم هذا مع قول رسول اللَّه ﷺ لسعد ـ لما سأله يا رسول اللَّه أوصي بمالي كله ؟ قال : **«لا»** قلت : فالشطر ؟ قال : **«لا»** قلت : الثلث ؟ قال : **«فالثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»** .
فوجه الجمع بين هذا وذاك ـ واللَّه أعلم ـ أن الإنفاق إنما يختلف باختلاف أحوال الناس ، فإذا كان المسلمون حيث يحتاج إلى إنفاق كل المال أنفق كله ، وإن كان الورثة سيتكففون الناس فحينئذ يتنزل حديث سعد رضي اللَّه عنه .

=

. . . .

= وإما أن يقال إن إبقاء الثلثين للورثة وإنفاق الثلث كل هذا تسليط على الإنفاق في الحق فللورثة حق أيضًا والله تعالى أعلم .

(١) **قيل في الحكمة جملة أقوال منها :**

١) القرآن وذلك لما ورد في روايات الأحاديث الأخرى . . **«ورجل آتاه الله الكتاب»** .

٢) السّنة .

٣) القرآن والسنة معًا والفقه في الدين ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه .

٤) السداد في القول والفعل .

٥) مواعظ القرآن لقوله تعالى : ﴿ **... وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣١] .

٦) الفهم والعلم لقول الله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ [مريم: ١٢] . ولقول النبي ﷺ لابن عباس : **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** وفي رواية : **«اللهم علمه الحكمة»** .

٧) النبوة لقول الله تعالى : ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [النساء: ٥٤] .

٨) وقيل : كل ما يمنع من القبيح ، ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم .:. إني أخاف عليكمو أن أغضبا

٩) وقيل : الحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١/ ١٦٧) :**

وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازًا ، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه ﴿ **فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٦] وإن كان في المعصية فهو مذموم ، ومنه **«ولا تنافسوا»** وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم ـ أو أفضل ـ من الغبطة في هذين الأمرين . ووجه الحصر : أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما ، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها ، ولفظ حديث ابن عمر **«رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»** والمراد بالقيام به العمل به مطلقًا أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ، ومن تعليمه ، والحكم والفتوى بمقتضاه فلا تخالف بين لفظي الحديثين ، ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي : =

وسائل دفع الحسد :

س ـ ما هي وسائل دفع الحسد عن المحسود ؟

ج : من وسائل دفع الحسد عن المحسود ما يلي :

أولاً : التوكل على اللَّه وقول : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ .

فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن اللَّه حسبه أي كافيه ، ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا

= **«رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه»** . ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته على أن الاستثناء منقطع ، والتقدير نفي الحسد مطلقًا لكن هاتان الخصلتان محمودتان ولا حسد فيهما فلا حسد أصلاً .

● **وقال النووي رحمه اللَّه** : المراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

● وفي «اللسان» (ص ٨٦٨): وسئل أحمد بن يحيى عن معنى هذا الحديث فقال : معناه: لا حسد لا يضر إلا في اثنين .

● **قال القرطبي رحمه اللَّه (٤/ ٧٠)** : وهذا الحسد (يعني الوارد في حديث : لا حسد إلا في اثنتين . . .) معناه الغبطة وكذلك ترجم عليه البخاري باب «الاغتباط في العلم والحكمة» وحقيقتها أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ومنه قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] .

يضره إلا أذىً لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا .

وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه ، قال بعض السلف : جعل اللَّه لكل عمل جزاءً من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على اللَّه حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره .

وفي «صحيح البخاري»[1] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل تكفي من كل شيء سواء من أذى ظاهر أو من عدوٍّ خفي أو من شر حاسدٍ أو إضلال شيطان أو غير ذلك .

ثانيًا :تقوى اللَّه سبحانه وتعالى :

● قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

---

(١)تقدم تخريجه .

فالصبر وتقوى اللَّه سبحانه وتعالى يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما : **«احفظ اللَّه يحفظك احفظ اللَّه تجده تجاهك ..»**(١) .

وكما قال ابن القيم رحمه اللَّه : فمن حفظ اللَّه حفظه اللَّه ووجده أمامه أينما توجه ومن كان اللَّه حافظه وأمامه فمن يخاف ومن يحذر ؟!!

● فإذا نزلت بالمؤمن مصيبة وحل به بلاء من اللَّه سبحانه وتعالى وصبر واتقى ابتغاء وجه اللَّه زالت شماتة الحاسد وازداد الحاسد حسرات وتمزقت نفسه وذهبت سدًى لما يراه من تجلد المؤمن وصبره .

ثالثًا : التعوذ باللَّه من شرِّ هذا الحاسد وكل حاسدٍ :

وذلك بقراءة المعوذات ففي سنن الترمذي والنسائي من حديث معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب عن أبيه قال : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللَّه ﷺ يُصلي لنا قال فأدركته فقال : **«قل»** . فلم أقل شيئًا ثم قال : **«قل»** فلم أقل شيئًا قال : **«قل»** فقلت : ما أقول قال : **«قل هو اللَّه أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء»**(٢) .

فما أعظم من التحصن بكتاب اللَّه وسنة مصطفاه ، واللجوء إلى اللَّه رب العالمين لدفع شر هذا الحاسد اللعين .

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) صحيح ، وقد تقدم .

قال ابن القيم رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الفلق ـ :

فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد فإنها تتضمن التوكل على اللَّه والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة ، فهو مستعيذ بولي النعم ومُوليها كأنه يقول يا من أولاني نعمته وأسداها إليَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني ، وهو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير ، وهو نعم المولى ونعم النصير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكلِّيته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر ، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾** [الطلاق: ٢، ٣] فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته فإن اللَّه بالغ أمره ، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر ومن لم يخفه أخافه من كل شيء ، وما خاف أحد غير اللَّه إلا لنقص خوفه من اللَّه ، قال تعالى : **﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾** [النحل: ٩٨ - ١٠٠] وقال : **﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ١٧٥] أي : يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم .

رابعًا : عدم إخبار الحاسد بنعمة اللَّه عليك :

ولذلك قال يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يوسف: ٥] .

ومن هذا الباب وصية رسول اللَّه ﷺ لمن رأىٰ رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا على من يحب ؛ ففي «الصحيحين» من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**الرؤيا الحسنة من اللَّه فإذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب** ..»[1] .

قلت : وذلك لأنه إذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضًا وإما حسدًا فقد تقع عن تلك الصفة ، فتُرك تحديث الحاسدين سدًّا لباب الشر الوارد منهم .

خامسًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود **فراغ قلب المحسود من الاشتغال بالحاسد** والفكر فيه ، قاله ابن القيم ، وقال رحمه اللَّه : وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية وأقوىٰ الأسباب المعينة على اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه ، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر وهكذا الأرواح سواء فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٤٣٠) ومسلم (ص ١٧٧٢) .

علق روحه وشَبَّثَها به ، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومنامًا لا يفتر عنه ، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما فإذا جبذ روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به وأن لا يخطره بباله فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضًا فإن الحسد كالنار فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضًا .

وهذا باب عظيم النفع لا يُلَقَّاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية ، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وَطيبه نعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به ، ولا يرى شيئًا آلم لروحه من ذلك ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التي رضيت بوكالة اللَّه لها وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها فوثقت باللَّه وسكنت إليه واطمأنت به ، وعلمت أن ضمانه حق ووعده صدق وأنه لا أوفى بعهده من اللَّه ، ولا أصدق منه قليلاً ، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا إلا بالسبب الآتي ألا وهو :

سادسًا : الإقبال على اللَّه والإخلاص له ، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه ، وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره

وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يستطيع قلبه انصرافًا عن ذكره ولا روحه انصرافًا عن محبته ، فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه مغمورًا بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه ؟! هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة اللَّه وإجلاله وطلب مرضاته ، بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه : إياك وحمى الملك اذهب إلى بيوت الحانات التي كل من جاء حل فيها ونزل بها ، ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليَزَك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور ، قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فقال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وقال : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] ، وقال في حق الصديق يوسف ﷺ : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] .

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل اليزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ، ولا ضيعة على من آوى إليه ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] .

سابعًا : الصبر على الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه (في بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود) :

الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً ، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على اللَّه ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر ، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه ، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله ، وقد قال تعالى : **﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾** [الحج: ٦٠] فإذا كان اللَّه قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه، بل بُغي عليه وهو صابر؟ وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم ، وقد سبقت سنة اللَّه : أنه لو بغى جبل على جبلٍ لجعل الباغي منهما دكًّا .

ثامنًا : الإحسان إلى الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه : وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من اللَّه ، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي ، والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذىً وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقةً، وما أظنك تُصدق بأن

هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه ، فاسمع الآن قوله عز وجل : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦] وقال : ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] ، وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «**اللهم اغفر**[1] **لقومي فإنهم لا يعلمون**» ، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإِحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه .

أحدها : عفوه عنهم ، والثاني: استغفاره لهم ، والثالث: اعتذاره

---

(١) ليس المراد مغفرة الشرك فإن الله عز وجل قال : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وإنما المراد ـ والله أعلم ـ مغفرة ما فعلوه به من جرح . أو يكون هذا قبل نزول الآية .
وانظر تحقيقنا لرسالة «تفسير المعوذتين» .

والذي في البخاري (مع «الفتح» ٦/ ٥١٤) ، ومسلم (ص ١٤١٧) وأحمد (١/ ٣٨٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» .
ليس فيها أن النبي ﷺ قال : «**اللهم اغفر لقومي**» .

ورواية «**اللهم اغفر لقومي**» عزاها الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٣١) إلى ابن حبان في «صحيحه» من رواية سهيل بن سعد ، قال ابن حبان : معنى هذا الدعاء الذي قاله يوم أحد لما شُجَّ وجهه أي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقًا ، إذ لو كان كذلك لأجيب ، ولو أجيب لأسلموا ، كذا قال ، وكأنه بناه على أنه لا يجوز أن يتخلف بعض دعائه على بعض أو عن بعض ، وفيه نظر لثبوت : «**أعطاني اثنتين ومنعني واحدة**» .

عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال : **«اغفر لقومي»** كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به : هذا ولدي ؛ هذا غلامي ؛ هذا صاحبي فهبه لي ، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به .

اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين اللَّه تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله ، فإذا كنت ترجو هذا من ربك وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ؟ ليعاملك تلك المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل اللَّه معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقًا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان وكما تفعل من عباده يفعل معك .

فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر اللَّه ومعيته[1] الخاصة

---

(١) المعية معيتان عامة وخاصة ؛ فالمعية العامة : كما في قوله تعالى : ﴿ ... **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [المجادلة: ٧]. أما المعية الخاصة : كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨] ، وكقوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقوله : ﴿ **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠] .

كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال : «**لا يزال معك من اللَّه ظهير ما دمت على ذلك**»[1] .

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجه قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر اللَّه عليه عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدام عسكرًا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعًا ولا خبزًا .

هذا مع أنه لابد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين ؛ إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه ، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة ، واللَّه هو الموفق والمعين بيده الخير كله لا إله غيره وهو المسئول أن يستعملنا في ذلك بمنه وكرمه .

قلت : ومن هذا الباب لو أن هناك رجلاً وسع اللَّه عليه وأعطاه أصناف المال والأولاد ذكورًا وإناثًا ، وله جار ضُيق عليه وأولاده محاويج فإذا رأى هذا الجار المحتاج جاره الموسع عليه كل يوم يدخل بصنوف الفاكهة وأنواع الطعام والشراب وأفخر اللباس على أولاده وزوجته ولا يُعطي هذا الفقير المحتاج شيئًا سيتجه بصره تلقائيًا إلى

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويُسيئون إليَّ وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال : «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ ولا يزال معك من اللَّه ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» .

حسده ، وخاصة إذا رأىٰ أولاده ينظرون إلىٰ أولاد ذلك الغني وإلىٰ ما في أيديهم ، أما إذا وقىٰ اللَّه هذا الغني شحَّ نفسه وتصدق علىٰ جاره وأكرمه فلا شك أن هذا الجارَ الفقير ـ في الغالب ـ سيشكر له صنيعه ويدعو اللَّه له بزيادة ما فيه من خير ، فحينئذ يندفع شر الحاسد بإكرامه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه في بيان أسباب دفع الحسد :

● الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفىٰ به فما تكاد العين والحسد والأذىٰ يتسلط علىٰ محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له العاقبة الحميدة ؛ فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من اللَّه جنةٌ واقية وحصن حصين، وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها ، ومن أقوىٰ الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتىٰ تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره لا أطفأها اللَّه ، فما حرس العبد نعمة اللَّه عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي اللَّه، وهو كفران النعمة وهو باب إلىٰ كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم علىٰ فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه ، وإن تأخرت مدة الظفر ، واللَّه المستعان .

تاسعًا : تجديد التوبة إلى اللَّه من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه :

قال ابن القيم رحمه اللَّه، وقال: فإن اللَّه تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠] وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٦٥] فما سُلِّط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم**»[1].

فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف ما يعلمه فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب .

ولقي بعضَ السلف رجل فأغلظ له ونال منه فقال له : قف حتى أدخل البيت ثم أخرج إليك فدخل فسجد للَّه وتضرع إليه وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج إليه فقال له : ما صنعت ؟ فقال : تبت إلى اللَّه من الذنب الذي سلطك به عليَّ ، وسنذكر - إن شاء اللَّه - أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه واللَّه يتولى

(١) الراجح لدينا ضعفه .

نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد ، فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلة نزلت به وما أحسن أثرها عليه ، ولكن التوفيق والرشد بيد اللَّه لا مانعٍ لما أعطى ولا معطي لما منع فما كل أحدٍ يوفق لمعرفة هذا ولا إرادة له ولا قدرة عليه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

عاشرًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود **اغتسال الحاسد** (أعني : غسل بعض أعضائه على ما سيرد) **وصب مائه على المحسود** .

● **ففي** «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ **أنه** قال : «**العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا**»[1] .

● وفي «سنن أبي داود» بإسناد صحيح عن عائشة قالت : كان يؤمر بالعائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين .

● **وأيضًا قد** تقدمت قصة عامر بن ربيعة من سهل بن حنيف وفيها: أن عامرًا غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة[2] إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه . فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

● **قال النووي في** «شرح مسلم»: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرقة فيتمضمض

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) قال عياض : المراد بداخلة الإِزار ما يلي الجسد مِن الإِزار ، وقيل : أراد موضع الإِزار من الجسد ، وقيل : أراد وركه لأنه معقد الإِزار . ، وقال المازري : المراد بداخلة الإزار الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، نقله الحافظ في «الفتح» .

بها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك في القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج ، وجمهور العلماء على ما قدمناه ، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه ، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه .

الحادي عشر : الرقية :

ومن أسباب دفع الحسد الرقية :

● ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟ فقال : «**نعم**» قال : باسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسدٍ[2] اللَّه يشفيك باسم اللَّه أرقيك . .

● وفيه من[3] حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : كان إذا

---

(١) مسلم (١٤/ ١٧٠) .

(٢) في رواية للترمذي: وعين حاسدةٍ بسم اللَّه أرقيك واللَّه يشفيك ، قال النووي في «شرح مسلم» : وقوله : (من شر كل نفس) قيل يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمي ، وقيل يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين ، وقال : رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه كما قال في الرواية الأخرى (من شر كل ذي عين) ويكون قوله : (أو عين حاسد) من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شكًا من الراوي في لفظه ، واللَّه أعلم .

(٣) مسلم (١٤/ ١٦٨) .

اشتكى رسول اللَّه ﷺ رقاه جبريل قال : باسم يبريك ومن كل داءٍ يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين .

● وتقدم حديث عائشة رضي اللَّه عنها وفيه : أن رسول اللَّه ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[1] .

● وفي «صحيح البخاري»[2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : «**إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة [3] ومن كل عين لامة [4]** » .

ثاني عشر : تجريد التوحيد :

ومن أسباب دفع الحسد تجرير التوحيد .

وقد ختم به ابن القيم رحمه اللَّه بحثه في أسباب دفع الحسد عن المحسود ، وقال : وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذي يحسن عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه ، قال تعالى : ﴿وإِن

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/١٩٩) ومسلم (١٤/١٨٣) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٨٨) .

(٣) الهامة : واحدة الهوام من ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة تهم بسوء . قاله الحافظ .

(٤) نقل الحافظ عن الخطابي قوله : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧] وقال النبي ﷺ لعبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما : **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه اللّه لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه اللّه عليك»**[١]

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه ، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه من اللّه بل يفرد اللّه بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد للّه محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل واللّه يتولى حفظه والدفع عنه فإن اللّه يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمنًا باللّه يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع اللّه عنه فإن كمل إيمانه كان دفع اللّه عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فاللّه له مرة ومرة ، كما قال بعض السلف: من أقبل على اللّه بكليته أقبل اللّه عليه جملة ، ومن أعرض عن اللّه بكلِّيته أعرض اللّه عنه جملة[٢]، ومن كان مرة ومرة فاللّه له مرة ومرة ، فالتوحيد حصن اللّه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين ، قال بعض السلف : من خاف اللّه خافه كل شيء ، ومن لم يخف اللّه أخافه من كل شيء .

- هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له

---

(١) تقدم .

(٢) هذا الأخير يحتاج إلى دليل ، وإن كان ديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد . . . وفيه قول رسول اللّه ﷺ : **«أما الآخر فأعرض فأعرض اللّه عنه»** ما يشهد لهذا المعنى .

أنفع من التوجه إلى اللَّه وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به ، وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه ، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخذل من جهته فمن خاف شيئًا غير اللَّه سلط عليه ومن رجا شيئًا سوى اللَّه خذل من جهته وحُرِم خيره، هذه سنة اللَّه في خلقه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين الحاسد والساحر ؟

ج : يتفق الساحر والحاسد في أشياء ويفترقان في أشياء أخرى .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

● والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما .

● ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم اللَّه عنهم ، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى له يسجد له حسدًا ، فالحاسد من جند إبليس .

● وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه وربما يعبده من دون اللَّه حتى يقضي له حاجته وربما يسجد له .

● **وقال ابن القيم في موطن آخر** : وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو فيكون

ذبحًا لغير اللَّه وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق ، والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سماه بما سماه فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه ، فمن سجد لمخلوق وقال ليس هذا بسجود له ، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة كما أقبلها بالنعم أو هذا إكرام لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير اللَّه فليسمه بما شاء ، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يُسم ذلك عبادة بل يسميه استخدامًا ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به .

والمقصود : أن هذا عبادة منه للشيطان وإنما سماه استخدامًا قال تعالىٰ : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] .

فهؤلاء وأشباههم عباد الجن والشياطين ، وهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة ولبئس المولىٰ ولبئس العشير فهذا أحد النوعين .

● والنوع الثاني : من يعينه الشيطان ، وإن لم يستعن هو به وهو الحاسد لأنه نائبه وخليفته لأن كليهما عدو نعم اللَّه ومنغصها علىٰ عباده .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين العائن والحاسد ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه :**

والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء .

فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته .

والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضًا .

ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال ، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين .

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللَّه ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته ، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه: خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها فما تبرح حتى تقع فتنحر ، وأورد رحمه اللَّه جملة أقوال ثم قال : والمقصود أن العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد ، ولهذا واللَّه أعلم إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولابد ، وليس كل حاسد عائنًا ، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن ، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللّٰه** : والعين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح ، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ، ويكون ذلك رقية منه .

قال ابن القيم رحمه اللّٰه ، في المستعاذ منه في سورة الفلق :

الشر الرابع : شر الحاسد إذا حسد ، وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود ، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه فإن اللّٰه تعالى قال: ﴿**وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق: ٥] فحقق الشر منه عند صدور الحسد ، والقرآن ليس فيه لفظة مهملة .

ومعلوم أن الحاسد لا يسمى حاسدًا إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك ، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه فيتأذى المحسود بمجرد ذلك فإن لم يستعذ باللّٰه ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى اللّٰه والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على اللّٰه وإلا ناله شر الحاسد ولابد فقوله تعالى : ﴿**إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق: ٥] بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل .

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ

وفيها : « **بسم اللّٰه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد اللّٰه يشفيك**» فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد .

ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه كما ينظر إلىٰ الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئًا ، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسمَّت واحتدت فصارت نفسًا غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة فأثرت في المحسود تأثيرًا بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد فربما أعطبه وأهلكه بمنزلة من فوَّق سهمًا نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلاً وربما صرعه وأمرضه ، والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر .

وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضَّت واحتدت فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث فتحدث فيها تلك الكيفية السمَّ فتؤثر في اللديغ ، وربما قويت تلك الكيفية ، واشتدت في نوع منها حتىٰ تؤثر بمجرد نظرة فتطمس البصر وتسقط الحبل كما ذكره النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين منها فقال : «**اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل**» فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية وانسمت وتوجهت إلىٰ المحسود بكيفيتها ؟ فاللّٰه كم من قتيل ؟ وكم من سليب ؟ وكم من معافىٰ عاد مضني علىٰ فراشه ، يقول طبيبه : لا أعلم داءه ما هو ؟ فصدق ليس هذا الداء من علم الطبائع ، هذا من علم الأرواح وصفاتها ، وكيفياتها ومعرفة

تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها .

وهذا علم لا يعرفه إلاخواص الناس ، والمحجوبون منكرون له ، ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه إلا من له نصيب من ذوقه ، وهل الأجسام إلا كالخشب الملقىٰ ؟ وهل الانفعال والتأثر وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة والآثار الغريبة إلا من الأرواح ، والأجسام آلتها بمنزلة الصانع ؟ فالصنعة في الحقيقة له ، والآلات وسائط في وصول أثره إلىٰ الصنع ، ومن له أدنىٰ مظنة وتأمل لأحوال العالم وقد لطفت روحه وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام وانفعالها عنها ، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم خالق الأسباب والمسببات رأىٰ عجائب في الكون وآيات دالة علىٰ وحدانية اللَّه وعظمة ربوبيته ، وأن ثمَّ عالمًا أخر تجري عليه أحكام أخر تشهد آثارها وأسبابها غيب عن الأبصار .

فتبارك اللَّه رب العالمين وأحسن الخالقين الذي أتقن ما صنع وأحسن كل شيء خلقه ولا نسبة لعالم الأجسام إلىٰ عالم الأرواح بل هو أعظم وأوسع وعجائبه أبهر وآياته أعجب . وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل ، وتلك الصنائع الغريبة ، وتلك الأفعال العجيبة ، وتلك الأفكار والتدبيرات ؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقي الهيكل سواء هو والتراب ؟ وهل يخاطبك من الإنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ويخفّ عليك أو يثقل

ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذي هو وراء الهكيل المشاهَد بالبصر ؟

• فربَّ رجل عظيم الهيولي كبير الجثة خفيفٌ على قلبك حلو عندك ، وآخر لطيف الخلقة صغير الجثة أثقل على قلبك من جبل ، وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها ، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها .

وبالجملة فالعُلَق والوُصَل التي بين الأشخاص والمنافرات والبُعد إنما هي للأرواح أصلاً والأشباح تبعًا .

❊ ❊ ❊

س ـ رجل حاسد للناس يريد أن يتخلص من الحسد الذي في قلبه ما هو الدواء المزيل لذلك ؟

ج : أما الدواء المزيل للحسد على الحاسد نفسه فيتلخص في **العلم والإيمان** ، فللحسد أضرار على الحاسد نفسه في الدنيا والآخرة إذا علمها ، وكان مؤمنًا بالله ولقائه ، مصدقًا بوعده ووعيده لانكف عن حسده ، وها نحن نبين بعض أضرار الحسد على الحاسد نفسه لعله يعرفها فينكف عن حسده ويدعو لإخوانه بالبركة وازدياد النعم .

أضرار الحسد على الحاسد في الآخرة :

الحاسد معترض على أقدار الله :

• إذا علم الحاسد أنه بحسده لأخيه المسلم إنما يعترض على

أقدار اللَّه ويكره حكم اللَّه وينازع ربه في قسمته التي قسمها لعباده فهو سبحانه الذي جعل هذا غنيًّا وجعل هذا ذكيًّا وجعل هذا عالمًا وأعطى هذا المال ورزق هذا العيال ، ووهب هذا الجاه ومكَّن هذا من السلطان، ورفع منصب هذا ، وكتب القبول لذاك و . . . فهو سبحانه الذي قدَّر المقادير وخلق كل شيء بقدر كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر: ٤٩] ، وكما قال نبيه ﷺ : «**كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**» [١] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[٢] ومن هذا قول اللَّه عز وجل للمشركين الذين قالوا : ﴿ **لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [الزخرف: ٣١] قال اللَّه سبحانه : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٥٤] .

فإذا علم الحاسد أنه بحسده معترض على أقدار اللَّه ، دفعه إيمانه ـ إن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ـ إلى ترك الحسد والاستعاذة باللَّه منه .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما . (مسلم ٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ، ومعنى الكيس : هو النشاط والحذق بالأمور وهو ضد العجز . (الحديث عند مسلم ٦٥٥) .

الحاسد متشبه بالمشركين :

● وإذا علم الحاسد أنه متشبه بالمشركين وبالمنافقين في تمنيهم الشر للمسلمين وزوال النعم عنهم كما قال تعالى : ﴿ **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا** ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وكما قال سبحانه : ﴿ **وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [آل عمران: ١١٨] ، وإذا علم المسلم أنه منهي عن التشبه بالمشركين في معتقداتهم وسمتهم ودينهم لترك حسد إخوانه المؤمنين منعًا لنفسه من أن يتورط مع من تشبه بهم في أخراه حيث سوء المصير .

الحاسد جندي من جند إبليس :

● وإذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يكون جنديًا من جند إبليس يسخره إبليس لإمضاء ما يريد في عباد اللَّه الصالحين لانكف عن حسده ، فمن ذا الذي يريد أن يكون جنديًا لإبليس اللعين ، وعدوًا للَّه رب العالمين معترضًا على قدره وشرعًا مسخطًا له مرضيًا لأوليائه الشياطين ؟ !!!

الحاسد مفارقٌ للمؤمنين :

● إذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يفارقهم في حبهم الخير بعضهم لبعض كما قال تعالى : ﴿ **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩] وأنه بمفارقتهم في الدنيا يوشك أن يفارقهم في الآخرة فمن أحب قومًا حشر معهم ، إذا علم ذلك لانزجر عن حسده .

الحاسد معذبٌ في الآخرة :

• إذا علم الحاسد ما سيحل به من عذاب اللَّه سبحانه في الآخرة ومن عقاب عظيم من جراء ما تقدم لانزجر وانكف عن حسده للناس واستغفر ربه من كل ما اقترفه على نفسه وجرَّه على المسلمين .

حسنات الحاسد تذهب للمحسود :

• وإذا علمت أيها الحاسد أن المحسود ينتفع بحسدك له في الآخرة فهو مظلوم منك فيأخذ من ديوان حسناتك ويُضم إلى ديوان حسناته ويطرح من ديوان سيئاته ويُحط على ديوان سيئاتك ، ولا سيما إذا أخرجت الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره فهي هدايا تهديها إليه وأنت لا تشعر والموفق من وفقه اللَّه .

أما الأضرار على الحاسد في الدنيا فمنها - كما لخصه أهل العلم - :

الحاسد دائمًا في الهم والحزن :

• أن الحاسد بسبب الحسد لا يزال في الهم والحزن والنكد والكمد والناس ينعم اللَّه عليهم بأنواع من النعم دائمًا فلا يزال الحاسد يعذب بكل نعمة يراها على الناس ويتألم بكل بلية تنصرف عنهم فيبقى أبدًا مغمومًا مهمومًا ، فاللَّه ينعم على العباد وقلبه يتمزق غيظًا ، واللَّه يصرف البلايا عن العباد وعقله يتشتت كمدًا ونفسه تذهب حسرات على ما فات الناس من البلايا، فهو بهذا قد حصل له ما أراد حصوله لأعدائه

المحسودين فلم يتأثروا بشيء مما أراده لهم بفضل اللَّه وارتد كيده على نفسه وجاء تدميره في تدبيره .

● ثم إن هذا الغم والهم إذا استولى عليه أمرض بدنه وأزال الصحة عنه وأنزله في الوساوس وأوقعه في شراكها ونغص عليه لذة الطعام والشراب .

الحاسد قد يتمنى لنفسه البلاء :

● ثم إن الحاسد ـ وهو لا يدري ـ قد يتمنى لنفسه البلاء بحسده للناس فقد تكون النعمة التي يعيش الناس في كنفها ابتلاء من اللَّه سبحانه وتعالى لهم ، وقد عافاه اللَّه من ذلك الابتلاء فيتمناه لنفسه ، وأيضًا إذا رزق هو هذه النعم وزفت إليه وجوه الإحسان لم ينفك عن حاسد يحسده فلو أذهب اللَّه النعمة عنك لحسده لك فقد زالت عنك نعم في الدين والدنيا، نعم الدين زالت عنك لحسدك الناس ونعم الدنيا زالت عنك لحسد الناس لك ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .

الحاسد تنزل عليه البلايا :

● ثم إن الحاسد تنزل عليه البلايا في الدنيا لهذه الكبيرة قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

الحاسد مكروه عند الخلق :

● ثم إن الحاسد يكون مذمومًا عند الخلق مكروهًا بينهم لما

يعلمون من كراهيته لهم .

مثال للحاسد مع المحسود :

● ومن مضار الحسد كما ذكره الرازي حيث قال : إنك عساك تحسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين اللَّه وتكشف خطأه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتىٰ لا يتكلم أو يمرض حتىٰ لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد علىٰ ذلك ، وأي مرتبة أخس من هذه ، وقد ظهر من هذه الوجوه أيها الحاسد أنك بمثابة من يرمي حجرًا علىٰ عدوٍ ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلىٰ حدقته اليمنىٰ فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ويرميه ثانيًا أشد من الأول فيرجع الحجر علىٰ عينه الأخرىٰ فيعميه فيزداد غيظه ويعود ثالثًا فيعود علىٰ رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل الأحوال ، والوبال راجع إليه دائمًا وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه ، بل حال الحاسد أقبح من هذا لأن الحجر العائد لم يفوت إلا العين ولو بقيت لفاتت بالموت ، وأما حسده فإنه يسوق إلىٰ غضب اللَّه وإلىٰ النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن يبقىٰ له عين ويدخل بها النار فانظر كيف انتقم اللَّه من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فما أزالها عنه ثم أزال نعمة الحاسد تصديقًا لقوله تعالىٰ : ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣] فهذه الأدوية العلمية ، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد ، وأما العمل النافع فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد فإن بعثه الحسد علىٰ القدح فيه كلَّف لسانه المدح له ،

وإن حمله على التكبر عليه كلَّف نفسه التواضع له ، وإن حمله على قطع أسباب الخير عنه كلف نفسه السعي في إيصال الخيرات إليه ، فمهما عرف المحسود ذلك طاب قلبه وأحب الحاسد ، وذلك يفضي آخر الأمر إلى زوال الحسد من وجهين :

الأول : أن المحسود إذا أحب الحاسد فعل ما يحبه الحاسد فحينئذ يصير الحاسد محبًّا للمحسود ويزول الحسد حينئذ .

الثاني : أن الحاسد إذ أتى بضد موجبات الحسد على سبيل التكلف يزيل ذلك بالآخرة طبعًا له فيزول الحسد عنه .

* * *

س ـ اذكر بعض أسباب الحسد وأسباب اشتداده ؟

ج : **أما أسباب الحسد** فقد ذكرناها في تفسير سورة البقرة بالتفصيل عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ...** ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، وهي على وجه الاجمال ما يلي :

١ ـ العداوة والبغضاء .

٢ ـ حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح .

٣ ـ الشح بالخير على العباد .

٤ ـ ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه .

٥ ـ خوف المزاحمة وفوت المقاصد .

٦ ـ حب تسخير البشر للنفس .

وفصلنا القول فيها هناك .

أما أسباب اشتداد الحسد فمنها ما يلي :

(١) **المجاورة والمخالطة** سواء في المعاشرة المنزلية أو في الأعمال المهنية أو في الرواتب الوظيفية أو الكوادر التنظيمية أو غير ذلك .

فترى التاجر يحسد التاجر ، ويزداد حسد التاجر للتاجر الذي يتاجر في نفس سلعته ، فرب رجل يبيع الطيب مثلاً يكسب في اليوم خمسمائة ريال مثلاً وبجانبه تاجر السيارات المرسيدس يكسب في اليوم الواحد مثلاً خمسمائة ألف ريال فلا يتجه نظره كثيرًا إليه ولا ينصب حسده في الغالب عليه لكنه ينصب على تاجرٍ للطيب يكسب في اليوم الواحد ألف ريال .

وكذلك الطبيب يحسد الطبيب ويزداد حسده للطبيب الذي هو في نفس تخصصه فينظر إلى عدد المرضى المقبلين عليه للعلاج ويعدهم عليه عدًا وينظر كم شُفي على يديه وكم باء بالفشل في علاجه وهكذا .

وكذلك الزراع مع بعضهم ينظر إلى أرض صاحبه وكم أدخلت ، وكذلك سائر الصناع ، حتى الإسكاف (الذي يصلح للناس نعالهم) يحسد الإسكاف مثله ، ويكون بجواره مثلاً صاحب صيدلية يكسب ألف

ضعف ما يكسبه الإسكاف ويتحصل عليه لكن لا يتجه بصر الإسكاف بالدرجة الأولى إلا لمن هو مثله .

وكذلك الزوجة تحسد أم زوجها (حماتها) لأنها ترى أنها تأخذ قسطًا من حنان زوجها لكن إذا تزوج الزوج بثانية سرعان ما يتحول الحسد إلى الضرة الجديدة(١) لأنها تنازع في شيء لا تنازع فيه أم الزوج ألا وهو الجماع وسائر متعلقات الزوجية .

وكذلك الجار يحسد جاره وينظر إلى بنيانه هل ارتفع فوقه أم لا ، وعلى قدر النعمة التي أنعم اللَّه بها على الجار يزداد حسد الآخر له (إلا من رحم ربي) .

وكذلك بعض من أوتي علمًا (إذا كان لا يريد بعلمه الدار الآخرة) يحسد من منّ اللَّه عليه بعلم ، ومن هذا حسد أهل الكتاب لرسول اللَّه ﷺ فترى العالم يحسد العالم (إلا من رحم اللَّه) وكذلك العابد يحسد العابد (وذلك في أوساط العباد) .

وكذلك سائر أنواع المخالطات ، خطاط يحسد خطاطًا ، نجار يحسد نجارًا ، حداد يحسد حدادًا .

وهكذا كلما اشتدت المجاورة كلما اشتد لهيب الحسد عند كثير

---

(١) قالت أم رومان رضي اللَّه عنها لعائشة ابنتها أم المؤمنين رضي اللَّه عنها ـ كما في حديث الإفك : فواللَّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، وفي رواية الترمذي ـ وسندها صحيح ـ ، إلا حسدنها ، وفي «سنن الترمذي» من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : ما حسدت أحدًا ما حسدت خديجة . . .

ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

٢ - ومن أسباب اشتداد الحسد **شدة البغي وكثرة التطاول على العباد** فكلما اشتد بغي الباغي وازداد كبره وتطاوله كلما تمنى له المظلوم زوال النعمة وتحولها عنه وكلما رأى الناس في شخص من الأشخاص زيادة في الكبر والترفع عليهم رغبوا في تحول النعمة عنه ونزول البلايا به دفعًا لغطرسته عليهم .

٣ - ومن أسباب اشتداده أيضًا **شدة البخل** ، فإذا رأى الناس في الرجل بخلاً وعدم إحسان إليهم رغبوا في زوال النعمة وتحولها عنه ، وإن لم تحصل لهم ، فهب أن جارًا وسع الله عليه وكان بخيلاً على الناس وكل يوم يدخل على أولاده بأصناف الفاكهة ، وأولاد الجيران ينظرون إليه ولا يهمه إلا بطنه وأولاده ؛ فيتأذى جاره لأذى أولاده المحرومين الناظرين إلى جارهم الثري البخيل عليهم ، فمن ثم يتمنى الجار لجاره زوال النعمة وتحولها عنه ، أما إذا دخل الرجل بيته فوجد جاره الثري وقد أرسل إليه بهدية له ولأولاده فمن ثم سيدعو له بالبركة وبالسعة والزيادة والحفظ ، ولكن ما يعقل ذلك إلا العالمون .

* * *

س - هل يحسد المؤمن ؟

ج : نعم قد يحسد المؤمن أخاه ، ومن ثم قال نبي الله الكريم يعقوب لولده يوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ**

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ ... **لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾** [يوسف: ٨، ٩] .

وتقدم حديث عامر بن ربيعة وكيف اتجه بعينه إلىٰ سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه قائلاً : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، وفي رواية : ولا جلد عذراء ، وما نزل بسهل من وراء ذلك ، وكلاهما صحابي رضي اللَّه عنهما .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها تأثير الحسد والعين ؟

ج : من ذلك ما ورد في «مسند الإمام» أحمد و«سنن النسائي» و«موطأ مالك» و«سنن ابن ماجة» وغيرها بإسناد صحيح إلىٰ أبي أمامة ابن سهل بن حنيف قال : رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل[١] فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلُبِطَ سهل فأُتي رسول اللَّه ﷺ فقيل : يارسول اللَّه هل لك في سهل بن حنيف ، واللَّه ما يرفع رأسه[٢] فقال : «**هل تتهمون له أحدًا**» قالوا : نتهم عامر بن ربيعة قال : فدعا

(١) هذا وإن كان ظاهره الإرسال لأن أبا أمامة تابعي لم يشاهد الواقعة إلا أنه في بعض الطرق عند النسائي وأحمد صرح بأنه أخذ ذلك عن أبيه فثبت الاتصال وصح الحديث والحمد للَّه .

(٢) في بعض الروايات. . واللَّه ما يرفع رأسه وما يفيق ، وفي رواية : أدرك سهلاً صريعًا ، وفي رواية : أن عامر بن ربيعة قال : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال فوعك سهل مكانه واشتد =

رسول اللَّه ﷺ عامرًا فتغيظ عليه وقال : **«علام يقتل أحدكم أخاه ألا برَّكت[1] ؟! اغتسل له»** فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ رأى بوجهها سفعة [3] فقال : **«بها نظرة فاسترقوا لها»** يعني : بوجهها صفرة .

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين[4] .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : رخص النبي ﷺ لآل حزمٍ في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس : **«ما لي أرىٰ أجسام بني أخي[5] ضارعة[6] تصيبهم الحاجة ؟ »** قالت : لا ولكن العين تسرع إليهم قال : **«ارقيهم»** قالت : فعرضت

= وعكه فأُتي رسول اللَّه ﷺ فأُخبر أن سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يا رسول اللَّه . .

(1) وفي رواية : «إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة» .

(2) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧) .

(3) السفعة : التغير والسواد ، أو لون يخالف لون الوجه .

وقد انتقد الدارقطني رحمه اللَّه هذا الحديث .

(4) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٩) ومسلم (١٤/ ١٨٤) .

(5) يعني أبناء جعفر .

(6) ضارعة أي نحيفة ، والحديث عند مسلم (١٤/ ١٨٥) .

عليه فقال : «**ارقيهم**» .

● وفي «الصحيحين»[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**العين حق**» .

***

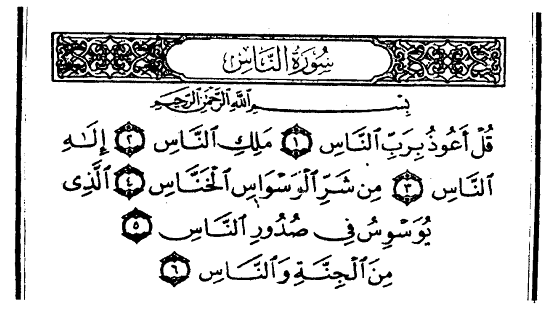
س ـ هل ورد شيء عن رسول اللَّه ﷺ في النهي عن الحسد ؟

ج : نعم قد ورد ذلك فقد نهى رسول اللَّه ﷺ أمته عن التحاسد ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا**[2] **ولا تجسسوا ولا تنافسوا**[2] **ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا**» .



(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٢٠٣) ومسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه** : التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم ، وبالجيم البحث عن العورات وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشر ، والجاسوس : صاحب سر الشر ، والناموس : صاحب سر الخير ، وقيل بالجيم أن تطلبه لغيرك ، وبالحاء أن تطلبه لنفسك . قال النووي رحمه اللَّه : وأما المنافسة والتنافس فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به ونافسته منافسة إذا رغبت فيما رغب فيه ، وقيل معنى الحديث : التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها .



س ـ اذكر معنى ما يلي :

إله ـ الوسواس ـ الخفاش ـ يوسوس ؟

ج :

الكلمة	معناها
إلـــــــه	معبود (الذي له العبادة الحقة دون من سواه)
الوسواس	الوسواس هو الشيطان ، والوسوسة هي الحديث الخفي وهي الحديث سرًا في الأُذن أيضًا ، ومنه وسوسة الحلي ، والوسواس أيضًا كثير الوسوسة
الخنـــاس	الشيطان يخنس عند ذكر اللّه عز وجل أي يختفي ، والخناس كثير الاختفاء

الكلمة	معناها
يوسوس	يحدث في النفس

* * *

س ـ ما هو الشر المستعاذ منه في هذه السورة (سورة الناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها . وهو الشر الداخل في الإنسان ، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة .

فسورة الفلق : تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد . وهو شر من خارج .

وسورة الناس : تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل .

فالشر الأول : لا يدخل تحت التكليف ، ولا يطلب منه الكف عنه . لأنه ليس من كسبه .

والشر الثاني في سورة الناس : يدخل تحت التكليف ، ويتعلق به النهي . فهذا شر المعائب . والأول شر المصائب . والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما .

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات . وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة .

* * *

س ـ لماذا قيل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] مع أنه رب الخلق أجمعين ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم[1] ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم .

وانظر ما قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

وطرح ابن الجوزي هذا السؤال في «زاد المسير» فقال :

فإن [قيل] : لم خص الناس هاهنا بأنه ربُّهم ، وهو ربُّ كل شيء ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : لأنهم معظَّمون متميزون على غيرهم .

والثاني : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شَرِّهم أعلم أنه ربهم ، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم . ولما كان في الناس ملوك قال [عز وجل] : ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٢] ولما كان فيهم من يعبد غيره قال [عز وجل] : ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣] .

---

(١) كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ...﴾ [الإسراء: ٧٠] .

س ـ وضح معنىٰ هذه الإضافات الثلاث ﴿رَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ بشيء من التفصيل ؟

ج : **أفاد في ذلك وأجاد ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ في «التفسير القيم» ، فقال رحمه اللَّه :**

وأما المستعاذ به : فهو اللَّه ﴿**رَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ**﴾ فذكر ربوبيته للناس ، وملكه إياهم ، وإلهيته لهم ، ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، كما تقدم .

فنذكر أولاً معنىٰ هذه الإضافات الثلاث . ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة فنقول :

الإضافة الأولىٰ : إضافة الربوبية المتضمنة لحقهم وتدبيرهم ، وتربيتهم ، وإصلاحهم ، وجلب مصالحهم ، وما يحتاجون إليه ، ودفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم . هذا معنىٰ ربوبيته لهم . وذلك يتضمن قدرته التامة . ورحمته الواسعة ، وإحسانه ، وعلمه بتفاصيل أحوالهم ، وإجابة دعواتهم ، وكشف كرباتهم .

الإضافة الثانية : إضافة الملك : فهو ملكهم المتصرف فيهم : وهم عبيده ومماليكه ، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء ، النافذ القدرة فيهم ، الذي له السلطان التام عليهم ، فهو ملكهم الحق: الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب ، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم . فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره فليس لهم ملك غيره

يهربون إليه إذا دهمهم العدو ، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم.

الإضافة الثالثة : إضافة الإلهية : فهو إلههم الحق ، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره . فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم ، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكًا في إلهيته ، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه .

وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة .

وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا . فلا مفزع لنا في الشدائد سواه . ولا ملجأ لنا منه إلا إليه . ولا معبود لنا غيره . فلا ينبغي أن يُدْعَىٰ ولا يخاف ولا يرجىٰ ، ولا يُحَب سواه ، ولا يُذَلُّ لغيره ، ولا يخضع لسواه ، ولا يتوكَّل إلا عليه ، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه : إما أن يكون مُربِّيك والقيم بأمورك ، ومتولي شأنك وهو ربك ، فلا رب سواه ، أو تكون مملوكه وعبده الحق ، فهو ملك الناس حقًّا ، وكلهم عبيده ومماليكه ، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين ، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلىٰ حياتك وروحك ، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه .

فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه ، ولا يلجأوا إلىٰ غير حماه ، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم ،

فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة : من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة ، وأشدهم ضرراً ، وأبلغهم كيداً .

ثم إنه سبحانه كرر الاسم الظاهر ، ولو يوقع المضمر موقعه ، فيقول : رب الناس وملكهم وإلههم : تحقيقًا لهذا المعنى ، وتقوية له. فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه ، ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة .

والمقصود : الاستعاذة بمجموع هذه الصفات ، حتى كأنها صفة واحدة .

وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب .

وأخر الإلهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إله مَنْ عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهًا . فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه . وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه ، ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره باطلاً .

ووسَّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره . فهو المطاع إذا أمر . وملكه لهم تابع لخلقه إياهم . فملكه من كمال ربوبيته . وكونه إلههم الحق من كمال ملكه . فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه ، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها ، فهو الرب

الحق، الملك الحق ، الإله الحق ، خلقهم بربوبيته ، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته .

فتأمل هذه الجلالة ، وهذه العظمة ، التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام ، وأحسن سياق ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ .

وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان ، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى .

أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى: فإن الرب هو القادر الخالق، البارئ المصور ، الحي القيوم ، العليم السميع البصير ، المحسن المنعم ، الجواد المعطي . المانع ، الضار النافع ، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويسعد من يشاء ، ويشقي من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ـ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى .

وأما الملك : فهو الآمر الناهي ، المعز المذل ، الذي يصرِّف أمور عباده كما يحب ، ويقلِّبهم كما يشاء . وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى ، كالعزيز ، الجبار المتكبر ، الحسيب المجيد ، الوالي المتعالي ، مالك الملك المقسط الجامع ـ إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك .

وأما الإله : فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال . فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى . ولهذا كان القول

الصحيح : أن «اللَّه» أصله الإله . كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم ، وأن اسم اللَّه تعالىٰ هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ . فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنىٰ . فكان المستعيذ بها جديرًا بأن يعاذ ويحفظ . ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه .

وأسرار كلام اللَّه أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر . وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها علىٰ ما وراءه ، وأن نسبة باديه إلىٰ الخافي يسير .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

فجاء بالملك والإله للدلالة علىٰ العموم ، في معنىٰ رب الناس ، فهو سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ، ولكن إضافته هنا إلىٰ خصوص الناس إشعار بمزيد اختصاص ، ورعاية الرب سبحانه لعبده الذي دعاه إليه ليستعيذ به من عدوه ، كما أن فيه تقوية رجاء العبد في ربه بأنه سبحانه بربوبيته سيحمي عبده لعبوديته ويعيذه مما استعاذ به منه .

ويقوي هذا الاختصاص إضافة الرب للرسول ﷺ في جميع أطواره منذ البدأين : بدء الخلقة وبدأ الوحي ، في قوله : ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)**﴾ [العلق: ١، ٢]، ثم في نشأته ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ** ـ إلىٰ قوله ـ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ**﴾ [الضحى: ٣ - ٨] .

وجعل الرغبة إليه في السورة بعدها : ﴿**وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾

[الشرح: ٨] بعد تعداد النعم عليه من شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، ثم في المنتهى قوله : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [العلق: ٨] .

قوله تعالى : ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [الناس: ٢] في مجيء ملك الناس بعد رب الناس ، تدرج في التنبيه على تلك المعاني العظام ، وانتقال بالعباد من مبدإ الإيمان بالرب لما شاهدوه من آثار الربوبية في الخلق والرزق ، وجميع تلك الكائنات ، كما تقدم في أول نداء وجه إليهم ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] .

كل هذه الآثار لمسوها وأقروا بموجبها ، بأن الذي أوجدها هو ربهم ، ومن ثم ينتقلون إلى الدرجة الثانية ، وهي أن ربه الذي هذه أفعاله هو ملكه وهو المتصرف في تلك العوالم ، وملك لأمره وجميع شئونه ، ومالك لأمر الدنيا والآخرة جميعًا .

فإذا وصل بإقراره إلى هذه الإدراك ، أقر له ضرورة بالألوهية وهي المرتبة النهاية . إله الناس أي مألوههم ومعبودهم وهو ما خلقهم إليه ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وفي إضافة الملك إلى الناس من إشعار الاختصاص ، مع أنه سبحانه ملك كل شيء، فيه ما في إضافة الرب للناس المتقدم بحثه، فهو سبحانه مالك الملك كما في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

﴿الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١] .

وقوله : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢] وقوله : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣] .

فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالملك لا شريك له في ملكه ، كما قال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١] فبدأ بالحمد أولاً .

ومثله قوله : ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] بدأ بتسبيح نفسه وتنزيهه لعموم الملك ومطلق التصرف ونفي الشريك لأن ملكه ملك تصرف وتدبير مع الكمال في الحمد والتقديس .

وكقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] .

وبهذه النصوص يعلم كمال ملكه تعالى ، ونقص ملك ما سواه من ملوك الدنيا ، ونعلم أن ملكهم بتمليك اللَّه تعالى إياهم كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

وقوله : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ومن المعلوم أن ملوك الدنيا ملكهم ملك سياسة ورعاية ، لا ملك تملك وتصرف ، وكما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

والجدير بالتنبيه عليه بهذه المناسبة أن «بريطانيا» تحترم نظام الملكية إلى هذا الوقت الحاضر ، بدافع من هذا المعتقد ، وأنه لا مالك إلا بتمليك اللَّه إياه ، وأن ملوك الدنيا باصطفاء من اللَّه .

والآية تشير إلى ما نحن بصدد بيانه ، من أن ملوك الدنيا لا يملكون أمر الرعية لأن طالوت ملكًا [1]، وليس مالكًا لأموالهم .

بينما ملك اللَّه تعالى ملك خلق وإيجاد وتصرف ، كما في قوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] .

وعليم قدير هنا من خصائصه سبحانه وتعالى ، فيتصرف في ملكه بعلم وعن قدرة كاملين سبحانه ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وتظهر حقيقة ذلك إذا جاء اليوم الحق ، فيتلاشى كل ملك قلَّ أو كثر ، ويذل كل ملك كبر أو صغر ، ولم يبق إلا ملكه تعالى يوم هم بارزون ، لا يخفى على اللَّه منهم شيء ، لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار .

---

(١) صوابه : ملكٌ .

وفي سورة الفاتحة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

والقراءة الأخرىٰ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

في القراءتين معًا إشعار بالفرق بين ملك اللَّه وملك العباد ، كالفرق بين الملك المطلق والملك النسبي ، إذ الملك النسبي لا يملك. والملك المطلق فهو الملك القدوس ، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الخلائق كلهم .

ومن كانت هذه صفاته ، فهو المستحق لأن يعبد وحده سبحانه ، ولا يشرك معه أحد ، وهذا هو شعار العبد في الركن الخامس من أركان الإسلام ، حين يهلّ بالتلبية : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

* * *

س ـ بدأ باسم الرب سبحانه وتعالىٰ في قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ..﴾ [الناس: ١] والرب اسم لمن قام بتدبير الأمور وإصلاحها ولمن قام بالتربية والحفظ إلىٰ غير ذلك من مدلولات كلمة الرب ومعانيها فلماذا لم يقتصر علىٰ ذكر ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وقال سبحانه : ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢ - ٣] ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وقوله : ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] عطف بيان جيء به لبيان أن رتبته سبحانه ليست كرتبة سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم

بـل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر ، وقد أجمع جميع القـراء في هذه السورة على إسقاط الألف بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى .

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣] هو أيضًا عطف بيان لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد والإعدام .

وأيضًا الرب قد يكون ملكًا وقد لا يكون ملكًا كما يقال رب الدار، ورب المتاع ، ومنه قوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فبين أنه ملك الناس ، ثم المالك قد يكون إلهًا وقد لا يكون فبين أنه إله لأن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد .

* * *

س ـ وضح معنى الوسواس ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم »** :

إذا عرف هذا ، فالوسواس : فَعْلال من وَسْوَسَ .

وأصل الوسوسة : الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس ، فيحترز منه .

فالوسواس : الإلقاء الخفي في النفس ، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه ، وإما بغير صوت ، كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا : وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن .

والظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أنها سميت وسوسة لقربها ، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس . وهو الأذن . فقيل : وسوسة الحلي . لأنه صوت مجاور للأذن ، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له .

ولما كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس ، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها . فقالوا : وسوس وسوسة . فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه .

ونظير هذا : ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، والغليان ، والنزوان ، وبابه .

ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك ، وقلقل ، وكبكب الشيء ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، وكذلك الدكدكة ، والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء : إذا كبه في مكان بعيد ، فهو يُكَبُّ فيه كبًّا بعد كب كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٤] ومثله : رَضْرَضَهُ إذا كرر رَضَّه مرة بعد مرة . ومثله : ذَرْذَرَهُ ، إذا ذره شيئًا بعد شيء . ومثله : صَرْصَرَ الباب : إذا تكرر صريره ، ومثله : مَطْمَطَ الكلام : إذا مططه شيئًا بعد شيء ، ومثله : كفكف الشيء : إذا كرر كفَّه ، وهو كثير .

وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب ، لأن الثلاثي لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعي المكرر،

فإذا قلت : ذَرّ الشيء وصر الباب ، وكفّ الثوب ، ورض الحبّ : لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف ذرذر ، وصرصر ، ونحوه .

فتأمله ، فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني ، وقد تقدم التنبيه على ذلك ، فلا وجه لإعادته .

وكذلك قولهم: عَج العجل: إذا صوت. فإن تابع صوته، قالوا : عجعج . وكذلك ثَّجّ الماء إذا صُبّ . فإن تكرر ذلك قيل ثجثج.

والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها ، قيل: وسوس .

* * *

س ـ لماذا وصف الشيطان بالخناس ؟

ج : قال بعض أهل العلم : ووصف الشيطان بالخناس لأنه كثير الاختفاء (أي : عند ذكر اللَّه عز وجل) ، ومنه قوله تعالى : ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**﴾ [التكوير: ١٥] يعني : النجوم لاختفاها بعد ظهورها . وقيل : الخناس اسم لإبليس كالوسواس . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر معنى الخناس بشيء من التفصيل ؟

ج : **أحسن ابن القيم رحمه اللَّه تعالى القول في هذا الباب** [1]

---

(١) التفسير القيم .

فقال رحمه اللَّه :

وأما الخناس : فهو فعَّال ، من خنس يخنس: إذا توارىٰ واختفىٰ.

ومنه قول أبي هريرة : لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة ، وأنا جنب . فانخنست منه[1].

وحقيقة اللفظ : اختفاء بعد ظهور ، فليست لمجرد الاختفاء . ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] قال قتادة : هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار ، فتختفي ولا ترىٰ . وكذلك قال علي رضي اللَّه عنه : هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترىٰ .

وقالت طائفة الخنَّس : هي الراجعة التي ترجع كل ليلة إلىٰ جهة المشرق ، وهي السبعة السيارة .

قالوا : وأصل الخنوس : الرجوع إلىٰ وراء . و «الخناس» مأخوذ من هذين المعنيين . فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر . فإن العبد إذا غفل عن ذكر اللَّه جثم علىٰ قلبه الشيطان ، وانبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به ، انخنس وانقبض ، كما ينخنس الشيء ليتوارىٰ . وذلك

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١/ ٣٩٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب فانخنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال : « **أين كنت يا أبا هريرة ؟** » قال : كنت جنبًا فكرهت أن أجالسك وأنا علىٰ غير طهارة فقال: « **سبحان اللَّه إن المؤمن لا ينجس** » . وأخرجه مسلم (ص ٢٨٣) بلفظ (فانسل) بدلاً من « فانخنس » .

الانخناس والانقباض : هو أيضًا تجمُّع ورجوع ، وتأخر عن القلب إلى خارج . فهو تأخر ورجوع معه اختفاء .

وخنس وانخنس : يدل على الأمرين معًا . قال قتادة : الخناس : له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان . فإذا ذكر العبد ربه خنس . ويقال : رأسه كرأس الحية . وهو واضع رأسه على ثمرة القلب يُمَنِّيه ويحدثه . فإذا ذكر اللَّه خنس . وإذا لم يذكره عاد ، ووضع رأسه يوسوس إليه ويمنيه .

وجيء من هذا الفعل بوزن فعَّال الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس : إيذانًا بشدة هروبه ورجوعه ، وعظم نفوره عند ذكر اللَّه . وأن ذلك دأبه وديدنه لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر اللَّه أحيانًا . بل إذا ذكر اللَّه هرب وانخنس وتأخر ، فإن ذكر اللَّه هو مقمعته التي يُقمَع بها، كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياط وحديد وعِصي ونحوها ، فذكر اللَّه يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه ، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها . ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلاً ضئيلاً مُضنًى ، مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر اللَّه وطاعته .

وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن يُنضي شيطانه كما يُنضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر، والتوجه والاستغفار والطاعة . فشيطانه معه في عذاب شديد. ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة . ولهذا يكون قويًّا عاتيًا شديدًا .

فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر اللَّه تعالى وتوحيده

واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار . فلابد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه .

وتأمل كيف جاء بناء «الوسواس» مكررًا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارًا ، حتى يعزم عليها العبد ، وجاء بناء «الخناس» على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر اللَّه انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة ، فجاء بناء اللفظين مطابقًا لمعنييهما .

* * *

س ـ كيف يوسوس شيطان الإنس في صدور الناس ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال تعالى : ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾ [الأنعام: ١١٢] .

* * *

س ـ لماذا قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل : في قلوب الناس ؟

ج : التمس بعض العلماء وجوهًا لذلك **فقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :**

---

(١) من العلماء من قال : إن المراد بالصدور هنا القلوب .

فصل

وتأمل السر في قوله تعالىٰ: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل : في قلوبهم ، والصدر : هو ساحة القلب وبيته . فمنه تدخل الواردات إليه ، فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب . فهو بمنزلة الدهليز له . ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلىٰ الصدر ، ثم تتفرق علىٰ الجنود . ومن فهم هذا فهم قوله تعالىٰ : ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] .

فالشيطان يدخل إلىٰ ساحة القلب وبيته ، فيلقي ما يريد إلقاءه إلىٰ القلب ، فهو موسوس في الصدر . ووسوسته واصلة إلىٰ القلب . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠] ولم يقل «فيه» لأن المعنىٰ أنه ألقىٰ إليه ذلك ، وأوصله إليه . فدخل في قلبه .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» : وقال الإمام: إنما جعل الوسوسة في الصدور علىٰ ما عهد في كلام العرب من أن الخواطر في القلب، والقلب مما حواه الصدر عندهم وكثيرًا ما يُقال (إن الشك يحوك في صدره) وما الشك إلا في نفسه وعقله وأفاعيل العقل في المخ، وإن كان يظهر لها أثر في حركات الدم وضربات القلب وضيق الصدر أو انبساطه .

* * *

س ـ اذكر طرفًا من وسوسة الشيطان وشيئًا من شروره ؟

ج : وفِّق في إيراد ذلك العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ إذ قال في التفسير القيم :

فصل

وقوله : ﴿الذي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] صفة ثالثة للشيطان . فذكر وسوسته أولاً . ثم ذكر محلها ثانيًا ، وأنها في صدور الناس ثالثًا .

وقد جعل اللَّه للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذًا إلىٰ قلبه وصدره . فهو يجري منه مجرىٰ الدم . وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلىٰ الممات .

وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن علي بن حسين عن صفية بنت حُيَي ، قالت : كان رسول اللَّه ﷺ معتكفًا ، فأتيته أزوره ليلاً . فحدثته ثم قمت ، فانقلبت ، فقام معي ليقلبني . وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار . فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا . فقال النبي ﷺ : «**علىٰ رِسلكما ، إنها صفية بنت حيي**» . فقالا : سبحان اللَّه يا رسول اللَّه فقال : «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم . وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا ـ أو قال ـ شيئًا**»[1] .

وفي «الصحيح» أيضًا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط . فإذا قضي أقبل. فإذا ثُوب بها أدبر . فإذا قضي أقبل ، حتىٰ يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول : اذكر كذا اذكر كذا ـ لما لم يكن يذكر ـ حتىٰ لا يدري : أثلاثًا صلىٰ أم أربعًا ؟ فإذا لم يدر : أثلاثًا صلىٰ أم أربعًا ؟ سجد سجدتي السهو**»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٢٧٨/٤) ومسلم (١٥٦/١٤) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح (١٠٣/٣) ومسلم (ص ٣٩٨) .

ومن وسوسته : ما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق الله ؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته»**[1] .

وفي «الصحيح»: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يَخرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليه من أن يتكلم به ، قال : **«الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»**[2] .

ومن وسوسته أيضًا : أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله . ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه . قال تعالى حكاية عن صاحب موسى أنه قال : **﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾** [الكهف: ٦٣] .

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه **﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾** [الناس: ٤، ٥] ولم يقل : من شر وسوسته : لتعم الاستعاذة شره جميعه ، فإن قوله : **﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾** [الناس: ٤] يعم كل شره . ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرًّا ، وأقواها تأثيرًا وأعمها فسادًا . وهي الوسوسة التي

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/ ٣٣٦) ومسلم (ص ١٢٠) .

(٢) إسناده صحيح .

أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥) وأبو داود (٥١١٢) من طريق منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أتكلم به قال : فقال النبي ﷺ : **«الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»** .

هي مبادئ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ، ويُخطر الذنبَ بباله ، فيصوره لنفسه ويمنيه ، ويشهيه ، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خياله ، حتى تميل نفسه إليه، فيصير إرادة . ثم لا يزال يمثل له ويخيل ويمني ويشهي وينسي علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها . فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط . وينسى ما وراء ذلك . فتصير الإرادة عزيمة جازمة . فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود في الطلب. فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا . فإن فتروا حرَّكهم. وإن ونَوا أزعجهم . كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم: ٨٣] أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا . كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزَّتهم وأثارتهم . فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة. وقد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم . وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم . فلا بتلك النخوة والكبر ولا برضاه أن يصير قوادًا لكل من عصى اللَّه . كما قال بعضهم :

عجبت من إبليس في تيهه ∴ وقبح ما أظهر من نخوته

تاه على آدم في سجدة ∴ وصار قوادًا لذريته

فأصل كل معصية وبلاء : إنما هو الوسوسة . فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه . وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضًا .

فمن شره : أنه لص سارق لأموال الناس . فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم اللَّه عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف[١] . وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم اللَّه ، فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ، ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ، فيدخل سارقًا ويخرج مغيرًا . ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومنامًا أنه فعل كذا وكذا [٢] .

ومن هذا : أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس ، فيصبح والناس يَتحدثون به ، وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبه ، ثم وسوس إلى الناس بما فعل وألقاه إليهم ، فأوقعه في الذنب، ثم فضحه به . فالرب تعالى يستره والشيطان يجهد في كشف ستره وفضيحته . فيغتر العبد ويقول : هذا ذنب لم يره إلا اللَّه . ولم يشعر بأن عدوه ساعٍ في إذاعته وفضيحته . وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة .

ومن شره : أنه إذا نام العبد عقد على رأسه عقدًا تمنعه من

---

(١) أخرج مسلم من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللَّه عليه»** (ص ١٥٩٧) .

واخرج مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه (ص ١٥٩٨) قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا دخل الرجل بيته فذكر اللَّه عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر اللَّه عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر اللَّه عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء !!!»** .

(٢) ومن هنا لزم اتقاء مواطن الشبهات ، ولنا في فعل النبي ﷺ مع أصحابه في قصة صفية بنت حيي حين قال : **«إنها صفية»** أسوة حسنة .

اليقظة. كما في «صحيح البخاري» عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ـ إذا هو نام ـ ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليلٌ طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلَّت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة . فإن صلى انحلت عقده كلها . فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[١] .

ومن شره : أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده رجل نام ليله حتى أصبح . فقال : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو قال : في أذنه** » رواه البخاري[٢] .

ومن شره : أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها . فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه . فإن خالفه وسلكه ثبَّطه فيه وعَوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع . فإن عمله وفرغ منه قيَّض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته .

ويكفي من شره : أنه أقسم باللَّه ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم . وأقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم .

ولقد بلغ شره : أن أعمل المكيدة وبالغ في الحيلة حتى أخرج آدم من الجنة . ثم لم يكفه ذلك حتى استقطع من أولاده شُرْطة للنار ، من

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٤ ، ٦/ ٣٣٥) ومسلم (٦/ ٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

كل ألف : تسعمائة وتسعة وتسعين[1] . ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة في إبطال دعوة اللَّه من الأرض وقصد أن تكون الدعوة له ، وأن يُعبَد هو من دون اللَّه . فهو ساع بأقصى جهده على إطفاء نور اللَّه ، وإبطال دعوته ، وإقامة دعوة الكفر والشرك ، ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض .

ويكفي من شره : أنه تصدى لإبراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق في النار . فرد اللَّه كيده عليه . وجعل النار على خليله بردًا وسلامًا .

وتصدى للمسيح ﷺ حتى أراد اليهود قتله وصلبه . فرد اللَّه كيده. وصان المسيح ورفعه إليه .

وتصدى لزكريا ويحيى حتى قتلا .

واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم في الأرض ، ودعوى أنه ربهم الأعلى .

وتصدى للنبي ﷺ وظاهرَ الكفار على قتله بجهده . واللَّه تعالى يُكْبته ويرده خاسئًا .

---

[1] وذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه (عند البخاري «فتح» ٨/ ٤٤١) ومسلم (٣/ ٩٧) مرفوعًا وفيه : «يقول اللَّه عز وجل: يا آدم ، فيقول: لبيك ربنا وسعديك فيقول : إن اللَّه يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ! فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد» فشق ذلك على الناس حتى تَغيَّرت وجوههم فقال النبي ﷺ : «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ..» الحديث .

وتفلَّت على النبي ﷺ بشهاب من نار ، يريد أن يرميه به . وهو في الصلاة . فجعل النبي ﷺ يقول : «**ألعنك بلعنة اللَّه**»[١] .

وأعان اليهود على سحرهم للنبي ﷺ .

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر ، فكيف الخلاص منه إلا بمعونة اللَّه وتأييده وإعاذته ؟

ولا يمكن حصر أجناس شره ، فضلاً عن آحادها . إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه . ولكن ينحصر شره في ستة أجناس[٢] . لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدًا منها أو أكثر .

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (ص ٣٨٥) من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه قال : قام رسول اللَّه ﷺ فسمعناه يقول : «**أعوذ باللَّه منك**» ثم قال : «**ألعنك بلعنة اللَّه**» ثلاثًا وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول اللَّه قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال : «**إن عدو اللَّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ باللَّه منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة اللَّه التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه واللَّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**» .

(٢) لعل مما يشهد لهذه التقسيمات قول الرسول ﷺ الذي أخرج مسلم (ص ٢١٦٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئًا قال : ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت**» .

وهذا يدل على أن إبليس إنما يحرض على الإغواء بصورة أكبر وقد تقدم أنه يأتي ابن آدم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول : من خلق اللَّه !! نسأل اللَّه العافية والثبات ونعوذ باللَّه من شر الشيطان وشركه .

الشر الأول : شر الكفر والشرك ، ومعاداة اللَّه ورسوله . فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه . وهو أول ما يريد من العبد . فلا يزال به حتى يناله منه . فإذا نال ذلك صيَّره من جنده وعسكره ، واستنابه على أمثاله وأشكاله . فصار من دعاة إبليس ونُوَّابه . فإن يئس منه من ذلك ، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية من الشر . وهي البدعة ، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي . لأن ضررها في نفس الدين . وهو ضرر متعد . وهي ذنب لا يتاب منه ، وهي مخالفة لدعوة الرسل ، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به . وهي باب الكفر والشرك . فإذا نال منه البدعة ، وجعله من أهلها صار أيضًا نائبه ، وداعيًا من دعاته .

فإن أعجزه من هذه المرتبة ، وكان العبد ممن سبقت له من اللَّه موهبة السنة ، ومعاداة أهل البدع والضلال ، نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر . وهي الكبائر على اختلاف أنواعها . فهو أشد حرصًا على أن يوقعه فيها . ولا سيما إن كان عالمًا متبوعًا . فهو حريص على ذلك ، لينفر الناس عنه ، ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس ، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينًا وتقربًا بزعمه إلى اللَّه تعالى وهو نائب إبليس ولا يشعر . فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها . فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها ، لا نصيحة منهم ، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه . كل ذلك لينفر الناس عنه ، وعن الانتفاع به .

وذنوب هذا ـ ولو بلغت عنان المساء ـ هي أهون عند اللَّه من ذنوب هؤلاء ، فإنها ظلم منه لنفسه ، إذا استغفر اللَّه وتاب إليه قبل اللَّه توبته ، وبَدَّل سيئاته حسنات .

وأما ذنوب أولئك : فظلم للمؤمنين ، وتتبع لعوراتهم ، وقصد لفضيحتهم . واللَّه سبحانه بالمرصاد ، لا تخفى عليه كمائنُ الصدر ، ودسائس النفوس .

فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة : وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها . كما قال النبي ﷺ : **«إياكم ومُحقَّرات الذنوب ، فإن مثل ذلك قوم نزلوا بفلاة من الأرض»** وذكر حديثًا معناه : أن كل واحد منهم جاء بعود حطب ، حتى أوقدوا نارًا عظيمة فطبخوا واشتووا [1] .

ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها . فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة : وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها .

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح (٥/٣٣١) فقال : ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»** .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة ، وكان حافظًا لوقته[1]، شحيحًا به . يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها ، وما يقابلها من النعيم والعذاب : نقله إلىٰ المرتبة السادسة وهي : أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ، ليزيح عنه الفضيلة ، ويفوته ثواب العمل الفاضل ، فيأمره بفعل الخير المفضول ، ويحضه عليه ، ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلىٰ منه . وقلَّ من يتنبه لهذا من الناس . فإنه إذا رأىٰ فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلىٰ نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة . فإنه لا يكاد يقول : إن هذا الداعي من الشيطان . فإن الشيطان لا يأمر بخير ، ويرىٰ أن هذا خير ، فيقول : هذا الداعي من اللَّه . وهو معذور . ولم يصل علمه إلىٰ أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير ، إما ليتوصل بها إلىٰ باب واحد من الشر ، وإما ليفَوِّت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل .

وهذا لا يتوصل إلىٰ معرفته إلا بنور من اللَّه يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند اللَّه، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة للَّه ولرسوله ، ولكتابه ، ولعباده المؤمنين ، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف

---

(١) لكن للأسف قد غفل كثير من الناس عن قيمة الوقت وتغافلوا عن حسابهم الأخروي عن ضياع أوقاتهم كما صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : **«لا تزول قدما عبد حتىٰ يسأل عن أربع ومنها عن عمره فيما أفناه»** أو كما قال عليه السلام .

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»** أخرجه البخاري في أول كتاب الرقاق من «صحيحه» .

هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة ، وخلفائه في الأرض . وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك . فلا يخطر ذلك بقلوبهم. واللّه يَمُنُّ بفضله على من يشاء من عباده .

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيي عليه : سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع ، والتحذير منه ، وقصد إخماله وإطفائه ليشوش عليه قلبه . ويشغل بحربه فكره ، وليمنع الناس من الانتفاع به . فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه ، لا يفتر ولا يني . فحينئذ يلبس المؤمن لأمَةَ الحرب ، ولا يَضعُها عنه إلى الموت ، ومتى وضعها أُسِر أو أصيب ، فلا يزال في جهاد حتى يلقى اللّه .

فتأمل هذا الفصل . وتدبر موقعه ، وعظيم منفعته ، واجعله ميزانك تَزِن به الناس ، وتزن به الأعمال . فإنه يُطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق . واللّه المستعان ، وعليه التكلان .

ولو لم يكن في هذا التعليق إلا هذا الفصل لكان نافعًا لمن تدبره ووعاه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] تفسير لماذا ؟

ج : **في ذلك قولان لأهل العلم :**

أحدهما : أنه تفسير للذي يوسوس في صدور الناس ، فالمعنى: أن الذي يوسوس في صدور الناس هم الجنة والناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الانعام: ١١٢] .

الثاني : أنه تفسير للناس الذين يُوسوس إليهم ، فالمعنى أن الموسوس إليهم هم الجنة والناس ، فالوسواس الخناس يوسوس في صدورهما جميعًا ، إذ من الجن أقوام مؤمنون وهؤلاء المؤمنون لا ينجون من وسوسة الشيطان أيضًا .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ... ﴾ [الجن: ١ ، ٢] إلى قولهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ... ﴾ [الجن: ١١] وقولهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ .. ﴾ [الجن: ١٤] .

فإن قال قائل : وهل توصف الجن بأنها من الناس ؟ فالإجابة على ذلك أنهم قد وصفوا بأنهم رجال كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] .

أو يُقال: إنهم دخلوا مع الناس تغليبًا ، والله أعلم .

قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] اختلف المفسرون

في هذا الجار والمجرور : بم يتعلق ؟

فقال الفراء وجماعة : هو بيان للناس الموسوس في صدورهم . والمعنىٰ : يوسوس في صدور الناس الذين هم من الجن والإنس ، أي الموسوس في صدورهم قسمان : إنس وجن . فالوسواس يوسوس للجني ، كما يوسوس للإنسي .

وعلىٰ هذا القول : فيكون ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] نصب علىٰ الحال . لأنه مجرور بعد معرفة ، علىٰ قول البصريين . وعلىٰ قول الكوفيين : نصب بالخروج من المعرفة . هذه عبارتهم . ومعناها: أنه لما لم يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة انقطع عنها . فكان موضعه نصبًا.

والبصريون يقدرونه حالاً . أي كائنين من الجنة والناس . وهذا القول ضعيف جدًّا ، لوجوه :

أحدها : أنه لم يقم دليل علىٰ أن الجني يوسوس في صدر الجني. ويدخل فيه ، كما يدخل في الإنسي ، ويجري منه مجراه من الإنسي : فأي دليل يدل علىٰ هذا ، حتىٰ يصح حمل الآية عليه ؟

الثاني : أنه فاسد من جهة اللفظ أيضًا . فإنه قال : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] فكيف يبين الناس بالناس . فإن معنىٰ الكلام علىٰ قوله : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] الذين هم ، أو كائنين ، من الجنة والناس . أفيجوز أن يقال : في صدور الناس الذين

الذين هم من الناس وغيرهم ؟ هذا ما لا يجوز ، ولا هو في الاستعمال فصيح .

الرابع : أن «الجنة» لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه ، لا أصلاً ولا اشتقاقًا ولا استعمالاً . ولفظهما يأبى ذلك . فإن الجن إنما سمو جنًّا من الاجتنان ، وهو الاستتار . فهم مستترون عن أعين البشر . فسموا جنًّا لذلك ، من قولهم جَنَّه الليل وأجَنَّه : إذا ستره . وأجن الميت : إذا ستره في الأرض . قال :

ولا تبك ميتًا بعد ميت أجنه ∴ علي وعباس وآل أبي بكر

يريد النبي ﷺ . ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه . قال تعالى : ﴿**وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ [النجم: ٣٢] ومنه المجن : لاستتار المحارب به من سلاح خصمه. ومنه الجنة: لاستتار داخلها بالأشجار. ومنه الجنة ـ بالضم ـ لما يقي الإنسان من السهام والسلاح . ومنه المجنون : لاستتار عقله .

وأما الناس : فبينه وبين الإنس مناسبة في اللفظ والمعنى ، وبينهما اشتقاق أوسط . وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

والإنس والإنسان : مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس . ومنه قوله : ﴿ **آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً** ﴾ [القصص: ٢٩] أي : رآها ، ومنه : ﴿**فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً**﴾ [النساء: ٦] أي : أحسستموه ورأيتموه .

فالإنسان سمي إنسانًا لأنه يونس ، أي بالعين يُرَىٰ . والناس فيه قولان .

أحدهما : أنه مقلوب من أنس، وهو بعيد. والأصل عدم القلب.

والثاني : وهو الصحيح ، أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة. فسمي الناس ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمي الرجل حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء كما قال النبي ﷺ : «**أصدق الأسماء : حارث وهمام**»[1] ، لأن كل أحد له هم وإرادة ، هي مبدأ ، وحرث

---

(١) أسانيده ضعيفة وهاك تفصيل ذلك .

أخرج أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٤٥) وأبو داود رقم (٤٩٥٠) من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : «**تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحارث وهمام ، وأقبحها حرب مرة**» .

وهذا السند ضعيف فيه عقيل بن شبيب وهو مجهول .

وأخرج مسلم في «صحيحه» (ص ١٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله : «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**» .

هكذا أخرجه مسلم مقتصرًا على هذا اللفظ .

وللحديث شاهد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠٤٠) عند ابن وهب في «جامعه» (ص ٧) من طريق داود بن قيس عن عبد الوهاب بن بخت مرفوعًا بلفظ: «**خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام وحارث ، وشر الأسماء حرب ومرة**» وقال الشيخ ناصر عقبه : وهذا إسناد مرسل صحيح رجاله رجال مسلم .

قلت : وليس الأمر كما قال فعبد الوهاب بن بخت لم يخرج له مسلم ، وقد وصف أيضًا بأنه كثير الأوهام راجع «الميزان» .

وأيضًا فإن هذا الإسناد المرسل الأقرب أنه معضل إذ إن عبد الوهاب من صغار التابعين ويقال إن روايته عن أنس وأبي هريرة مرسلة . =

وعمل، هو منتهى . فكل أحد حارث وهمام ، والحرث والهم : حركتا الظاهر والباطن . وهو حقيقة النَّوَس .

وأصل ناس : نوس ، تحركت الواو ، وقبلها : فتحة . فصارت ألفًا . هذان هما القولان المشهوران في اشتقاق «الناس» .

وأما قول بعضهم : إنه من النسيان ، وسمي الإنسان إنسانًا لنسيانه. وكذلك الناس سموا ناسًا لنسيانهم : فليس هذا القول بشيء . وأين النسيان، الذي مادته ن س ي إلى الناس الذي مادته ن و س ؟ وكذلك أين هو من الأنس الذي ماته أ ن س ؟

وأما إنسان فهو فعلان من أ ن س . والألف والنون في آخره زائدتان ، لا يجوز فيه غير هذا البتة . إذ ليس في كلامهم : أنس ، حتى يكون إنسانًا إفعالاً منه . ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين ، إذ ليس في كلامهم : انفعل . فيتعين أنه فعلان من الأنس .

= ثم ذكر له الشيخ طريقًا أخرى وهي رواية مرسلة فقال : وقد أخرجه ابن وهب أيضًا من رواية عبد اللَّه بن عامر اليحصبي عن النبي ﷺ مرسلاً قال : وإسناده صحيح أيضًا .
لكن الشيخ نفسه قد بيَّن أن هذا لا يصلح شاهدًا لذلك فقال في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٠٤) بعد أن ذكر رواية ابن بخت : وإسناده مرسل صحيح أيضًا لكن ابن بخت كان قد سكن الشام ، فمن الجائز أن يكون تلقاه عن اليحصبي فلا يتقوى أحدهما بالآخر كما هو ظاهر، وذكر له الشيخ شاهدًا آخر مرسل وهو ضعيف رغم إرساله إذ إن الحسن بن جابر لم يُوَثِّقه معتبر ولم يذكر في الرواة عنه سوى راويان فهو مجهول .
فحاصل الأمر : أن هناك رواية عقيل بن شبيب وهو مجهول ، والرواية المرسلة .
ولا نرى هذه تشهد لتلك فالحديث ضعيف باستثناء **«أحب الأسماء إلى اللَّه عبد اللَّه وعبد الرحمن»** فهي في مسلم كما بيناه . واللَّه أعلم .

ولو كان مشتقًّا من نسي لكان نسيانًا لا إنسانًا .

فإن قلت : فهلا جعلته إفعلالاً . وأصله إنسيان ، كليلة إضحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفًا فصار إنسانًا ؟ .

قلت : يأبى ذلك عدم إفعلال في كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوى ما لا نظير له . وذلك كله فاسد ، على أن «الناس» قد قيل : إن أصله الأناس . فحذفت الهمزة . فقيل : الناس . واستدل بقول الشاعر :

*** إن المنايا يطلعن على الأناس الغافلينا ***

ولا ريب أن أناسًا فعال . ولا يجوز فيه غير ذلك البتة . فإن كان أصل ناس أناسًا ، فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس ، ويكون الناس كالإنسان سواء في الاشتقاق .

ويكون وزن ناس ـ على هذا القول ـ: عال . لأن المحذوف فاؤه .

وعلى القول الأول : يكون وزنه : فعل . لأنه من النوس .

وعلى القول الضعيف : يكون وزنه : فلع . لأنه من نسي . فنقلت لامه إلى موضع العين ، فصار ناسًا وزنه فلعًا .

والمقصود : أن «الناس» اسم لبني آدم . فلا يدخل الجن في مسماهم فلا يصح أن يكون «من الجنة والناس» بيانًا لقوله : ﴿**فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس: ٥] وهذا واضح لا خفاء فيه .

فإن قيل : لا محذور في ذلك . فقد أطلق على الجن اسم الرجال . كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإذا أطلق عليهم اسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم : الناس ؟

قلت : هذا هو الذي غَرَّ من قال : إن الناس اسم للجن والإنس في هذه الآية .

وجواب ذلك : أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعًا مقيدًا في مقابلة ذكر الرجال من الإنس . ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقًا .

وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك : لم يلزم من ذلك : وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب .

وأيضًا فلا يلزم من إطلاق اسم الرجل على الجني أن يطلق عليه اسم الناس . وذلك لأن الناس والجنة متقابلان . وكذلك الإنس والجن. فاللّٰه سبحانه يقابل بين اللفظين كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الرحمن: ٣٣] وهو كثير في القرآن . وكذلك قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] يقتضي أنهما متقابلان . فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بخلاف الرجال والجن . فإنهما لم يستعملا متقابلين . فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال : الجن والإنس .

وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ «الناس» لأنه قابل بين الجنة والناس . فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر .

فالصواب : القول الثاني : وهو أن قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، وأنهم نوعان إنس وجن . فالجني يوسوس في صدور الإنس ، والإنسي أيضًا يوسوس في صدور الإنس .

فالموسوس نوعان : إنس وجن فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب . وهذا مشترك بين الجن والإنس ، وإن كان إلقاء الإنسي ووسوستهُ إنما بواسطة الأذن ، والجني لا يحتاج إلى تلك الواسطة . لأنه يدخل في ابن آدم ، ويجري منه مجرى الدم . على أن الجني قد يتمثل له ، ويوسوس إليه في أذنه كالإنسي ، كما في البخاري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض ، فتستمع الشياطين الكلمة ، فتقرها في أذن الكاهن ، كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/ ٣٣٨) .

وأخرج البخاري (فتح ٨/ ٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**» ، ووصف سفيان بكفِّه =

فهذه وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن .

ونظير اشتراكهما في هذه الوسوسة : اشتراكهما في الوحي الشيطاني . قال تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] .

فالشيطان يوحي إلىٰ الإنسي باطله ، ويوحيه الإنسي إلىٰ إنسي مثله. فشياطين الإنس والجن يشتركان في الوحي الشيطاني . ويشتركان

= فحرفها وبدد بين أصابعه : «فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ من تحته ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» .

وقوله تعالىٰ : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

وقوله تعالىٰ : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، علىٰ أنه ضربان : ضرب من الجِنّة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ، وإنما نجد في أنفسنا أثرًا ينسب إليهم ، وضرب من الإنس كالمضللين من أفراد الإنسان ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] . وإيحاؤهم هو وسوستهم .

قال ابن تيمية : فإن قيل : فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس ، فلا حاجة إلىٰ ذكر الاستعاذة من وسواس الناس ، فإنه تابع لوسواس الجن . قيل : بل الوسوسة نوعان : نوع من الجن ، ونوع من نفوس الإنس . كما قال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦] فالشر من الجهتين جميعًا . والإنس لهم شياطين كما للجن شياطين .

وقال أيضًا : الذي يوسوس في صدور الناس نفسه لنفسه ، وشياطين الجن وشياطين الإنس . فليس من شرط الموسوس أن يكون مستترًا عن البصر ، بل قد يُشَاهَد .

في الوسوسة .

وعلى هذا : تزول تلك الإشكالات والتعسفات التي ارتكبها أصحاب القول الأول . وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعي الشياطين : شياطين الإنس ، وشياطين الجن .

وعلى القول الأول : إنما تكون استعاذة من شر شياطين الجن فقط . فتأمله فإنه بديع جداً .

فهذا ما منَّ اللَّه به من الكلام على بعض أسرار هاتين السورتين . وله الحمد والمنة . وعسى اللَّه أن يساعد بتفسير على هذا النمط . فما ذلك على اللَّه بعزيز . والحمد للَّه رب العالمين .

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» :

قوله [عز وجل] : ﴿ **مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ** ﴾ [الناس: ٦] الجنَّة : الجن : وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم ، فسمي الجن هاهنا ناسًا ، كما سمَّاهم رجالاً في قوله [عز وجل] : ﴿**اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ**﴾ [الجن: ١] هذا قول الفراء . وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوسًا للجن ، كما يوسوس للإنس .

والثاني : أن الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجِنَّة ، وهم من الجن . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجن . ثم عطف قوله [عز وجل] : ﴿**وَالنَّاسِ**﴾ على

﴿الوسواس﴾ والمعنى من شر الوسواس ، ومن شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس ، وهذا قول الزجاج .

❊ ❊ ❊

جملة من الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان :

س - اذكر بعض الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان ؟

ج : من هذه الحروز ما يلي : -

الحرز الأول : ذكر اللَّه عز وجل :

فقد أخرج الإمام أحمد[١] رحمه اللَّه بسند صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي اللَّه عنه أن نبي اللَّه ﷺ قال : «**إن اللَّه عزَّ وجل أمرَ يحيىٰ بنَ زكريا عليهما السلام بخمسٍ كلمات أن تَعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يَعملوا بهن ...**» فذكر الحديث وفيه : «**وآمركم بذِكْرِ اللَّه عزَّ وجلَّ كثيرًا ، وإن مثل ذلك كمثل رجلٍ طَلَبَهُ العدوُّ سراعًا في أثره فأتىٰ حصنًا حصينًا فَتَحَصَّنَ فيه وإن العبدَ أحْصَنَ من الشيطان إذا كان في ذِكْرِ اللَّه عزَّ وجل**» .

الحرز الثاني : الإيمان باللَّه والتوكل عليه :

قال اللَّه سبحانه : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ**[٢] **عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ**

(١) أحمد (٤/ ١٣٠ و ٢٠٢) .

(٢) قال بعض العلماء: معناه ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه بل كلما =

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

فمن توكل على الله كفاه الله شر كلِّ شيءٍ وإن كادته السموات والأرض ، وجعل له ربه من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل همٍّ فرجًا .

● ومن هذا الباب ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنْتُ خلف رسولِ الله ﷺ يومًا فقال : «**يا غلامُ إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تُجاهك ، إذا سَأَلْتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعتْ على أن يَنفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يَضُروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصحفُ**»[1] .

الحزر الثالث : ذكر الله والوضوء والصلاة عند الاستيقاظ لحل عقد الشيطان :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [2] من حديث أبي هريرة

= أذنبوا تابوا ، وقيل : المعنى لا حجة له عليهم .

(١) وفي بعض الروايات «**... واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج من الكرب وأن مع العسر يسرًا**» .

وفي بعضها : «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» . وهذه والتي قبلها تحتاج إلى مزيد نظر في إسنادها .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٢٤) ومسلم (مع النووي ٦/ ٦٥) .

رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**يَعقدُ الشيطانُ علىٰ قافية رأسِ أحَدكُم - إذا هو نام**[١] **- ثلاثَ عُقَد يَضرب علىٰ كلِّ عُقدة مكانها : عليكَ ليلٌ طويلٌ ، فارقد ، فإن استيقظ فذكرَ اللَّه انحلتْ عُقدة ، فإنْ توضأ انحلت عُقدة ، فإن صلىٰ انحلتْ عُقَدُهُ كلها فأصبح نشيطًا طيِّبَ النَّفسِ ، وإلا أصْبَحَ خبيثَ النَّفْسِ كسلانَ**»[٢] .

الحرز الرابع : الاستنثار[٣] **عند الاستيقاظ :**

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبيَّ ﷺ قال : «**إذا استيقظَ أحَدُكُم من مَنامِهِ فليستَنْثِر ثلاثَ مراتٍ**

(١) استثنىٰ بعض أهل العلم من ذلك من قرأ آية الكرسي عند النوم قالوا : لأن قائلها لا يقربه شيطان فقد قال الشيطان لأبي هريرة : إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح ، وقال رسول اللَّه ﷺ لأبي هريرة : «**صدقك وهو كذوب**» ، بينما أبىٰ ذلك بعض أهل العلم لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : «**علىٰ قافية رأس أحدكم**» وأجابوا علىٰ حديث آية الكرسي بأن يحمل عقد الشيطان علىٰ الأمر المعنوي ، والقرب (في حديث لا يقربك شيطان) علىٰ الأمر الحسي أو العكس ، قالوا : إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه ، كما لا يلزم من مماسته أن يقربه بسرقة أو أذىٰ في جسده ونحو ذلك ، واللَّه أعلم.

● واستثنىٰ بعض العلماء من ذلك أيضًا من صلىٰ العشاء في جماعة لما أخرجه مسلم وغيره من حديث عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**من صلىٰ العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلىٰ الصبح في جماعة فكأنما صلىٰ الليل كله**» . واللَّه تعالىٰ أعلم .

(٢) ومن هنا يتضح لك سبب ما تراه من كآبة تعلو وجوه الكثيرين الذين يسهرون ليلهم أمام الملاهي من سينما ومسارح وتلفزيونات وغيرها ، ويصبحون فيما هم فيه لا يذكرون اللَّه إلا قليلاً ، نسأل اللَّه العافية .

(٣) الاستنثار هو إدخال الماء في الأنف ثم نثره .

فإن الشيطانَ يبيتُ على خَيَاشِيمِه»[١] .

الحرز الخامس : ترك النوم إلى الصباح :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نام[٢] ليلةً حتى أصْبَح قال : «ذاك رجلٌ بال[٣] الشيطانُ في أُذُنَيْه ، أو قال : في أُذُنِه»[٤] .

الحرز السادس : وهو حرز عند دخول الخلاء :

أخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال : «اللهم إني أَعُوذُ بِك من الخُبُثُ[٦] والخبائثِ» .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٩) ومسلم (٣/ ١٢٧) .

(٢) ذكر بعض العلماء أن معناها أنه نام عن صلاة الليل ، وبوَّب لها النووي بقوله : باب ما روي فيمن نام الليل اجمع حتى أصبح ، وذكر آخرون أنه نام عن المكتوبة .

(٣) ذكر بعض أهل العلم أن بول الشيطان بول حقيقي فكما أن الشيطان يأكل ويشرب ويجامع فكذلك هو يبول . وقال آخرون : بل المراد بذلك أن الشيطان استخف به وجعله كالكنيف موطنًا للبول ، وقيل : إن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر ، وقيل غير ذلك واللَّه أعلم .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٤٢) ومسلم (٣٧٥) .

(٦) الخبث بضم الباء وبتسكينها أيضًا ، والمراد بالخبث : ذكران الشياطين ، والمراد بالخبائث: إناثهم . قاله عدد كبير من أهل العلم .

تنبيهان : الأول : إذا كان الشخص يقضي حاجته في أماكن لم تعد لذلك كالفضاء مثلاً فمتى يقول هذا الدعاء ؟ ذهب جمهور العلماء إلى أنه يقول عند تشمير الثياب .

الثاني : من نسي هذا الذكر حتى دخل الخلاء فمتى يقوله ؟ الذي يظهر واللَّه أعلم أنه يقوله =

الحرز السابع : الأذان :

فقد أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إذا نُودي للصلاة أدْبَر الشيطانَ وله ضُراط**[2] **حتى لا يَسمعَ التأذينَ ، فإذا قُضي النداء أقبل ، حتى إذا ثُوِّبَ بالصلاة أَدْبرَ ، حتى إذا قُضي التثويب أَقْبل حتى يخطر بين المرءِ ونفسه يقول : اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يَذْكُر حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى**»[3] .

وعن جابر رضي اللَّه عنه قال[4] : سمعت النبي ﷺ يقول : «**إن الشيطانَ إذا سَمِعَ النداءَ بالصلاة ذَهَبَ حتى يكون مكانَ الروحاء**[5] » (*) .

= أيضًا - إذا كان نسيه - إذا دخل ما لم يجلس لقضاء حاجته فإذا جلس لقضاء حاجته فيستعيذ بقلبه لا بلسانه ، ففي «صحيح مسلم»: أن رجلاً مرَّ ورسول اللَّه ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه .
وهذا من باب الكراهية وليس من باب التحريم لحديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يذكر اللَّه على كل أحيانه .

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤) ومسلم (ص ٢٩١) .

(٢) وفي رواية لمسلم: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس**» .

(٣) في بعض الروايات عند مسلم زيادة : «**فهنَّاه ومنَّاه وذكَّره من حاجته ما لم يكن يذكر**» .

(٤) مسلم (٣٨٨) .

(٥) الروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(*) **قال ابن الجوزي رحمه اللَّه :**
على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به . . . .

وإذا لم يكن هناك وقت أذان وأذَّن الشخص هل ينصرف الشيطان أيضًا ؟ فهم ذلك بعض أهل العلم، فذكر مسلم في «صحيحه» بإسناده إلى أبي صالح قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة قال ومعي غلام لنا (أو صاحب لنا) فناداه منادٍ من حائط باسمه ، قال : وأشرف الذي =

الحرز الثامن : الاستعاذة من همزات الشياطين وأن يحضرون :

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] .

عن الوليد بن الوليد رضي اللَّه عنه أنه قال : يا رسول اللَّه إني أجد وَحْشَةً ، قال : «**فإذا أخذت مضجعك فقل : أَعُوذُ بكلمات اللَّه التامة من غَضَبِه وعقَابه وشرِّ عِبَاده ومن همزاتِ الشياطين وأن يَحْضُرُون ، فإنه لا يضرُّكَ وبالحرِّي أن لا يقربك**»[1] .

الحرز التاسع : الاستعاذة من همز الشيطان ونفخه ونفثه :

وذلك لما أخرجه أحمد بإسناد صحيح [2] لشواهده من حديث

= معي على الحائط فلم ير شيئًا فذكر ذلك لأبي فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولَّى وله حُصاصٌ**» .

(١) أخرجه أحمد بإسناد مرسل لكن له شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : «**بسم اللَّه أعوذ بكلمات اللَّه التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**» ، وأخرجه أحمد أيضًا وكذلك الترمذي وقال : حسن غريب .

(٢) فقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة فقال : «**اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا ، والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا وسبحان اللَّه بكرة وأصيلاً . «ثلاثًا» أعوذ باللَّه من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه**» ، قال : «**نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبرياء ، وهمزه : الموتة**» . وفي بعض طرقه عند أحمد : «**اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**» .

قلت : أما همزُهُ ففسّر في الحديث بأنه الموتة ، وقال أبو عبيد ـ كما في اللسان ـ الموتة : الجنون ، قال : وإنما سماه همزًا لأنه جعله من النخس والغمز .

وقال أبو عبيد أيضًا : وإنما سمي النفث شعرًا لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه مثل الرُّقية .

عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الشيطان من هَمْزِه ونَفْثِه ونَفْخِه. قال: وهمزه الموتة، ونفثه الشِّعْر، ونفخه الكبرياء.

الحرز العاشر: الاستعاذة باللَّه عند قراءة القرآن:

● قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨].

قال ابن كثير رحمه اللَّه: والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر.

الحرز الحادي عشر: التفل عن اليسار لدفع شيطان الصلاة:

فقد أخرج مسلم من طريق أبي العلاء[1] أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليَّ[2] فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذاك شيطان يُقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوَّذ باللَّه منه واتفل عن يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه اللَّه عني»

الحرز الثاني عشر: ترك الالتفات في الصلاة:

وذلك لما أخرجه البخاري [3] من حديث أم المؤمنين عائشة

---

(١) ظاهر الحديث هنا الإرسال إلا أن مسلمًا عقبه بالرواية الموصولة والحديث أخرجه مسلم (١٤/١٨٩).

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه**: ومعنى (حال بيني وبينها): أي: نكدني فيها ومنعني لذتها والفراغ للخشوع فيها.

وقال رحمه اللَّه **أيضًا**: وفي هذا الحديث استحباب التعوذ من الشيطان عند وسوسته مع التفل عن اليسار ثلاثًا.

(٣) في رواية: «**يختلسه**»، والحديث في البخاري (٧٥١).

رضي اللَّه عنها قالت : سألت النبي ﷺ عن التفات الرَّجُلِ في الصلاةِ فقال : «**هو اختلاسٌ يَختَلِسُ**[1] **الشيطانُ من صلاةِ أَحَدِكُمْ**» .

الحرز الثالث عشر : منع المرور بين يدي المصلي :

وذلك لما في « الصحيحين » [2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : «**إذا مرَّ بين يدي أحدِكُم شيءٌ وهو يُصلِّي فليمنعه فإن أبى فليمنعه فإن أبى فليُقاتله فإنما هو شيطان**»[3] .

الحرز الرابع عشر : السجود :

وذلك لما في «صحيح مسلم»[4] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا قَرَأَ ابنُ آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي يقول : يا ويله** (وفي رواية : **يا ويلي**) **أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فَسَجَدَ فله الجنةُ وأُمرتُ بالسجود فأبيتُ فليَ النارُ**» .

= أما الاختلاس فهو الاختطاف بسرعة ، فالمصلي يقبل عليه الرب سبحانه وتعالى والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه ، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة .
انظر : «الفتح» (٢/ ٢٢٤) .

(٢) البخاري (٣٢٧٤) ومسلم (٥٠٥) .

(٣) في بعض روايات مسلم من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما : «**.. فإن معه القرين**» .
قال النووي رحمه اللَّه : قوله : «**فإنما هو شيطان**» قال القاضي : قيل : معناه : يفعل فعل الشيطان ؛ لأن الشيطان بعيد من الخير وقبول السنة . وقيل : المراد بالشيطان . القرين ، كما جاء في الحديث الآخر : «**فإن معه القرين**» ، واللَّه أعلم .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨١) .

الحرز الخامس عشر : سجود السهو :

فقد أخرج مسلم [١] «في صحيحه» من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا شكَّ أَحَدُكُم في صَلاتِهِ فلم يَدْرِ كم صلى ؟ ثلاثًا أم أربعًا ؟ فليطرح الشك وليبنِ على ما استيقن ثم يَسجد سجدتين قبل أن يُسلِّم، فإن كان صلى خمسًا شَفَعْنَ لَه صلاته ، وإن كان صلَّى إتمامًا لأربع كانتا ترغيمًا [٢] للشيطان»** .

الحرز السادس عشر: ترك الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها:

وذلك لما في «الصحيحين»[٣] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان»**[٤] .

---

(١) مسلم (حديث ٥٧١) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه :** قوله : **«ترغيمًا للشيطان»** : أي : إغاظة له وإذلالا مأخوذ من التراب ، ومنه : أرغم اللَّه أنفه ، والمعنى : أن الشيطان لبس عليه صلاته وتعرض لإفسادها ونقصها فجعل اللَّه تعالى للمصلي طريقًا إلى جبر صلاته وتدارك ما لبَّسه عليه وإرغام للشيطان ورده خاسئًا مبعدًا عن مراده وكملت صلاة ابن آدم وامتثل أمر اللَّه تعالى الذي عصى به إبليس من امتناعه من السجود واللَّه أعلم .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٨٥) ومسلم (حديث ٨٢٨) .

(٤) وجه ذلك واضح مما ذكره النووي رحمه اللَّه حيث قال : قيل : المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه وقيل : قوته وغلبته وانتشار فساده ، وقيل : القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى ، قالوا : ومعناه أنه يدلي رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة وحينئذ يكون له ولبنيه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم فكرهت الصلاة حينئذٍ صيانة لها كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان .

الحرز السابع عشر : حرز عند الصباح وفي المساء :

فقد صح عن عثمان بن عفان[١] رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسولَ اللَّه ﷺ يقول : **«من قال : بسم اللَّه الذي لا يَضُرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميعُ العليم ثلاثَ مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يُصبح ، ومن قالها حين يُصبح لم تُصِبْهُ فجأةُ بلاءٍ حتى يُمسي»** .

ومن ذلك أيضًا : ما روي في « الصحيحين » [٢] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : **«من قال : لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له لهُ الملكُ وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ في يوم مائةَ مرة كانت له عدل عَشْر رقاب ، وكُتبَ له مائةُ حسنة ومُحيت عنه مائةُ سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطانِ يومَهُ ذلك حتى يُمسي ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك»** .

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه مسلم [٣] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : كان رسولُ اللَّه ﷺ إذا أمْسى قال : **«أمسينا وأمسى الملكُ للَّه ، والحمدُ للَّه ، لا إله إلا اللَّه وَحْدَهُ لا شريك له له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير ، اللهم أسألك خيرَ هذه الليلة [٤] وأعوذ**

---

(١) أخرجه الترمذي (مع التحفة ٩/ ٣٣٧) وأحمد (٤/ ١٢٢ و ١٢٥) والنسائي (الاستعاذة ٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٨) ومسلم (١٧/ ١٧) .

(٣) مسلم (١٧/ ٤١) .

(٤) في رواية **«رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها»** .

وفي نفس الرواية : . . . . **«إذا أصبح قال ذلك أيضًا : وأصبحنا وأصبح الملك للَّه»** .

بك من شرِّ هذه الليلة وشرِّ ما بعدها ، اللهم إني أعوذ بك من الكَسَلِ وسُوءِ الكِبَرِ ، اللهم إني أعوذ بك من عذابٍ في النَّارِ وعذابٍ في القبرِ» .

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه أبو داود والترمذي [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال أبو بكر : يا رسول اللَّه مُرْني بشيءٍ أقُوله إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ ؟ قال : «قل : اللهم فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغَيبِ والشهادة ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكه أشهدُ أن لا إله إلا أنت أعُوذُ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشيطان وشِركه [٢] قال : قُلها إذا أصْبَحْتَ وإذا أمسيتَ وإذا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ» .

الحرز الثامن عشر : قل هو اللَّه أحد والمعوذات :

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي [٣] من حديث عبد اللَّه بن خبيب رضي اللَّه عنه قال : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللَّه ﷺ يصلي لنا فأدركته فقال : «قل» : فلم أقل شيئًا ، ثم قال : «قل» فلم أقل شيئًا ، قال : «قل» فقلت : ما أقول ؟ قال : «قل هُو اللَّه أحدٌ والمعوذتين حين تُمْسِي وتُصبح ثلاثَ مراتٍ تكفيك من كلِّ شيءٍ» .

● وعن عقبة بن عامر رضي اللَّه عنه قال: بينا أنا أقود برسول اللَّه

(١) أخرجه الترمذي (٩/ ٣٣٥) وأبو داود (٥٠٦٧) بإسناد صحيح .

(٢) قال المباركفوري : الشرك : بكسر الشين وسكون الراء اي ما يدعو إليه من الإشراك باللَّه ، ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس .

(٣) النسائي (٨/ ٢١٩) والترمذي (مع التحفة ١٠/ ٢٨) وإسناده حسن .

ﷺ راحلته في غزوة إذ قال : « يا عقبة قل » . فاستمعت ، ثم قال : «يا عقبة قُلْ» فاستمعت ، فقالها الثالثة ، فقلتُ : ما أقول ؟ فقال : «قل هو اللّه أحد» فقرأ السورة حتى ختمها ، ثم قرأ : قل أَعُوذُ بربِّ الفلق وقرأتُ معه حتى ختمها ، ثم قَرَأَ : قل أعوذ بربِّ النَّاس فقرأت معه حتى ختمها ثم قال : «ما تعوَّذ بمثلهن أَحَدٌ» .

وفي رواية : «ما سأل سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما» .

الحرز التاسع عشر : صلاة أربع ركعات أول النهار :

فأخرج أحمد بإسناد[1] حسن من حديث نعيم بن همار الغطفاني رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «قال ربكم تبارك وتعالى : ابن آدم صلِّ لي أربعَ ركعاتٍ أول النهار أكْفِكَ آخره» .

الحرز العشرون : تعويذ الصبيان :

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦] .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : «إن أباكما كما يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات اللّه التامة من كل شيطان وهامة [2] ومن كل عين لامة»[3]

---

(١) انظر : «المستدرك» (٥/ ٢٨٦) وأبو دواد (٢/ ٦٣) .

(٢) الهامة : واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة تهم بسوء قاله الحافظ .

(٣) قال الخطابي : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

أخرجه البخاري[1].

ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا كان جُنْحُ[3] الليل ـ أو أَمْسَيْتُم ـ فكفُّوا صبيانكم فإن الشيطانَ[4] ينتشرُ حينئذ ، فإذا ذَهَبَ ساعةٌ من الليل فَخَلُّوهم[5] وأَغْلِقُوا الأبوابَ واذكروا اسمَ الله ، وخمِّروا[6] آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تَعرضوا عليها شيئًا ، وأطفئوا مصابيحكم»**[7].

---

(١) البخاري (٦/٤٠٨) .

(٢) صحيح ، وقد تقدم تخريجه .

(٣) أجنح الليل إذا أقبل بظلامه .

(٤) في رواية : **«الشياطين»** .

(٥) في رواية : **«فحلوهم»** ، وفي رواية : **«فخلوهم»** بالخاء المعجمة .

(٦) خمروا : أي غطوا .

(٧) هذا الحديث من الأحاديث التي غفل عنها وعن العمل بها كثير من صالحي المسلمين فضلاً عن عوامهم ، ولو أمعنوا النظر فيه وأقبلوا على العمل به لنجوا من أخطار كثيرة هم وذرياتهم وأموالهم ، ولعافاهم الله في أبدانهم وأسماعهم وأبصارهم فلا يجعلوا للشيطان عليهم سبيلاً ولا على أولادهم . . . وفي بعض طرق الحديث : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس»** .

قال النووي رحمه الله : هذا الحديث فيه جمل من آداب الخير والآداب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا ، فأمر ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان ، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذائه فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب .

وقال ابن الجوزي : إنما خيف على الصبيان في تلك الساعة لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالبًا ، والذكر الذي يحرز منهم مفقود من الصبيان غالبًا والشياطين =

وفي بعض روايات مسلم : «**فإن الشيطان لا يحل سقاءً ولا يفتح بابًا ولا يكشف إناءً**» .

الحرز الحادي والعشرون : اتقاء مواطن الشبهات :

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي اللّٰه عنها قالت : كان رسول اللّٰه ﷺ معتكفًا فَأَتَيْتُهُ أزورُه ليلاً ، فحدثته ثم قمتُ فانقلبتُ[1] فقام معي ليقلبني[2] ـ وكان سكنها في دارِ أسامةَ بن يزيد ـ فمرَّ رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبيُّ ﷺ : «**على رِسْلِكُما إنها صفيةُ بنت حيي**» ، فقالا : سبحان اللّٰه يا رسول اللّٰه ، قال : «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرىٰ الدم وإني خشيت أن يَقْذفَ في قلوبكما سوءًا ، أو قال : شيئًا**» (*) .

= عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به فلذلك خيف على الصبيان في ذلك الوقت ، والحكمة في انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار ، لأن الظلام أجمع للقوىٰ الشيطانية من غيره ، وكذلك كل سواد ، ولهذا قال في حديث أبي ذر فما يقطع الصلاة ؟ قال : «**الكلب الأسود شيطان**» . أخرجه مسلم .

(١) فانقلبت : أي : رجعت .

(٢) ليقلبني : أي : ليردني او ليرجعني إلىٰ منزلي .

(*) وهذا من كمال شفقة النبي ﷺ بأمته ، وهكذا ينبغي للمسلم ان يفعل لا يضع نفسه في موضع الظنون ومواطن الريب والتهم . ومن ثم يجعل للشيطان سبيلاً على إخوانه في تسرب الوساوس إليهم ليظنوا بأخيهم ظن السوء ، ويكونَ هو قد تسبب فيما يلحق به وبإخوانه من أذىٰ نسأل اللّٰه المغفرة والهداية إلىٰ سبيل الرشاد .

● والحديث أخرجه البخاري (مع الفتح ٤/٢٧٨) ومسلم (١٤/١٥٦) .

الحرز الثاني والعشرون : ترك النجوى :

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [١] [المجادلة: ١٠] .

● عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : **«إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجُلان دون الآخر حتى تَخْتلطوا بالناس أَجْلَ أن ذلك يُحزنه»** [٢] .

الحرز الثالث والعشرون : إقالة عثرة من زلت قدمه :

ففي «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : أُتي النبي ﷺ برجلٍ قَدْ شَرِبَ [٣] قال : **«اضربوه»** ، قال أبو هريرة رضي اللَّه عنه : فمنا الضاربُ بيده والضاربُ بنعله والضاربُ بثوبِه فلما انصرف قال بعضُ القوم: أَخْزَاكَ اللَّه، قال: **«لا تقولوا هكذا لا تُعينوا** [٤]

---

(١) المراد ـ واللَّه أعلم ـ : أن هـذا التناجي يصـدر عن المتناجيين بتزيين الشيطان وتسويله لهم بذلك كي يحزن المسلمين الآخرين فيتوهموا إنما وقع التناجي في حقهم وإنما يدور الحديث في شأنهم ، فمن أحس مـن ذلك شيئًا فليستعذ باللَّه وليتوكل على اللَّه فإنـه لا يضره شيء بإذن اللَّه .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠) ومسلم (٢١٨٤) .

(٣) أي : قد شرب خمرًا ففي بعض الروايات : أُتي النبي ﷺ بسكران .

(٤) **قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه :** ووجه عونهم للشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي ، فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان .

قلت : وعند أبي داود زيادة في آخره : **«ولكن قولوا اللهم اغفر له وارحمه»** .

تعليق : وهكذا ينبغي لكل مؤمن ألا يكون عونًا للشيطان على إخوانه المؤمنين فإذا زلَّت قدم أحدهـم فليقوِّموه ما استطاعوا إلى ذلـك سبيلاً ، والنصح حق لكل مسلم ، والستر من خير =

عليه الشيطان»[١] .

الحرز الرابع والعشرون : ترك قول لو المصحوبة بالاعتراض على القدر :

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللَّه من المؤمنِ الضعيف ، وفي كلٍّ خير . احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه ولا تعجز ، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ لو أني فعلتُ كان كذا وكذا ولكن قل : قَدَّرَ اللَّه وما شاء فعل ، فإن لو تَفْتَحُ عملَ الشيطان»**[٢] .

= الأبواب والمؤمن أخو المؤمن .

(١) البخاري (حديث ٦٧٧٧) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه** : قال القاضي عياض : قال بعض العلماء : هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدًا ذلك حتمًا ، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعًا ، فأما من رد ذلك إلى مشيئة اللَّه تعالى بانه لن يصيبه إلا ما شاء اللَّه فليس من هذا ، واستدل بقول أبي بكر رضي اللَّه عنه في الغار (لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا) .

قال القاضي : وهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدرٍ بعد وقوعه ، قال : وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب (ما يجوز من اللو) كحديث : **«لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد إبراهيم»** و **«لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه»** و **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»** وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده . فيما كان يفعل لولا هذا المانع وعما هو في قدرته فأما ما ذهب فليس في قدرته ، قال القاضي : فالذي عندي في معنى الحديث أن النهي على ظاهره وعمومه لكنه نهي تنزيه ويدل عليه قوله ﷺ : **«فإن لو تفتح عمل الشيطان»** أي يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان . هذا كلام القاضي .

قلت : وقد جاء من استعمال كلمة (لو) في الماضي قوله ﷺ : **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى»** وغير ذلك فالظاهر أن النهي إنما هو على إطلاق ذلك فيما لا =

الحرز الخامس والعشرون : التعوّذ بالله عند وسوسة الشياطين والمُلحدين :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : **«يأتي الشيطانُ أَحَدَكُم فيقول : مَن خَلَقَ كذا ؟ مَنْ خَلَقَ كذا ؟ حتىٰ يقولَ : من خَلَقَ ربَّكَ ؟ فإذا بَلَغَهُ فليستعذْ بالله ولينْتَه»**[1] .

وفي بعض طرقه : **«فمن وجد في ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله»** ، وفي بعضها : **«فليقل : آمنت بالله ورسله»** .

= فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم ، فاما من قاله تأسفًا على ما فات من طاعة الله تعالىٰ أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث والله أعلم .

• والحديث أخرجه مسلم (١٦/ ٢١٥) .

(١) هذا هو الواجب على المسلم ، واجب عليه ألا يتمادىٰ في التفكير في ذلك ولا يدع للشيطان على نفسه سبيلاً ، وعليه أيضًا أن يتفكر في مخلوقات الله تعالىٰ فقد وصف الله سبحانه أولي الألباب بأنهم ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩١] .

قال الحافظ قوله : (ولينته) أي عن الاسترسال في ذلك بل يلجأ إلىٰ الله في دفعه ، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها .

قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه وكف عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال : وهذا بخلاف ما لو تعرض أحد من البشر بذلك فإنه يمكن قطعه بالحجة والبرهان ، قال : والفرق بينهما أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب والحال معه محصور ، فإذا راعى الطريقة وأصاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلىٰ غيرها إلىٰ أن يفضي بالمرء إلىٰ الحيرة نعوذ بالله من ذلك .

• والحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٦) ومسلم (٢/ ١٥٤) .

الحرز السادس والعشرون : التعوُّذ بالله عند الغضب :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [**فصلت** : ٣٦] .

وفي «الصحيحين»[١] من حديث سليمان بن صرُد رضي الله عنه قال : كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يستبَّان فأحدهما احْمَرَّ وجهُهُ وانتفختْ أَوْدَاجُهُ فقالَ النبيُّ ﷺ : «**إني لأعْلَمُ كلمةً لو قالها ذَهَبَ عنه ما يَجد ، لو قال : أَعُوذُ بالله من الشيطان الرجيم ذَهَبَ عنه ما يجد**» ، فقالوا له: إن النبيَّ ﷺ قال : تَعَوَّذ بالله من الشيطانِ ، فقال : وهل بي جنونٌ.

الحرز السابع والعشرون : التعوذ بالله عند سماع نباح الكلاب ونهيق الحمير :

ففي «الصحيحين»[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إذا سمعتُم صِياحَ الدِّيَكَةِ فاسألوا الله من فَضْله فإنها رأت مَلَكًا ، وإذا سمعتم نَهِيقَ الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأىٰ شيطانًا**» .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله فإنها ترىٰ ما لا ترون**»[٣] .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٦٥) ومسلم (١٦/ ١٦٣) .
(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٤٦) .
(٣) أحمد (٥/ ١٩٣) وأبو داود (٥/ ٣٣١) وهو صحيح لشواهده .

الحرز الثامن والعشرون : قراءة سورة البقرة :

ففي «صحيح مسلم» [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه قال : «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**» .

الحرز التاسع والعشرون ، وهو حرز يُحفظ به البيت ويُحفظ به الطعام من الشيطان :

ألا وهو ذكر اللَّه عند دخول البيت وعند الطعام :

ففي «صحيح مسلم»[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : «**إذا دَخَلَ الرَجلُ بَيْتَه فَذَكَرَ اللَّه عند دُخُوله وعنْدَ طَعَامه قال الشيطانُ : لا مبيتَ لكم ولا عَشَاءَ ، وإذا دَخَلَ فلم يَذْكُرَ اللَّهَ عند دُخُوله قال الشيطانُ : أَدْرَكْتُم المبيتَ وإذا لم يذكر اللَّه عند طَعامه قال : أَدْرَكْتُمُ المبيتَ والعَشَاءَ**» .

وعن حذيفة [٣] رضي اللَّه عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ اللَّه ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ ، وإنا حضرنا معه مرةً طعامًا فجاءت جاريةٌ كأنها تُدْفع[٤] فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يدها في

---

(١) مسلم (مع النووي ٦/٦٨) .

(٢) مسلم (١٣/ ١٩٠ مع النووي) .

(٣) مسلم (مع النووي ١٣/١٨٧) .

(٤) في رواية : كأنه (تطرد) يعني لشدة سرعتها قاله النووي . وعند مسلم رواية من حديث جابر مرفوعًا : «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ** =

الطعامِ فَأَخَذَ رسولُ اللَّه ﷺ بيدها ثم جاء أعرابيٌّ كأنما يُدْفع فَأَخَذَ بيده فقال رسولُ اللَّه ﷺ : **«إن الشيطان يستحلُّ الطعامَ أن لا يُذكر اسمُ اللَّه عليه ، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذتُ بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به فأخذتُ بيده ، والذي نفسي بيده إن يَدَهُ في يَدي مع يدها»** .

الحرز الثلاثون : وهو حرز يقوله من نزل منزلاً ، ألا وهو قول : (أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق) .

فأخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«إذا نَزَلَ أَحَدُكُم منزلاً فليقل : أَعُوذُ بكلماتِ اللَّه التاماتِ من شرِّ ما خلق فإنه لا يضرُّهُ شيءٌ حتى يرتحلَ منه»** .

الحرز الحادي والثلاثون : (حرز يقوله من سقط عن دابته) :

أخرج أحمد وأبو داود[2] من حديث رجل[3] قال : كُنْتُ رَدِيفَ النبيِّ ﷺ فَعَثُرَتْ دَابتُه فقلت : تعس الشيطان فقال : **«لا تَقُلْ تَعِسَ[4]**

= **فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة»** .

قال النووي رحمه اللَّه : فيه التحذير من الشيطان والتنبيه على ملازمته للإنسان في تصرفاته فينبغي أن يتأهب له ويحترز منه ولا يغتر بما يزينه له .

(١) مسلم (مع النووي ١٧/٣١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥/ ٢٦٠) وأحمد (٥/٥٩ و ٧١) .

(٣) هذا الرجل صحابي لقوله : كنت رديف النبي ﷺ ، ولا يضر الجهل باسمه فالصحابة كلهم عدول .

(٤) تعس: أي: هلك ، ومثل هذا الكلام يوهم أن للشيطان دخلاً في مثل ذلك. «عون المعبود».

الشيطان فإنك إذا قُلْتَ ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول : بقُوتي ، ولكن قُلْ بسم اللَّه فإنك إذا قُلْتَ ذلك تَصاغر حتى يكونَ مثلَ الذباب» .

الحرز الثاني والثلاثون : رد التثاؤب :

أخرج البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « **إن اللَّه يحب العطاس ويَكْرهُ التثاؤبَ فإذَا عَطَسَ أحَدُكُم وَحمدَ اللَّه كان حقًّا على كل مُسلم سمعه أن يقولَ له : يَرْحَمُكَ اللَّه ، وأما التثاؤبُ فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليردُّه ما استطاع ، فإن أحَدَكُمْ إذا تثاءب ضَحِكَ منه الشيطان** » .

وفي رواية لمسلم[2]: «**إذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم [3] ما استطاع فإن الشيطان يدخل**» .

وفي رواية : «**فليمسك بيده**» .

الحرز الثالث والثلاثون : ترك الخلوة بالنساء :

أخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد من حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **... ولا يخلون رجل بامرأة**

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٦١١) .

(٢) مسلم (١٨/١٢٢) .

(٣) **قال النووي رحمه اللَّه :** قوله: «فليكظم» الكظم هو الإمساك، قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم لئلا يبلغ الشيطان مراده من تشويه صورته ودخول فمه، وضحكه منه.

فإن الشيطان ثالثهما»[١] .

الحرز الرابع والثلاثون : (حرز يُقال عند الجماع) :

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«لو أن أحَدَهُم إذا أَرَادَ أن يَأتِيَ**[٢] **أَهْلَهُ قال : بسم اللَّه اللهم جنبنا**[٣] **الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضره**[٤] **شيطانٌ أبدًا»** .

الحرز الخامس والثلاثون: قراءة الآيتين الآخيرتين من سورة البقرة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[٥] .

---

(١) انظر تخريجه بتوسع في «المنتخب» لعبد بن حميد (بتحقيقي رقم ٢٣) وهو صحيح لغيره .

(٢) أي : يجامع أهله .

(٣) في رواية : «جنبني» .

(٤) قيل : المعنى : لم يفتنه عن دينه ويرده إلى الكفر وليس المراد عصمته من المعصية فإن كل بني آدم خطاء ، وقيل : لم يضره بمشاركة أبيه في جماع أمه ، وقيل : المراد لم يطعن في خاصرته عند ولادته ، قلت : ويرد الأخير قول رسول اللَّه ﷺ : **«ما من مولود يولد إلا ويطعن الشيطان ... إلا ما كان من مريم وابنها»** .

● وفي الحديث الإشارة إلى ذكر اللَّه ودعائه من الشيطان والتبرك باسم اللَّه والاستعاذة به من جميع الأسواء ، وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه ، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر اللَّه .

والحديث عند البخاري (مع الفتح ٩/ ٢٢٨) ومسلم (١٠/ ٥ مع النووي) .

(٥) قيل في معنى الحديث جملة أقوال ، منها : أنهما كفتاه شر الشيطان ، والحديث أخرجه البخاري (٩/ ٥٥) ومسلم (٦/ ٩١) .

وأخرجه الحاكم[1] بإسناد صحيح من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«إن اللَّه تبارك وتعالى كتب كتابًا قبل أن يَخْلُقَ السموات والأرض بألفي عام وأنْزَلَ منه آيتين خَتَمَ بهما سورةَ البقرة ولا تُقرآن في دارٍ فيقربها شيطانٌ ثلاث ليالٍ»** .

الحرز السادس والثلاثون (حروز عند النوم) :

عن عائشة رضي اللَّه عنها أن رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا أخَذَ مَضْجعه نَفَثَ في يديه وَقَرَأَ بالمعوذات[2] ومَسَحَ بهما جَسَدَه .

وفي بعض روايات البخاري[3] ومسلم : كان إذا اشتكى نفث في يديه بالمعوذات ومسح بهما جسده .

حرز آخر عند النوم :

آية الكرسي

عن أبي هريرة[4] رضي اللَّه عنه قال : وكلني رسول اللَّه ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأَخَذْتُهُ وقلت : واللَّه لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ، قال : إني محتاج وعليَّ عيالٌ ولي

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي صحيح .

(٢) المراد بالمعوذات قل هو اللَّه أحد والمعوذتان ، والحديث عند البخاري (مع «الفتح» ١١/ ١٢٥).

(٣)انظر البخاري (مع الفتح ٨/ ١٣١) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٣) .

(٤)اخرجه البخاري معلقًا (مع الفتح ٤/ ٤٨٧) .

حاجةٌ شديدة قال : فخليتُ عنه فَأَصْبَحتُ فقال النبيُّ ﷺ : **«يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟»** قال : قلت : يا رسول اللَّه شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخليتُ سَبِيلَهُ قال : **«أما إنه قد كَذَبَكَ وسيعود»** فعرفت أنه سيعود لقول رسول اللَّه إنه سيعود فَرَصَدْتُهُ فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت : لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول اللَّه ﷺ قال : دَعْني فإني محتاج وعليَّ عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فَأَصْبَحتُ فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ : **«يا أبا هريرة ما فعل أسيرُكَ ؟»** قلتُ : يا رسول اللَّه شكا حاجةً شديدةً وعيالاً فرحمتُهُ فخليتُ سبيله . قال : **«أما إنه قد كَذَبَكَ وسيعود»** فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فَأَخَذْتُهُ فقلتَ : لأرفعنك إلى رسول اللَّه ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات تَزْعُم أنك لا تعود ثم تعود قال: دَعْني أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بها قلت : ما هن ؟ قال : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آيةَ الكرسي ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تَخْتِمَ الآيةَ فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تُصبح ، فخليتُ سبيله فأصبحت فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: **«ما فعل أسيرك البارحة ؟»** قلت : يا رسول اللَّه زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني اللَّه بها فخليت سبيله قال : **«ما هي ؟»** قلت قال لي : إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكُرسي من أوَّلها حتى تختم الآية ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال لي : لن يَزَال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتى تُصبح . وكانوا أَحْرَص شيءٍ على الخير ، فقال النبيُّ ﷺ **«أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب مُذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟»** قال : لا قال : **«ذاك شيطان»** .

الحرز السابع والثلاثون (حروز للرؤيا) :

• عن أبي قتادة[1] رضي اللَّه عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : «**الرُّؤيا الصالحة من اللَّه ، والحُلم من الشيطان ، فإذا حَلَمَ أَحَدُكُم حُلمًا يخافه فليبصق عن يسارِه وليتعوذ باللَّه من شرِّها فإنها لا تَضُرُّه**» .

• وفي رواية في «الصحيحين» من طريق أبي سلمة قال[2]: كنت أرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «**الرؤيا الحسنة من اللَّه فإذا رأى أَحَدُكُم ما يحب فلا يُحَدِّثُ به إلا من يُحب ، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ باللَّه من شرِّها ومن شرِّ الشيطان ، وليتفل ثلاثًا ولا يحدث بها أحدًا فإنها لن تضره**» .

• وعن أبي سعيد[3] الخدري رضي اللَّه عنه أنه سمع رسولَ اللَّه ﷺ يقول : «**إذا رأى أَحَدُكُم الرؤيا يُحبها فإنها من اللَّه فليحمد اللَّه عليها وليُحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لن تضره**» .

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «**إذا رأى أَحَدُكُم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يسارِ ثلاثًا وليستعذْ باللَّه**

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٥/ ٢٠) .
(٢) البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٤٣٠) ، وقد تقدم .
(٣) البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٣٦٩) .

من الشيطان ثلاثًا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»[1].

• وعن أبي هريرة[2] رضي اللَّه عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا اقتربَ الزمانُ لم تَكَدْ رؤيا المُسلم تَكْذِبُ، وأَصْدَقُكُم رؤيا أَصْدَقُكُم حديثًا ورؤيا المسلم جزء من خمسٍ وأربعين جزءًا من النبوة، والرؤيا ثلاثةٌ فرؤيا الصالحةُ بُشرىٰ من اللَّه ورؤيا تَحزينٌ من الشيطان ورؤيا مما يُحدِّثُ المرءُ نَفْسَه فإن رأىٰ أَحَدُكُم ما يكره فليَقُم فليُصلِّ ولا يُحَدِّث بها الناسُ».

الحرز الثامن والثلاثون: الاستعاذة من تخبط الشيطان عند الموت:

• عن أبي اليسر[3] رضي اللَّه عنه قال: كان رسولُ اللَّه ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم والغرق والحريق، وأعوذُ بك أن يَتَخَبَّطَنِيَ الشيطانُ عِندَ الموتِ، وأعوذُ بِكَ أن أموتَ في سبيلك مدبرًا وأعوذُ بك أن أموتَ لديغًا».

الحرز التاسع والثلاثون: اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ:

• عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: لا يجعل أَحَدُكُمْ للشيطانِ شيئًا من صَلاَتِه يرىٰ أن حقًّا عليه أن لا ينصرفَ إلا عن يمينه، لقد رأيتُ النبيَّ ﷺ كثيرًا ينصرفُ عن يساره[4].

---

(١) مسلم (مع النووي ١٥/ ٢٠).

(٢) مسلم (١٥/ ٢٠).

(٣) النسائي (٨/ ٢٤٩) وأبو داود في الصلاة (٣٦٨ : ١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٨٥٢) ومسلم (حديث ٧٠٧).

الحرز الأربعون (ذكره ابن القيم رحمه اللَّه تعالى[1] واستفاض فيه في «التفسير القيم» ، فقال) :

الحرز العاشر : إمساك فضول النظر والكلام والطعام ، ومخالطة الناس . فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم ، وينال منه غرضه : من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب ، والاشتغال به ، والفكرة في الظفر به .

فمبدأ الفتنة من فضول النظر ، كما في «المسند» عن النبي ﷺ أنه قال : **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فمن غَضَّ بصره للَّه أورثه اللَّه حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه»**[2] أو كما قال ﷺ .

---

(١) سنده ضعيف .

(٢) وبعد بحث طويل لم نقف على الحديث في «المسند» ، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣) إلى الطبراني فقال : رواه الطبراني وفيه عبد اللَّه بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف .
قلت : فلعل كلمة (المعجم) تصحفت على الشيخ رحمه اللَّه أو على الناسخ إلى (المسند) وقد وهم الهيثمي أيضًا في قوله عبد اللَّه بن إسحاق بل هو عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف .
والحديث عزاه ابن كثير رحمه اللَّه (تفسير سورة النور ٣/ ٣٤٣) إلى الطبراني من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد اللَّه بن مسعود مرفوعًا به .
وفي إسناده علة أخرى وهي الكلام في سماع عبد الرحمن بن مسعود من أبيه فقد أثبته بعض أهل العلم ونفاه آخرون ، وحمل بعضهم سماعه على أحاديث معينة ليس هذا منها واللَّه أعلم.
هذا وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في ذم النظر إلى ما حرم اللَّه أحاديث كثيرة فليراجعها من شاء . (تفسير ٣/ ٢٤٣) .

فالحوادث العظام إنما هي كلها من فضول النظر ، فكم من نظرة أعقبت حسرات لا حسرة ؟ كما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ∴ ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ∴ فتك السهام بلا قوس ولا وتر ؟

وقال الآخر :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا ∴ لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كُلَّه أنت قادر ∴ عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي :

وأنا الذي جلب المنية طرفه ∴ فمن المطالب ، والقتيل القاتل ؟

ولي من أبيات :

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا ∴ أنت القتيل بما ترمي ، فلا تصب
وباعثَ الطرف يرتاد الشفاء له ∴ تَوَقَّـه ، إنـه يرتـــد بالعطب
ترجو الشفاء بأحداق بها مرض ∴ فهل سمعت ببرء جاء من عطب ؟
ومفنيًا نفسه في إثر أقبحهم ∴ وصفًا للطخ جمال فيه مستلب
وواهبًا عمره في مثل ذا سفها ∴ لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
وبائعًا طيب عيش ماله خطر ∴ بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت واللَّه غبنًا فاحشًا فلو اسـ ∴ ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
وواردًا صفو عيش كله كدر ∴ أمامك الورد صفوًا ليس بالكذب

وحاطب الليل في الظلماء منتصبًا ∴ لكل داهية تدني من العطب
شاب الصبا والتصابي بعد لم يشب ∴ وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها ∴ والضي في الأفق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت ∴ عن أفقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت ∴ ورسل ربك قد وافتك في الطلب
ما في الديار وقد سارت ركائب من ∴ تهواه للصب من سكنى ولا أرب
فأفرش الخد ذياك التراب ، وقل ∴ ما قاله صاحب الأشواق في الحقب
ما ربع مية محفوفًا يطوف به ∴ غيلان أشهى له من ربعك الخرب
ولا الخدود إن أدمين من ضرج ∴ أشهى إلى ناظري من خدك الترب
منـازلَ كـان يهواهـا ويألفهـا ∴ أيام كان منال الوصل عن كثَب
فكلما جليت تلك الربوع لـه ∴ يهوي إليها هوى الماء في صبب
أحيا له الشوق تذكار العهود بها ∴ فلو دعا القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل في الأرض يألفه ∴ وما له في سواها الدهر من رغب
ما في الخيام أخو وجد يريحك إن ∴ بثثته بعض شأن الحب ، فاغترب
وأسر في غمرات الليل مهتديًا ∴ بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخي جبن ومَعجزة ∴ وحارب النفس لا تلقيك في الحرب
وخذ لنفسك نورًا تستضيء به ∴ يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس يقطعه ∴ إلا بنور ينجي العبد في الكرب

والمقصود : أن فضول النظر أصل البلاء .

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان ، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها . وكم من حرب جرتها كلمة واحدة . وقد قال النبي ﷺ لمعاذ : **«وهل يُكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»**[1] ، وفي الترمذي : أن رجلاً من الأنصار تُوفِّي فقال بعض الصحابة : طوبى له . فقال النبي ﷺ : **«فما يدريك ؟ فلعله تكلم بما لا يعنيه ، أو بخل بما لا ينقصه»**[2] .

وأكثر المعاصي : إنما يولدها فضول الكلام والنظر . وهما أوسع مداخل الشيطان . فإن جارحتيهما لا يملان ، ولا يسأمان ، بخلاف شهوة الباطن . فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام .

وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام ، فجنايتهما متسعة الأطراف ، كثيرة الشعب ، عظيمة الآفات .

وكان السلف يحذرون من فضول النظر ، كما يحذرون من فضول الكلام ، كانوا يقولون : ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان .

وأما فضول الطعام : فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر ، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي ، ويثقلها عن الطاعات . وحسبك بهذين شرًا .

---

(١) صحيح لشواهده .
أخرجه أحمد من طرق عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا (٥/٢٣١ و ٢٣٦ و ٢٣٧) والترمذي (٢٦١٦) وقال هذا حديث حسن صحيح .
وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهم .

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٣١٦) من طريق الأعمش عن أنس وقال : هذا حديث غريب قلت : وسنده منقطع إذ إن الأعمش لم يسمع من أنس رضي الله عنه .

فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها؟ .

فمن وقي شر بطنه فقد وقي شرًّا عظيمًا .

والشيطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام . ولهذا جاء في بعض الآثار : «ضيقوا مجاري الشيطان بالصوم» ، وقال النبي ﷺ : **«ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن»**[1] .

---

(١) **صحيح** .

أخرجه أحمد (٤/ ١٣٣) فقال : ثنا أبو المغيرة قال ثنا سليمان بن سليم الكناني قال ثنا يحيى ابن جابر الطائي قال : سمعت المقدام بن معدي كرب الكندي قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنَفَسه»** .

وأخرجه الحاكم من هذه الطريق (٤/ ٣٣١) وقد صرح فيه يحيى بالسماع من المقدام وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

قلت : وهذا الإسناد صحيح ، وقد تكلم بعض أهل العلم في سماع يحيى بن جابر من المقدام، ولكن هذه الرواية ترد قولهم إذ أنه قد صرح بالسماع منه والسند إليه صحيح واحتمال السماع قائم إذ إن بين الوفاتين (وفاة يحيى ووفاة المقدام) نحو ٣٩ سنة (انظر : ترجمتيهما في التقريب) .

والحديث أخرجه أيضًا الترمذي (٢٣٨٠) وقال : هذا حديث حسن صحيح وابن حبان رقم (١٣٤٩) .

والحاكم (٤/ ١٢١) وسكت عنه هناك وقال الذهبي : صحيح ، وهؤلاء الذين ذكرناهم مؤخرًا رووه من طريق يحيى بن جابر عن المقدام بالعنعنة . ولا يضر ذلك .

وقد جاء الحديث من طرق أخرى فعزاه المزي في «الأطراف» (٨/ ٥٠٩) إلى النسائي في «السنن الكبرى» في الوليمة من طريق صالح بن يحيى عن جده وصالح هذا ضعيف ولا نوافق الحافظ ابن حجر على قوله فيه إنه (لين) هو أنزل درجة من هذا فقد قال البخاري (فيه نظر) =

ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر اللَّه عز وجل ، وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ، ومَنَّاه وشهاه ، وهام به في كل واد . فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت ، وطافت على أبواب الشهوات ، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت .

وأما فضول المخالطة : **فهي** الداء العضال الجالب لكل شر . وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة . وكم زرعت من عداوة . وكم غرست في القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات ، وهي في القلوب لا تزول ، ففي فضول المخالطة خسارة الدنيا والآخرة . وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة .

ويجعل الناس فيها أربعة أقسام : متى خلط أحد الأقسام بالآخر ،

انظر : «التهذيب» ولا تغتر كذلك بقول الحافظ في أبيه إنه مستور .

فهذه الطريق ضعيفة .

وقد أخرجه أيضًا ابن ماجة (رقم ٣٣٤٩) من طريق محمد بن حرب عن أمه عن أمها أنها سمعت المقدام .

والأم وأمها مجهولتان .

ونقل الحافظ ابن حجر في «النكت الظراف على تحفة الأشراف» أن البيهقي أخرجه من طريق محمد بن حرب عن أبيه عن جده .

فالذي يظهر أن سند البيهقي سقط منه صالح بن يحيى بن المقدام فيرجع الإسناد إلى إسناد النسائي وابن حبان الذي هو محمد بن حرب عن صالح بن يحيى بن المقدام عن أبيه عن جده وقد تكلمنا عليه . ثم إنه يبدو لنا أن قوله عن أمه عن أمها تصحف عن قوله (عن أبيه عن جده) واللَّه أعلم .

وعلى كل فسند أحمد صحيح واللَّه أعلم .

ولم يميز بينهما دخل عليه الشر .

أحدها : من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة . فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر ، وهم العلماء بالله وأمره ، ومكايد عدوه ، وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه . فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كل الربح .

القسم الثاني : من مخالطته كالدواء ، يحتاج إليه عند المرض . فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته ، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش ، وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من .

القسم الثالث : وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه .

فمنهم من مخالطته كالداء العضال ، والمرض المزمن ، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا . ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما . فهذا إذا تمكنت منك مخالطته واتصلت ، فهي مرض الموت المخوف .

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربه عليك ، فإذا فارقك سكن الألم .

ومنهم من مخالطته حمى الروح . وهو الثقيل البغيض العقل ، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها ، بل إن تكلم فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين ، مع إعجابه بكلامه وفرحه به . فهو يُحدث من فيه كلما تحدث ، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس . وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض . ويذكر عن الشافعي رحمه اللَّه أنه قال : ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر .

ورأيت يومًا عند شيخنا قدس اللَّه روحه رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله ، وقد ضعفت القوى عن حمله ، فالتفت إليّ وقال : مجالسة الثقيل حمى الربع . ثم قال : لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى ، فصار لها عادة . أو كما قال .

وبالجملة : فمخالطة كل مخالف حمى للروح ، فعرضية ولازمة. ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب . وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف ، حتى يجعل اللَّه له من أمره فرجًا ومخرجًا .

القسم الرابع : من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم. فإن اتفق لآكله ترياق ، وإلا فأحسن اللَّه فيه العزاء . وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثرهم اللَّه . وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول اللَّه ﷺ ، الداعون إلى خلافها ، الذين يصدون عن

سبيل الله ويبغونها عوجًا ، فيجعلون البدعة سنة ، والسنة بدعة ، والمعروف منكرًا ، والمنكر معروفًا .

إن جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء والصالحين .

وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا : أهدرت الأئمة المتبوعين .

وإن وصفت الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا : أنت من المشبهين .

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر ، قالوا : أنت من المفتنين .

وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين .

وإن انقطعت إلى الله تعالى ، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا ، قالوا : أنت من الملبسين .

وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم ، فأنت عند الله من الخاسرين ، وعندهم من المنافقين .

فالحزم كل الحزم: التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بأعتابهم ، ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم. فإنه عين كمالك كما قال :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ∴ فهـي الشهادة لـي بأنـي فاضـل

وقال آخر :

وقـد زادني حبًّا لنفسي أنني ∴ بغيض إلى كل امرئ غير طائل

فمن أيقظ بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي أصل بلاء العالم ، وهي فضول النظر ، والكلام ، والطعام ، والمخالطة . واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة التي تحرزه من الشيطان : فقد أخذ بنصيبه من التوفيق . وسد على نفسه أبواب جهنم ، وفتح عليها أبواب الرحمة ، وانغمر ظاهره وباطنه . ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء . فعند الممات يحمد القوم التقي . وفي الصباح يحمد القوم السُّري . والله الموفق لا رب غيره ، ولا إله سواه .



الخاتمـــة

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، **وبعد** ...

فإلى هذا القدر ينتهي تفسير جزء عم في سؤال وجواب ، وما كان فيه من توفيق وصواب فمن اللَّه وحده ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه ، ومن كانت له نصيحة أو فائدة فليقدمها وليسدها وجزاه اللَّه خيرًا وجعل ذلك في ميزان حسناته .

نسأل اللَّه أن ينفع بهذا السِّفر الإسلام والمسلمين وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا يوم نلقاه .

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

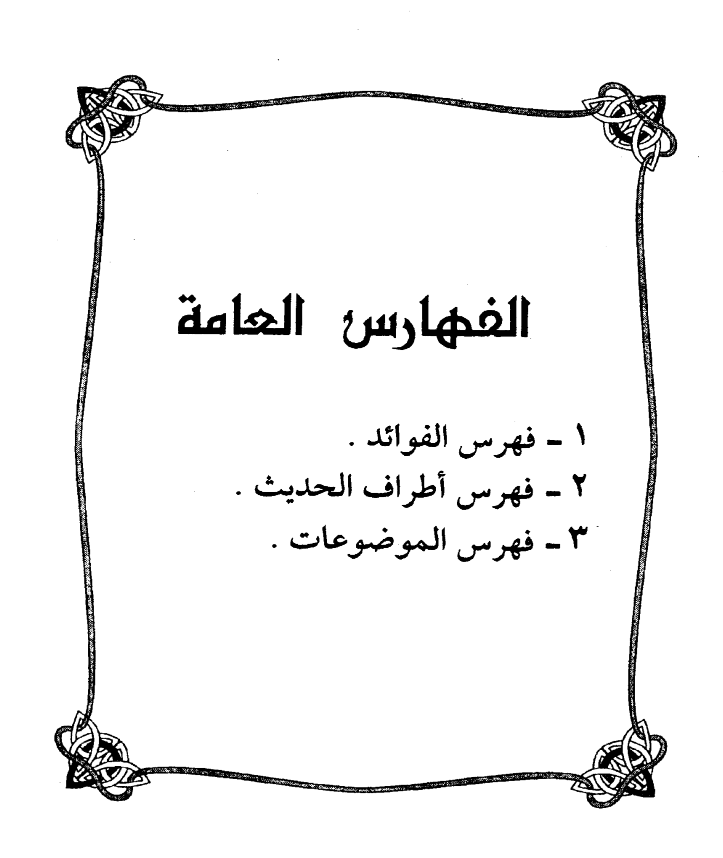
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد اللَّه / مصطفى بن العدوي

منية سمنود ـ ـ أجا ـ دقهلية





الفهارس العامة

١ ـ فهرس الفوائد .
٢ ـ فهرس أطراف الحديث .
٣ ـ فهرس الموضوعات .

١ . فهرس الفوائد

الموضوع — الصفحة

١ ـ الفوائد الحديثية

الموضوع | الصفحة

٢ - فوائد في الجرح والتعديل

٣ - فوائد بلاغية ونحوية وإملائية

الموضوع	الصفحة
٥ ـ المعروف عند العرب من معنى الحشر الجمع	١٠٨ هـ
٦ ـ العرب تقول للنهر أو للركي المملوء : ماءً مسجوراً	١٠٨ هـ
٧ ـ لماذا عُبر بقوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ [التكوير : ١٤] ولم يقل : علمت كل نفس ؟	١٢٤
٨ ـ مجيء الظن بمعنى اليقين في مواطن كثيرة من كتاب اللَّه عز وجل	١٤٩
٩ ـ مثال لاستفهام تقريري	١٨٨
١٠ ـ مثال لاستفهام إنكاري	٢٠٧
١١ ـ معنى (إن) في قوله تعالى : ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى ﴾	٢٧٥
١٢ ـ علامة الاستثناء المنقطع حُسن دخول أن في المستثنى وإذا كان متصلاً لم يحسن	٣١٧ هـ
١٣ ـ مثال على نوع من أنواع الالتفات في الخطاب	٤٦٦
١٤ ـ مثال على إطلاق المحل وإرادة الحال	٤٧٩
١٥ ـ مثال يسوغ الابتداء بالنكرة	٥٣٨

٤ ـ الإجماع

١ ـ نقل الطبري إجماع أهل التأويل على أن ﴿ ألفافًا ﴾ معناه ملتفة	١٠ هـ
٢ ـ نقل الرازي إجماع المفسرين على أن الذي عبس وتولى هو الرسول ﷺ وأن الأعمى هو ابن أم مكتوم	٨٠
٣ ـ نقل الفراء الإجماع على أن ﴿ عسعس ﴾ : أدبر ، ولم يوافق لمخالفة بعض أهل العلم في ذلك	١٢٧ هـ
٤ ـ قول السمرقندي : أجمع المفسرون أن معنى (لا أقسم) : أقسم	١٢٨ هـ
٥ ـ نقل عدد من أهل العلم الإجماع على أن المراد باليوم الموعود يوم القيامة	٢١٠ هـ
٦ ـ نقل الزجاج إجماع أهل اللغة على أن التربة : موقع القلادة من الصدر والجمع : ترائب	٢٤٩ هـ

٥ ـ (الجمع بين ما يوهم التعارض)

١ ـ كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٩٥] ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ : ١٨]	٢٥
٢ ـ كيف تجمع بين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٧] فذكر اللَّه سبحانه أنه لا يكلمهم مع قوله : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠] فقد كلمهم ؟	٣٥

الموضوع الصفحة



٢ ـ فهرس أطراف الحديث

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الخاء)		
ـ خرج على أهل قباء وهم يصلون فقال : «صلاة الأوابين ...»	زيد بن أرقم	٣٨٣
ـ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف . . .	ابن عباس	١٥٠
ـ خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله ﷺ . .	عبد الله بن خبيب	٧٢٥، ٨٠٩ ٦٨٤
ـ خرجنا معه في جنازة رجل من الأنصار	البراء بن عازب	٥٠، ١٦٨ ١٧٤هـ، ٤٩٣
ـ «خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام...»	عبد الوهاب بن بخت	٧٩٢
ـ «خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ...»	زيد بن ثابت	٣٨٧
ـ «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه ....»	أبو هريرة	٥٦٩
(حرف الدال)		
ـ دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد الله الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا . . .	علقمة	٣٧٣
(حرف الذال)		
ـ ذكر عنده رجل نام ليلة حتى أصبح فقال : «ذاك رجل بال الشيطان ...»		٧٨٢، ٨٠٢
ـ «ذهب أهل الهجرة بما فيها»	مجاشع	٦٥٢
(حرف الراء)		
ـ رأى رجلاً يصلي فطفق فقال له حذيفة : منذ كم تصلي هذه . .		٢٩٠ هـ
ـ رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل	أبو أمامة بن سهل ابن حنيف	٧٥٦، ٧٥٧
ـ رخص لآل حزم في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس : «مالي ...	جابر بن عبد الله	٧٥٧
ـ «الرؤيا الصالحة ـ الحسنة ـ من الله والحلم من الشيطان ...»	أبو قتادة	٧٢٧، ٨٢٣

الحديث	الراوي	الصفحة
(حرف الزاي)		
- زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . . .	أبو هريرة	٤٩٨ ، ٥٠٠
- زجر عن الشرب قائمًا	أبو سعيد الخدري	٦٠٥
(حرف السين)		
- سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي . . .	جابر بن عبد الله	١١٥
- سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب النبي ﷺ فقال له : فأشراف الناس . . .	ابن عباس	٩٠
- سألت عائشة رضي الله عنها : كم كان رسول الله ﷺ يصلي صلاة الضحى	معاذه العدوية	٣٨٤
- سألته عن التفات الرجل في الصلاة فقال : «هو اختلاس يختلس الشيطان ...»	عائشة	٨٠٦
- سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟	العوام بن حوشب	٢٠٨
- سئل عن العزل فقال : «ذلك الوأد الخفي»	جذامة بنت وهب	١١٣
- سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»	ابن مسعود	١١٧
- سئل عن الحُمُر فقال : «ما أنزل الله فيها شيئًا إلا هذه الآية»	أبو هريرة	٤٦٨
- «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»	ابن مسعود	٥٩٦
- «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك» كان يقولها بعد نزول سورة النصر	عائشة	٦٥٩
- سجدنا مع النبي ﷺ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ و ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾	أبو هريرة	٢١٨، ٤٣٨
- «سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟»	عائشة	٦٧٤
- سمع ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : «يرحمه الله ....»	عائشة	٢٧٣هـ
(حرف الشين)		
- شرب من زمزم وهو قائم	ابن عباس	٦٠٥
- «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»	أنس بن مالك	١٤٣
- شكونا إليه ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة	خباب بن الأرت	٢٢٤
- «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة»	أبو هريرة	١١٠

(حرف الكاف)

(حرف الميم)



٣ - فهرس السور والموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة




مطابع
دار الصحيفة
القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٣/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤